

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين

جامعة الأمير عبد القادر

قسم: الكتاب والسنة

للعلوم الإسلامية

التخصص: تفسير وعلوم القرآن

—قسنطينة—

## صورة المجتمع العربي قبل الإسلام من خلال القرآن الكريم

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

—دراسة موضوعية—

إشراف الأستاذ الدكتور:

رمضان يخلف

إعداد الطالبة:

مسيكة دردور

### لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
أ.د. محمد فرقاني	رئيسا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
د. رمضان يخلف	مشرفا ومقرا	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الأمير عبد القادر
د. حدة سابق	عضوا	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة الأمير عبد القادر
د. هدى حراق	عضوا	أستاذة محاضرة (أ)	جامعة الأمير عبد القادر

السنة الجامعية: 1433-1434هـ/2012-2013م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
مَجْلَدُ التَّوْحِيدِ  
مَجْلَدُ التَّوْحِيدِ  
مَجْلَدُ التَّوْحِيدِ

جامعة الأمير عبد  
المعظم الإسلامية

سائرا وإلا ممنانا

أثقدم بالشكر لله أولا وآخر

ثم لك من سخره الله لي من خلق فأعاني على إتمام

هذا البحث

وأخص بالذكر أساتذتي الأجلاء وعلى رأسهم الأستاذ

الدكتور المشرف رمضان بخلف أطال الله عمره ونفعنا

بعلمه، ثم لزملائي من الطلبة والطالبات الذين كانوا

لي خير معين.

وأسال الله أن ينفع به.

# حفظ القرآن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا نجات له وليا مرشداً أما بعد:

فقد مَنَّ اللهُ علينا أولاً بالانتساب لهذا الدين، والإيمان برب العالمين ملاذ المحتاجين وقُرَّةُ عين المحبين، ثم مَنَّ اللهُ علينا ثانياً بأن جعلنا من طُلاب شرعه والسائرين على دربه قال ﷺ: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده".

وقد عَلِمَ أصحاب العقول أن بلوغ منازل الشرف يكون بتلاوة القرآن وتدارسه، وأن رائده من أهل الله وخاصته، وأن الخائض في لججه لا يشبع و المرتل لأوراده لا يمل، ففيه لذة العلم والوصل فينقضي العمر وما حصَّله طالبه فالحمد لله أولاً وآخراً، الذي وَعَدَ بالأجر للمجتهد مصيباً ومخطئاً، وبالرحمة التي تنزل على ذاكِره بكره وأصيلاً.

إستجابة لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فقد أردنا أن نعقل هذا الذكر وذاك الخبر من بدايته فخصصناه بالمجتمع العربي قبل الإسلام أو ما عُرِفَ بالجاهلية.

وهي الفترة التي سبقت البعثة المحمدية والتي انقذ في الأذهان أنها تعني ما كان عليه الناس من الظلم والطبقية، والرق والاستعباد، ومن العصبية والتخلف والدونية في المعاملات، كما انقذ في مخيلتنا صورة العربي الجاهلي الشجاع الغليظ الطبع الذي يسكن خيمة متنقلة، يمتطي إبلاً أو فرساً ضاربا في الصحراء يطلب كلاً وماءً متوشحاً سيفه يغزو قبيلة ما حرباً أو شعراً مُتَشَبِّهاً بالنساء، مُبالِغاً في الاعتداد والثناء صدقا أو زوراً.

وزكّى هذه الصورة في أذهاننا أنك لا تسمع خطبة لإمام يحتفي بالإسلام ولا تقرأ كتاب في السيرة أو التاريخ من المتقدمين أو المتأخرين، إلا وجعلوا من الحديث عن الجاهلية ومثالبها باباً، ومن التنفير منها مقربة ومقصداً في بضع كلمات مُعَمَّمة الأحكام لِيُسَهَّبَ بعدها في الإشادة بالإسلام وما أحدثه من تغييرات إجتماعية ومن انقلابات أخلاقية .

ظل هذا الاعتقاد سارياً وتناقلته الأجيال وفهمت أن علامة الإخلاص لهذا الدين هو بُعْضُ الجاهلية وطيِّ أخبارها التي يتغنى بمآثرها الشعر الجاهلي.

وبين الطرح القرآني والأدبي اختلاف في الوصف يصل إلى درجة التناقض أحياناً.

نسمع من الشعراء وصفهم للعربي بالجواد الذي يذبح فرسه ليطعم سائله ويُقري ضيفه وَيَسُدُّ حاجته، وينصر المظلوم ويجير الضعيف ويمنعه، وفي بالوعد حتى لو كان فيه هلاك نفسه أو موت بعض ولده.. ونقرأ في القرآن أيضا أن هذا العربي غليظ المشاعر قاس الطبع، يقتل ولده خشية أن يطعم معه وَيَدْعُ اليتيم وينهر السائل وَيَرْدَعُه، ويستغل حاجة الفقير فيُرَابي في دِينِه حتى يَسْتَعْبِدَه.

نسمع من الشعراء أن العربي الجاهلي يكرم المرأة فلا يبدأ قصيدة إلا بذكر النساء وبالوقوف على الأطلال يبكي لوعة الوجد، بل وبالموت عشقا لأم الفقد تارة، وإلقاء النفس في المهالك طلبا للحظوة عندهن تارة أخرى...

ونقرأ في القرآن الكريم أن هذا العربي نفسه يَسْوَدُ وجهه إذا رُزق بنتا، ويعتبرها عاراً يلحقه كل عمره، فيحتفي عن أعين الناس خوف سخريتهم فهي المؤودة طفلة أو المستحيبة هوناً، المحرومة من الميراث، المتوارثة بين المتاع، المكروهة من الأسياد على البغاء طلبا لعرض من الحياة...

وليس غرضنا من هذه المقدمة عقد مقارنة بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم في أيهما أصدق ادعاءً ومطابقة للواقع، فالقرآن الكريم أجل وأسمى وكلام الله أصدق وأعلى، ولكن الغرض إعادة النظر في قراءتنا لفهم الخير وإتحاذ القرآن الكريم حجة وبرهانا على صدق ما ادّعه العرب من قيم وأخلاق وعادات وتقاليد نفاها القرآن عنهم وشنع عليهم، وبين ما أثبتته لهم للوصول إلى اليقين الذي يحاكي الحقيقة التي تشبه علينا خصوصا عند توهمنا التناقض.

## والإشكالية هي: كيف صَوَّرَ القرآن الكريم حياة المجتمع العربي

### الجاهلي قبل الإسلام؟

وتندرج تحتها عدة تساؤلات فرعية:

\* ماهو سبب إطلاق القرآن الكريم للفظ الجاهلية على هذه الفترة وما المقصود بها؟

\* لماذا اختار الله العرب لحمل الرسالة واحتصمهم ببعثة آخر نبي منهم، هل كانت لهم

مؤهلات بما اصطفوا وقدموا؟

\* هل كان للعرب حياة علمية أم كانوا أمة أمية؟

\*أيصدقُ القرآن ما سارت بها الأخبار من مكارم الأخلاق أم ينفيتها؟

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

يقول العلماء إن الشعر ديوان العرب ويقول الأدباء هو مرآة الحياة الجاهلية، وغايتهم الإعلاء من الشعر وتقديمه، وأرى تشبيهم حقاً وصدقاً فالشعر يعكس الحياة الجاهلية في صورة واحدة ملتقطة من زاوية واحدة مرئية بعيون بشرية تُريك ما تريدك أن تراه، لا زوايا للمرأة لتعكس لك كل الصورة فضلاً عن الباطن المستور، لذا فنحن نسعى لرؤية باطن الصورة وظهرها بعين الله وكلامه، وما نطق به على لسان -رسوله- ﷺ وهو ما اقترحه عليّ أستاذي الفاضل الدكتور رمضان يخلف ورغبني فيه لأهميته.

ثانياً: أهمية البحث العلمي:

\*العلم بأحوال العرب وما كانوا عليه من شقاء وضلال حتى هداهم الله بالإسلام وقد عدّه بعض العلماء من الفروض العينية الواجب على كل مسلم تعلمها، وقصر بعضهم الوجود على كل مفسر يتكلم بكتاب الله، وهو فرع من علم التاريخ الذي لا يُنكر أهميته ليب وقد قيل: ليس بإنسان ولا عاقل من لا يعي التاريخ في صدره ومن درى أخبار من قبله أضف أعماراً إلى عمره

\*الكشف عن الاختلاف والاتفاقات بين الطرح القرآني في وصف المجتمع العربي قبل الإسلام والطرح التاريخي المتضمن شعر العرب. وأن القرآن الكريم لم يكن بالوصف والتأريخ بل سعى إلى النقد والإصلاح.

ثالثاً: أهداف البحث:

القرآن الكريم لم يأت فقط دعوة إلى عبادة الله عز وجل وتصحيح عقيدة التوحيد التي شوهت وإنما دعوة أيضاً إلى إصلاح الأخلاق والعادات والمعاملات التي ظلت عندما أُطلق العنان للعقل بأن يجتهد في إرساء قواعدها بناء على العصبية والمصلحة الفردية أو القبليّة.

\*معرفة أخلاق العرب وعاداتهم وطرق معاشهم تعين على فهم القرآن وتفسيره لأن آياته إنما نزلت بناءً على هذا الواقع مؤيدة له أو معارضة أو موجهة.

\*الكشف عن سنن التدرج ومراحل التربية في تخفيف منابع الأخلاق الذميمة وتصحيح منابع الأخلاق الحميدة.

\* حصصت معاني الشعر الجاهلي بتميز صدقه من كذبه ،بين واقع الحال وحقيقة الإدعاء  
\* إظهار وجه من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم التي لم تنحصر في البلاغة والبيان ،بل في نقد المجتمع.

\*زرع روح المحبة وشدة الانتماء لهذا الدين، قال تعالى: ﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾  
يونس16، ومن أجل تحقيق هذه الأهداف اتبعنا الخطة التالية:

#### رابعاً: خطة البحث:

قسمت البحث إلى ثلاثة فصول، الأول منه تمهيدي حيث ضبطت مصطلحات البحث من زاوية قرآنية، ثم انتقلت إلى الفصل الثاني الذي قسمته إلى مبحثين لكل مبحث مطلبان، تناولت في المبحث الأول الحياة العقدية للعرب و أهم الطوائف الدينية التي كانت تسود مكة المكرمة الحنفية والدهرية، والشركية، أما المبحث الثاني فتناولت فيه الصورة الأخلاقية للعرب؛ وإنما جعلنا الفكر الديني والعقدي أولاً اقتداءً بالقرآن الكريم إذ كان المقصد الأول من الرسالة إفراد العبودية لله وحده قولاً وعملاً، ولهذا وصلنا مبحث الأخلاق بالعقيدة لأنها ظللتها وترجمتها.

ولأهمية العقيدة في حياة الناس ولأنها مدار حياة الجاهليين فقد خالفت أصول البحث العلمي حين جعلته أكثر الفصلين حجماً، لكثرة الآيات التي تحدثت عن عقيدة الجاهليين ففي إحصاء أجراه الأستاذ " عبد الرحمن الحللي " وجد أن الآيات التي تتحدث عن المجتمع الجاهلي بلغ عددها 1575 آية، منها 1096 آية مكية و 479 آية مدنية، وتشكل عقائد المجتمع الجاهلي نسبة 54% من الآيات، ومعظمها مكّي، وقد توزعت القضايا العقدية فيها على ثلاثة محاور: الشرك=514، البعث=282، إنكار الوحي=69.

ثم انتقلت إلى الفصل الثالث وقسمته أيضاً إلى مبحثين لكل مبحث مطلبان، تناولت في المبحث الأول صورة الحياة العلمية والثقافية ، وانعكاساتها على الحياة الإجتماعية و السياسية



والتي كانت ثمرة اللقاحات الفكرية المكتسبة غالباً من البيئة ولم أفصل بينها لشدة ترابطها ولأن محاولة الفصل تفضي إلى التكرار.

وحتى لا ألبس البحث جلباباً فضفاضاً لا أستطيع استيفاءه فقد قصرت البحث على عرب أهل مكة لأستوفي البحث حقه من الدراسة ومُسْتَحَقَّهُ من الفهم والتحليل، وفي تقييده بالمكان والزمان وحصره ببعض الأشخاص حداً من اتساعه وشفاعة لباحته، وإن ذكرنا غيرهم معهم فاستئناساً أو للعلاقات القائمة بين مكة وقبائل شبه الجزيرة العربية.

ثم انتقلت إلى الخاتمة وأوردت فيها النتائج التي توصلت إليها من كل مبحث خضته ومحاولة الإجابة عن كل تساؤل أثرته أو فكرة راودتني، أو شُبْهَةً اعترضتني.

وذيل البحث فهارس سبع: فهرس الآيات الكريمة، فهرس الأحاديث النبوية الشريفة، فهرس الأشعار، فهرس الأعلام، فهرس القبائل والأماكن، فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

أما من الناحية الشكلية، فقد وضعت كل آية بين قوسين بالرسم العثماني مع عزوها وترقيمها متناحياً لا أحمل التهميش أثقالاً، ووضعت الأحاديث النبوية بين شولتين مع نسبتها إلى مظانها وهي كتب السنة المشهورة وفي مقدمتها الصحيحين فإن وجدت الحديث فيهما اكتفيت بهما، وإلا فمَنْ كتب السنة المشهورة.

وحرصت على نسبة كل قول إلى صاحبه فأقوال المفسرين من تفاسيرهم، وأقوال المحدثين والشراح من كتبهم، وأقوال الشعراء من دواوينهم ...

وعند ذكرني للمصدر أو المرجع أول مرة أدون كل معلومات النشر، فإن كررت ذكره أكتفي بنسبة الكتاب إلى المؤلف بتسميته المشهورة، فإن كان للمؤلف أكثر من كتاب ذكرته وعنوان كتابه في كل مرة، مثل ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، أو ابن كثير، البداية والنهاية. وكل الكتب التي عاش أصحابها من الجاهلية حتى القرن الألف من الهجرة عددتها من المصادر، وما جاء بعد هذه الفترة عددته من المراجع ولو كان التصنيف فيه لأول مرة كبحوث الإعجاز العلمي مثلاً.

#### خامساً: مصادر البحث:

أعاني على البحث وجود مصادر ومراجع عدة وأهمها عندي:

أ- كتب التفاسير: حاولت الاطلاع على معظمها إثراءً للمادة العلمية، واستقصاءً لأراء جديدة أو مختلفة، واخترت أن أجمع في كل مسألة بين ثلاثة اتجاهات تفسيرية الإتجاه اللغوي ، الإتجاه السني، و الإتجاه المعاصر.

فمن المتقدمين اعتمدت تفسير "جامع البيان في تأويل آي القرآن" لصاحبه محمد بن جرير الطبري [224-310هـ]، وهو غني عن التعريف ويعد صاحبه قائد الفرسان باعتباره أول من دُون في هذا المضمار، يفسر الآيات بما حُفِظَ من السنة النبوية الشريفة ومن أقوال الصحابة والتابعين مُستَقْصِياً ذكر الآراء على اختلافها محاولاً الجمع بينها، وإلا صارَ إلى الترجيح ويكثر من إيراد أخبار الجاهليين وما كانوا عليه من عادات.

و اعتمدت تفسير "مفاتيح الغيب" لصاحبه فخر الدين الرازي [544-603هـ] الذي لا يخلو من اجتهاد واضح في التعمق في معنى الآيات وإشاراتها الخفية.

واعتمدت تفسير الكشاف لمحمود بن عمر الزمخشري [467-538هـ] لما فيه من إيجازات لغوية ومعاني بلاغية.

كما اعتمدت تفسير القرآن العظيم لصاحبه إسماعيل بن كثير [700-771هـ] وهو أحد أهم مصادر التفسير الموضوعي، يجمع كل الآيات التي تتحد في الموضوع ويُشبهها غالباً بالأحاديث والآثار إن وجدت مع إبداء رأيه عند الضرورة جمعاً أو ترجيحاً، نقداً وتمحيصاً.

ومن المتأخرين كان اعتماد دي الأكبر على "تفسير التحرير والتنوير" لصاحبه محمد الطاهر بن عاشور [1296-1323هـ]، لعدة اعتبارات منها أنه أحد مصادر التفسير الموضوعي فعند كل سورة يذكر سبب تسميتها وأغراضها، وأهم المحاور والمواضيع التي عالجتها، ويهتم باظهار أوجه المناسبات بين الآيات والسور مما قال به الأولون والآخرين أو مما اجتهد هو فيه بأسلوب سلس شائق، يجمع بين جمال اللفظ القرآني وبلاغته وبين الإشارة إلى المعاني الخفية والتلميح إلى الظاهر منها باختصار لا قصور فيه، هذا فضلاً عن الثروة العلمية التي حواها باعتباره من المتأخرين ففيه بعض زبد الأولين والآخرين وأهم سبب جعلني أعتمده أنه يهتم إهتماماً بالغاً بذكر ما كان عليه العرب في جاهليتهم وهو لب بحشي، ولولا أن يُوسَمَ قولي بالمبالغة أو العصبية لقلت إنه أعظم تفسير حتى إنه لُيَسْتَعْنَى به عن غيره.

ومن كتب التاريخ اعتمدت على كتاب "بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب" لصاحبه محمود شكري الألوسي [1856م-1924م] وهو كتاب من ثلاثة أجزاء، وعنوانه دليل مادته فبأسلوب جميل ورائق يتكلم عن أحوال العرب ومعاشرهم مُستدلاً على ذلك بما جاء من أشعارهم وما روي من أخبارهم إلا أنه يفتقر إلى التهميش.

واعتمدت أيضاً كتاب "المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام" لصاحبه "جواد علي" [1907-1988م]، يقع هذا الكتاب في عشرة أجزاء وعمل صاحبه جاهداً لاستقصاء ما كان عليه العرب قبل الإسلام في جميع مناحي حياتهم جاعلاً مصدره في ذلك القرآن والسنة، وأشعار العرب وأخبارهم و كتب اللغة والمعاجم، وزاد مصدراً آخر وهو الآثار والنقوش ودلالاتها التاريخية جامعاً بين النظرة العربية وما توصلت إليه البحوث الغربية وما كتبه علماءها و باحثوها، وهو كتاب موسوعة يشمل الحياة السياسية والاجتماعية والتشريعية والدينية والعلمية للعرب، غزير في مادته موضوعي في طرحه يتخلل البحث بعض الآراء النقدية، إلا أنه اعتمد أسلوباً استرواحياً، فهو لا يلتزم مثلاً في كل باب أو موضوع بطريقة بترتيب معين معجمي أو بلدي أو علمي، بل يبدأ حديثه تارة بمكة أو اليمن أو المدينة وقد يمزجها بالحقبة الإسلامية وهذا ما لا يشبه الطريقة الموسوعية المتعارف عليها.

ومن الكتب المعاصرة أيضاً كتاب المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم "لصاحبه أبي الأعلى المودودي" [1321-1399هـ]: مجموعة من المقالات نشرها المؤلف في مجلته "ترجمان الفرقان": ثم جعلها في رسالة وهو كتاب جليل في بابه غني في أفكاره مُلهم في أسلوبه ممتع في أبوابه على صغر حجمه وقد حوى دُرراً وتناثر عيراً، حيث جعل المقصد العام من القرآن مرده إلى أربع كلمات وكل الأحكام والمناقشات والمحاورات إنما تدندن حولها، فقد جاءت الشريعة تؤكد أن الدين معناه: أن الله هو الخالق، المُتَّصِفُ بالربوبية والتشريع، المستحق للعبادة الخالصة ثم تتبع قصص الأنبياء والرسل وأعاد قراءة الآيات بعين غير التي رأيناها وفهما غير الذي تلقيناها وهو أن معظم الأنبياء حاربوا الإِشْرَاقَ بالربوبية لأن أقوامهم كانوا يعترفون بالآلوهية تصریحاً أو تلميحاً علانية أو سرّاً، وجعل حُجُبَ الجهل التي غَشِيَتِ هذه المصطلحات سبباً للوهن والضعف في العقائد والأعمال وأسند كل مصطلح إلى معانيه اللغوية المختلفة، وماخصَّه العرب به من معنى، ثم يقارن ذلك بما جاء في القرآن وصحيح الأخبار محاولاً الربط والجمع ثم التوزيع

والتصنيف ليخلصَ إلى معناه في اصطلاح الشارع.

ومع أنني لم أنقل عنه كثيرا إلا أنه أفادني في طريقة التفكير وجعلني أتحرر من الصورة التي تصاحب مخيلتي عن العرب فيما كنا نسمعه ونقرؤه لأتجرد إلى سماع الحقيقة وأصدقها.

واعتمدت من كتب اللغة على: "لسان العرب": لصاحبه "جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور" [630-711هـ] لسهولة تناوله وحسن تبويبه وغازارة ثروته فلا يذكر أصل اللفظ وتصاريفه، إلا ويستدل عليه بشعر أو آية أو أثر، وهو غني عن التعريف.

كما اعتمدت في أحيان كثيرة على المعاجم المفهرسة لألفاظ القرآن ومعانيها وإن لم أذكرها تَمِيْشًا لأنني أعود إلى المصحف في كل مسألة لأتبع آياتها بنفسي.

#### سادساً: الدراسات السابقة:

بعد البحث عن دراسات سابقة تناولت الموضوع في بعض جزئياته أو تقاطعت معه أو اتحدت عثرت على العناوين التالية:

\*الاجتمع الجاهلي في القرآن الكريم أطروحة دكتوراه في جامعة الأزهر سنة 1970 .

\*تصوير القرآن الكريم للمجتمع الجاهلي، موقف عبد الرزاق خلف الديلمي رسالة دكتوراه.

\*عصر النبي وبيئته من خلال القرآن الكريم: محمد عزة دروزة، وهو كتاب يتطابق مع بحثي إذ يتطرق إلى أوضاع العرب قبل الإسلام من خلال آيات القرآن الكريم، وبقيت هذه الدراسات مجرد عناوين على صفحات رسالتي إذ عجزت عن الإطلاع على محتواه.

أمّا الدراسات السابقة التي اطلّعتُ عليها واستعملتها في بحثي فهي:

\*المعتقدات الدينية عند العرب قبل الإسلام لزيدان خلف هادي أفدت منه في التخطيط ونبهني إلى بعض المراجع المهمة في الموضوع.

\*تجليات الثقافة الجاهلية في لغة السور المكية: للباحثة منال يعقوب عبد الرحيم يعقوب وهي رسالة تبحث عن الحياة الجاهلية من الناحية الفكرية فيما تنطق به السور المكية، وتذهب الباحثة إلى أن عرب الجاهلية كانوا على ثقافة ثرية جدا لهذا جعلهم أول المخاطبين بهذا الكتاب

المعجز، مُسْتَشْهِدَةً بشعر المخضرمين والمسلمين، مركزة على ثقافة البيئة الطبيعية الصامتة المتمثلة في الكون ومنها الجبال، وعلى ثقافة الألوان مما جعلني أتجنب تكرار الخوض فيها، وأركز على العلوم الشفوية والبصرية، أي علم البلاغة والبيان ممتثلاً في الشعر والخطابة، وعلم الهيئة والقيافة والريافة...

وعثرت مؤخراً على عدة بحوث أكاديمية تتناول حياة العرب الجاهلية في الشعر الجاهلي كالجن والدم والشمس والقمر والملك، فسهلت علي المقارنة بين الطرح القرآني والشعري بقدر، لأنها نشرت حديثاً وحال الزمن دون التدقيق فيها.

### سابعاً المنهج المتبع:

لا يستطيع الباحث أن يعتمد منهجاً واحداً في البحث وإن ادّعاه، كما لا يستطيع أن يلمّ بجميع المناهج وإن اجتهد فلكل مبحث أسلوب يطغى عليه ويكون قلبه.

ومنهجنا المتبع في الدراسة هو الجمع والاستقراء للآيات القرآنية التي أتت على ذكر الموضوع، مع الاجتهاد في الربط بين أجزائها للوصول إلى وحدة موضوعية.

وكان أول ما فعلت بعد الاطلاع على الكتب والرسائل التي تتناول الموضوع محل البحث، وبعد جمع واستقراء كل الآيات التي موضوعها ما كان عليه العرب قبل البعثة، أن أفردت سورة الأنعام بالدراسة أولاً لأن مضمونها يخدم الرسالة و يكفينا ما جاء في الصحيحين عن ابن عباس - رضي الله عنه - أنه قال: "إذا سَرَكَ أن تعلم جهل العرب فاقراً ما فوق الثلاثين ومائة من سورة

الأنعام ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً

عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ الأنعام 140

### ثامناً: صعوبات البحث العلمي:

طريق البحث لم يكن مُعَبِّدًا يوماً وإلاً لانتفى معنى البحث فيه الذي يُوحى بالتعب والمشقة إلا أن صعوبة تذييله والسير فيه تختلف بحسب سعته وبحدود عمره وزمانه، وبقدرة الباحث وبيانه بناءً على مُدخراتها القبلية ومكتساباته الآنية وسُبُل استثمارها، ومن الصعوبات التي واجهتني:

- قلة المعلومات وتناقضها أحياناً:

كل من ألف كتاباً عن العرب وتاريخهم أو عن الإسلام ورسائله يجعل مدخله ومقدمته

حديث عام عن حالهم في الجاهلية في بضع سطور، وحتى علماء التفسير لا يذكرون ما كانوا عليه إلا إذا جعلوا منه وجه مناسبة أو سببا لتزول آية ليسهب في التفسير اللغوي أو الشرح السني أو الفقهي بحسب تخصصها؛ وهم في ذلك أحد رجلين رجلٌ ناقم على الحياة الجاهلية ساخطٌ عليها لا يذكر إلا مساوئها، ورجل معجب بأشعارها وأخلاقها لا يذكر إلا محاسنها. وعلل معظم الباحثين هذا الشح بالأثر الديني ويقصدون بذلك أن الإسلام كانت رسالته قائمة على نبد الجاهلية وما حوته وسعت لإزالة كل رواسبها، وخالف فريق آخر الفكرة وزعم أن العرب كانوا على حضارة وثقافة عالية وتطور ملفت في المجال الاقتصادي والسياسي فبالغوا.

و بعد عدة قراءات للنصوص الشرعية، انقلبت الصعوبة وصرت أرى في كل آية إشارة إلى القوم وما كانوا عليه وأرى في كل حرف تلميحا أو تصريحاً فخشيت إما أن أحمل الآية ما لا تطبق وأُغَيِّرَ من معناها لموضوع يشغلني أو لمذهب اطلعت عليه في كتاب يَسْتَمِيلُنِي، وإما أن اختزل معاني الآيات وأغفل عن تدبرها بما قد أذُمُ به ويصبح منقصة، فاجتهدت في التوسط والتقريب.

## ٢- صعوبة العرض العلمي:

أصعب ما يمكن للباحث أن يواجهه أن يحتزل معلوماته التي تَقَصَّاهَا ويُفاضل بينها فيضطر لإقصاء بعضها وتقديم أخرى، ولا يفعل هذا آخراً إلا وقد فعله أولاً في أخبار من سبقوه كل هذا طلباً للاختصار الذي يُشَوِّهُ القضية تماماً كالتطويل الذي يُزهدُ فيها، فيخشى المختصر التهمة بالتسرع في القطع بالنتائج التي تحتاج إلى أناة وروية، ويخشى المسهب التهمة بالتعقيد والهوس فيما يعتبر مُسَلِّمَاتٍ بَدْهِيَّةٍ، فإن اختار الانتقاء اعتبره البعض منافاةً لأصول البحث، فيتحير الباحث في اللغة التي يكتب بها والطريقة التي يطرح بها المواضيع مما يجعله حبس قفص النسبية، الذي تحوطه أسلاك الاحتمالات المبنية على دلائل تتأرجح بين اليقين والريبة، وخفف عني قول: "الكسيس كارل إن العبارات والجمل القصيرة التي نجدها في الكتب العلمية أو الأدبية أو التاريخية أو الاقتصادية.. هي خلاصة سنوات طويلة من الملاحظات والتجارب والصبر.. بل قد يستغرق حل مشكلة واحدة العُمُرَ كُلَّهُ".

## ٣-توارد الأفكار:

التهمة بالنقل دون تنقيص أو بالسرقعة العلمية أرتقتني، فقد أكتب أحياناً شيئاً واجتهد في إبداء رأي حتى إذا أتمته وجدته قد قال به غيري أو ما في معناه ولا أقصد بذلك أنني بلغت مبلغ العلماء ولكن أظن أن هناك حداً أدنى من الأفكار المتفق عليها التي تصل العقول السليمة إليها لاتحاد المنهج وقد قيل "كم من كلام تُنشئه تجدك قد سبقك إليه مُتكلم، وكم من فهمٍ تَسْتَظْهِرُهُ وقد تَقَدَّمَكَ إليه مُتَقَدِّمٌ"، وإن كان هذا أزعجني من زاوية القاريء المناقش فقد أسعدني من زاوية الباحث المبتدئ، الذي يُطالب بالتجديد والإبداع وتفادي التكرار، وقد قيل:

إذا تحدثت في قوم لتؤنسهم      من الحديث بما مضى وما يأتي  
فلا تُعاود حديثاً إن طبعهم      موكلاً بمُعَاداةِ المعاداتِ

وسواء كنّا من المتأخرين بالنسبة لمن قبلنا، أو من المتقدمين بالنسبة لما بعدنا، فما من عمل إلا وحوى نقائص مهما اجتهد صاحبه في تحسينه إذ الكمال رمز يُسعى إليه ولا يُطال، واختيار الكلام وحسن ترتيبه وتبويبه أشد من رمي النبال، فنعتذر عن التقصير غير المتعمد، أو سوء استعمال لتعبير أو سوء فهم، أو عجز عن بيان أو تكرار أو تعصب لرأي لقصر في فهم الباحث المبتدئ.

وظنَّ به خيراً وسامحٌ نسيجهُ      بالاغضاءِ والحُسنى وإن كان هلهلاً  
وسلمٌ لإحدى الحُسنيينِ إصَابَةٌ      والأخرى اجتهادٌ رامٌ صوباً فأمحلاً  
وإن كان حرقٌ فادركهُ بفضيلةٍ      من الحلمِ وليُصلِحهُ من جادٍ مقولاً

# المفصل الأول:

ضبط مصطلحات البحث  
من خلال القرآن الكريم

جامعة الأمير  
العلماء  
للعلوم الإسلامية



## المطلب الأول: مفهوم الصورة من خلال القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾<sup>1</sup> الانفطار 8

- لغة: الصُّورَةُ بالضم: الشكل ج: صُورٌ، وتستعمل الصورة بمعنى النَّوع والصفة، يقال صُورَةُ الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته<sup>1</sup>، والصُّور: النَّخل الصغار أو المجتمع<sup>2</sup>.  
- اصطلاحاً: الصورة ما ينتقش به الأعيان ويتميز بها غيرها وذلك ضربان:

\* محسوس: يدركه الخاصة والعامة بل يدركه الإنسان وكثير من الحيوان كصورة الإنسان والفرس بالمعاني.

\* معقول: يدركه الخاصة دون العامة كالصورة التي اختص الإنسان من العقل والرؤية والمعاني التي خص بها شيء بشيء<sup>3</sup>

والتصوير: التخطيط والتشكيل الذي يكون به صورة وهيئة يُعرَفُ بها ويتميّز عن غيره بسمتها<sup>4</sup>

- قرآناً: وردت كلمة "صُورَة" في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الانفطار ومن

تصاريدها الواردة، صُورَكُم<sup>5</sup>، صُورَنَاكُم<sup>6</sup>، يُصَوِّرُكُم<sup>7</sup>، الصُّور<sup>8</sup>.

وغالباً ما يتقدم ذكر التصوير في القرآن الكريم ذكرٌ للخلق، ويعقبه وصفٌ بالحسن أو الكرامة،

كقوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَهُ فَأَحْسَنَ صُورَهُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾<sup>3</sup>، وهو

---

<sup>1</sup> جمال الدين مكرم بن منظور، لسان العرب، ت عبد الله علي الكبي، (دار المعارف، القاهرة، دط، دت)، ج 28، ص 2523.

<sup>2</sup> مجد الدين محمد الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت محمد نعيم العرقسوسي، (دارالرسالة، ط8، 1426هـ-2005م)، ص 127.

<sup>3</sup> حسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت. محمد خليل عتياني، (دار المعرفة، بيروت، ط4، 1426هـ-2005م)، ص 289.

<sup>4</sup> محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه الآي والقرآن، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار الرسالة، ط1، 1427هـ-2006م)، ج 20، ص 393.

<sup>5</sup> غافر، 64، التغابن، 3.

<sup>6</sup> الأعراف، 11.

<sup>7</sup> آل عمران، 6.

<sup>8</sup> الأنعام، 73، الكهف، 99، طه، 102، المؤمنون، 101، النمل، 87، يس، 51، الزمر، 6، ق، 20، الحاقة، 13، النبأ، 18.

إدماج امتنان على الناس فقد خلقوا في أحسن تقويم إذ كانت صورة الإنسان مُسْتَوِفِيَةً الحسن متماثلة فيه؛ ولا تَعْتَوِرُ الإنسان نقائص في صورته إلا من عَوَارِضَ تعرض له في مُدَّةِ حياته فَتَشَوُّهُ بعض محاسن الصور فلا يعد ذلك من أصل تصوير الإنسان.<sup>1</sup>

وفي سورة الانفطار أيضا سَبَقَ ذكر التصوير ذكْرًا لِلخَلْقِ والتسوية والتعديل<sup>2</sup> مقرونا بالمشيئة {ما شاء ركبك}؛ وتعليق الخلق بالمشيئة الإلهية لِيُنْبَهَ أنه خَلَقَ الناس بمشيئته على النحو الذي يريده فأحسن خلقهم وجعل لهم مشيئة في أنفسهم، وفيه إشارة إلى:

\*إيقاض الصورة الذهنية والفكرية الجامدة والعقيدة المشوهة التي لا تتناسب مع الصورة الخارجية وسببها الجهل الديني، فعن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية {ما غرك بربك الكريم} فقال: غرُّهُ واللَّهِ جَهْلُهُ<sup>4</sup>؛ وجهله بالله تعالى جعله يغير صورته الحنيفية التي وهبها الله إياه بمعتقدات باطلة فهو -تعالى- عدلُّهُ في أحسن صورة لكنه عدلٌ بها إلى طريق الكفر والشرك.

\*إشارة إلى أن كثرة الخلق وتعددده لم تُفَضِّ إلى التكرار والمماثلة بل أفضت إلى إعجاز التنوع ولعل المراد بالصورة هنا أقسامها الثلاثة: (صورة الجنس، صورة الهيئة الخارجية، الصورة الداخلية):

أ- صورة الجنس: والمقصود بها لو شاء لخلقك خلقًا غير خلق البشر كالحیوانات مثلا في صورة حمار أو قرد أو...

وإن كنت أراه بعيدًا لأنه يفضي إلى قُبْحٍ في المعنى فيقال: أحسن تصوير الإنسان وأساء تصوير غيره من الحيوان، وهو ما يتعارض مع قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ السجدة 7.

ب- الصورة الخارجية (الهيئة): التي اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحُسن والقُبْحِ وفي السواد والبياض والطول والقصر والسلامة والعاهة والذكورة والأنوثة، والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (الدار التونسية للنشر، دط، 1984م)، ج 28، ص 265.

<sup>2</sup> الخلق: الإيجاد على مقدار مقصود، التسوية: جعل الشيء قويمًا سليمًا، التعديل: التناسب بين أجزاء البدن، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 30، ص 175-176.

<sup>3</sup> وكذا في سورة آل عمران آية 6 (هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ).

<sup>4</sup> جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت. عبد الله عبد الحسن التركي، (دد، القاهرة، ط 1، 1424هـ) -

2003م)، ج 15، ص 283.

<sup>5</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت. عبد الله التركي، (دارهجر، القاهرة، ط 1، 1422هـ-2001م)،

ج- الصورة الداخلية: بأن منحه عقلاً مميزاً وصفات فطرية ووَكَلَ إليه حرية التصرف والاختيار المبنية على النظر في الكون والتفكير انطلاقاً من الذات؛ فليس من رَكَبَهُ على صورة الولاية كمن ركب على صورة العداوة<sup>1</sup>، وهي حالة كمال في الخلق بأن كان الانسان على الصورة المتقنة حسناً وشرفاً بما فيها من مشاعر الإدراك والتدبير.<sup>2</sup>

والخلاصة هي: أن القرآن الكريم سعى سعياً حثيثاً لتوجيه أنظار العرب في التفكير في صورة أنفسهم السوية الداخلية والخارجية وقد خالفت بقية الموجودات خلاف تميز وتكريم، فالواجب شكر المنعم وإتمام الحُسن بالاعتقاد في الخالق والإيمان به.

إنَّ الله تعالى قَسَمَ صور الحسن بين الناس على تقدير منه وفق مشيئته، وأعطى للإنسان مشيئة في نفسه بتحسين صورته الداخلية بعد أن منح كل مكلف عقلاً يَزِنُ به الحسن من القبح.

والصورة التي نسعى لدراستها في هذه الرسالة هي صورة الحياة الفكرية و العقديّة الجاهليّة وانعكاساتها الاجتماعيّة والأخلاقيّة.

---

ج24، ص 179، محمود بن عمر الزمخشري، الكشف، ت. علي محمد عوض، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ) -  
1998م)، ج6، ص 330- 331، محمد فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، دتح، (دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ) -  
1981م)، ج31، ص 82، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج5، ص 15، عبدالرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير  
القرآن، ت. علي محمد معوض، (دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ-1997م)، ج5، ص 560، محمود الألوسي، روح  
المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، دط، دت)، ج30، ص 64

<sup>1</sup> الفخر الرازي، المصدر السابق، ج 31، ص 82.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 8، ص 36.

المطلب الثاني: مفهوم المجتمع العربي من خلال القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ

أَنْتُمْ تُجْتَمِعُونَ﴾ الشعراء 39.

١- المجتمع :

- لغة: الجمع: اسم لجماعة الناس، جَمَعْتُ الشيء إذا جِئْتُ به من ههنا وههنا، وَتَجَمَّعَ القَوْمُ اجْتَمَعُوا أيضا من ههنا وههنا، والجمع: يكون اسماً للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه والجميع ضد المتفرق وهو الحيُّ المجتمع.

قال لبيد<sup>1</sup>: عَرَيْتُ، وَكَانَ بِهَا الجَمِيعُ فَأَبْكَرُوا مِنْهَا وَغَوَدَرَ نُؤْيُهَا وَثَمَامُهَا<sup>2</sup> [الكامل]

-إصطلاحاً: مجموعة من الأفراد يقوم بينهم نمط من التفاعل النفسي ويعتمد كل فرد منهم على الجماعة في تحقيق أهداف محددة أو مقابل احتياجات معينة ويكون للجماعة وحدتها الذاتية التي يُسَلِّمُ بها أعضاؤها الآخرون.<sup>3</sup>

يمثل هذا التعريف شقاً من المجتمع العربي الذي كان يعرف بالقبيلة آنذاك، والرابط بينهم هو النسب، ولهم أعراف وتقاليد مجبرون على تطبيقها واحترامها بل وعلى تقديمها وتقديمها على المصلحة الشخصية وسنكشف مطوياتها في بحثنا بحسب المناسبة.

-قرآناً: لم يرد ذكر المجتمع في القرآن الكريم بهذا الإطلاق وإنما وردت مشتقات له:

---

<sup>1</sup> هو لبيد بن عمار بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة كنيته أبو عقيل، من فحول شعراء الجاهلية وفرسانهم وأشرفهم، عَدَبُ المنطق رقيق حواشي الكلام، قدم على النبي ﷺ عام الوفود فأسلم وحسن إسلامه وامتنع عن قول الشعر مذ أسلم إلا بيتاً واحداً: "الحمد لله إذا لم يأتيني أجلي حتى كساني من الإسلام سربالاً"، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، ت علي محمد عمر، (مكتبة الخاجي، القاهرة، ط1، 1421هـ-2001م)، ج6، ص192-193، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، ت مصطفى أفندي السقا، (ط2، 1350هـ-1932م)، ص274-275، محمد بن سلام الجُمحي، طبقات فحول الشعراء، ت محمود محمد شاكر، (دار المدني جدة، دط، دت)، ج1، ص135، عبد القادر بن عمرو البغدادي، خزنة الأدب ولب لباب العرب، ت. عبد السلام محمد هارون، (مكتبة الخاجي القاهرة، ط4، 1418هـ-1997م)، ج2، ص24.

<sup>2</sup> ابن منظور لسان العرب، مج1، ج8، ص678-679، لبيد بن ربيعة، ديوان، ت إحسان عباس، (دار التراث العربي، الكويت، دط، 1962م)، ص300.

<sup>3</sup> فهمي الغزوي، المدخل إلى علم الاجتماع، (دار الشروق، عمان، ط1، 2006م)، ص120.

كالجَمْع<sup>1</sup>، جَمَعَ<sup>2</sup>، نَجَمَعَ، جُمِعَ<sup>3</sup>، جَمَعْتُكُمْ<sup>4</sup>، يَجْمَعُونَ<sup>5</sup>، فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً<sup>6</sup>، لِيَجْمَعَنَّكُمْ<sup>7</sup>، لَجَمَعَهُمْ<sup>8</sup>، الْجَمْعَانِ<sup>9</sup> أَجْمَعُونَ<sup>10</sup>، أَجْمَعِينَ<sup>11</sup>، مَجَمَعَ<sup>12</sup>، مُجْتَمِعُونَ<sup>13</sup>... وتنوع هذه الاشتقاقات والتصاريح أدّى إلى تنوع معانيها والغالب فيها أن تأتي في مقام المدح أو الذم مثل:

### 1- في مقام المدح:

كأن يصف قدرة الله عز وجل على الإحياء والإماتة، والتحكم في أشرار الساعة وميقاتها ومحاسبة الناس فيها على الهداية أو الضلال، أو على تعميم الأمر كسجود جموع الملائكة لآدم -عليه السلام- أو شمول العذاب لمن بارزه بالعداوة والعصيان كالشيطان وأوليائه وبيانه كالتالي:

\* قدرة الله عز وجل على الإحياء والبعث، وكان العرب يُشكِّكون في القدرة على إحياء الموتى، وأشد منه جمع الأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ القيامة<sup>3</sup>، كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَى﴾ المرسلات<sup>38</sup>.

\* قدرة الله على تحديد يوم القيامة وعلى محاسبة الخلق، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ﴾ ذلك يوم التغابن<sup>9</sup>، وكقوله تعالى: ﴿كَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾

<sup>1</sup> الشورى<sup>7</sup>، القمر<sup>45</sup>، التغابن<sup>9</sup>.

<sup>2</sup> الهمزة<sup>2</sup>.

<sup>3</sup> القيامة<sup>3-17</sup>.

<sup>4</sup> الأعراف<sup>48</sup>.

<sup>5</sup> يونس<sup>58</sup>، الزخرف<sup>32</sup>.

<sup>6</sup> الكهف<sup>99</sup>.

<sup>7</sup> النساء<sup>87</sup>، الأنعام<sup>12</sup>.

<sup>8</sup> الأنعام<sup>35</sup>.

<sup>9</sup> آل عمران<sup>155-166</sup>، الأنفال<sup>41</sup>، الشعراء<sup>61</sup>.

<sup>10</sup> الشعراء<sup>95</sup>، ص<sup>73</sup>.

<sup>11</sup> البقرة<sup>161</sup>، آل عمران<sup>87</sup>، الأنعام<sup>149</sup>، الأعراف<sup>18</sup>، يوسف<sup>93</sup>، الحجر<sup>43-59</sup>، النحل<sup>92</sup>، الأنبياء<sup>77</sup>، الشعراء<sup>49</sup>،

65-17، النمل<sup>51</sup>، السجدة<sup>13</sup>، الصافات<sup>134</sup>، ص<sup>82</sup>، 85، الزخرف<sup>55</sup>، الدخان<sup>40</sup>.

<sup>12</sup> الكهف<sup>60</sup>.

<sup>13</sup> الشعراء<sup>39</sup>.

مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿آل عمران 25﴾ .

\*قدرة الله عز وجل في التصرف في قلوب الناس بحسب مشيئته: قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿الأنعام 35﴾

\*إمتنانه على جمع القرآن وحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾ القيامة 17.

\*نجاة المؤمنين وإهلاك الظالمين، قال تعالى: ﴿إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ الصافات 134، وقال

تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ النمل 51.

أو للدلالة على أن سنة الله في الدنيا والآخرة هو افتراق الناس إلى جماعتين :

\*في الدنيا: في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل

عمران 166

\*وفي الآخرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾

سبأ 26

-2- في مقام الدم: يكون غالبا إذا أسند فعل الجمع للإنسان أو الشيطان ومثاله:

\*دم كيد الكافرين وتجمعهم من أجل الباطل: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ﴾ طه

60.

\*دم كيد العصاة، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا

أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ يوسف 102.

\*دم كيد الشيطان وأولياؤه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ

وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ الحجر 39.

\*دم جمع المال المفضي إلى الكفر والمعين على الكبر، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي

أَوْلَمْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ القصص 78.

والخلاصة أن الجمع جمعان، جمع في الدنيا وجمع في الآخرة، والناس فيه جماعتان جماعة في الجنة

وأخرى في النار، والمجموعون هم الأولون والآخرون، والجامع الحاكم المفرقهم إلى جماعات هو الله عزوجل، ولذلك سمي يوم القيامة بيوم الجمع.

## ٢- العربي:

- لغة: العربي الفصيح البين من الكلام، قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ الشورى 7، تقول رجل عربي اللسان إذا كان فصيحاً، وروي عن النبي ﷺ: «الطيب تُعَرَّبُ عن نفسها»<sup>1</sup> أي تُفصِّح، ويُقال أَعْرَبَ عَمَّا في ضميرك أي أبَّن، ومن هذا يقال للرجل الذي أفصح بالكلام أَعْرَبَ<sup>2</sup>، ورجُلٌ مُعْرَبٌ إذا كان فصيحاً وإن كان عجمي النسب.

والعرب أهل الأمصار والأعراب منهم سكان البادية<sup>3</sup>؛ فإن كل أمة لها حضرة وبادية فبادية العرب الأعراب، وبادية الروم الأرمن، وبادية الفرس الأكراد، وبادية الترك التتر<sup>4</sup>...

- إصطلاحاً: يطلق العرب لقوم جمعوا عدة أوصاف:

- أحدها: أن لسانهم كان اللغة العربية.

- الثاني: أنهم كانوا من أولاد العرب.

- الثالث: أن مساكنهم كانت أرض العرب؛ وهي جزيرة العرب التي هي من بحر القلزم إلى بحر البصرة ومن أقصى حجر باليمن إلى أوائل الشام بحيث تدخل اليمن في دارهم ولا تدخل فيها الشام وفي هذه الأرض كانت العرب حين المبعث وقبله.<sup>5</sup>

- قرآناً: لم يرد ذكر لفظ "العرب" في الكتاب العزيز بأسلوب النداء أو التخصيص لقبيلة ما أو طائفة مخصوصة كما هو الحال في لفظ الأعراب مثلاً حيث نجد: "ومن الأعراب"، "ومن حولكم من الأعراب"، "وجاء المعذرون من الأعراب"، "الأعراب أشد كفراً ونفاقاً"... بل نجد لفظ عربي يأتي

<sup>1</sup> ابن ماجه، السنن، ت محمد فؤاد عبد الباقي، (دار الفكر، بيروت، دط، دت)، كتاب النكاح، باب استثمار البكر والثيب، ج 1، ص 602، [رقم 1872].

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج 32، ص 2865.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، مج 4، ج 32، ص 2864.

<sup>4</sup> أحمد عبد الحليم بن تيمية، اقتضاء الصراط لمخالفة أصحاب الجحيم، ت. ناصر العقل، (دارالرشد، الرياض، دط، دت)، ج 1، ص 373.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 406.

مضافا للسان أو القرآن الكريم ، كقوله تعالى: ﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء195، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف3.

فكأنه يُعد شرط العروبة الأول للسان العربي، فكل من نطق به فهو العربي المخاطب والمكلف بالرسالة ثم يأتي اعتبار المكان ثانيا في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَأَرْيَبَ فِيهِ﴾ الشورى7.

وأما القرى "مكة" والمخاطبون هم أهلها "قريش"، وسميت بذلك لأنها أقدم المدن العربية فدعاها العرب "أُمَّ الْقُرَى"<sup>1</sup>، والأُمَّ تطلق على أصل الشيء،<sup>2</sup> وهي الآية الوحيدة التي جمعت بين اعتبار اللسان العربي والمكان في تحديد أصل العرب.

وعلى هذا الاعتبار سيتم بحثنا، فنحن نقصد بدراسة المجتمع العربي قبل الإسلام أهل مكة دون الخوض في تقسيمات العلماء والمؤرخين للعرب إلى قسمين أو إلى ثلاث وهم:

العرب البائدة: الذين انقرضوا وبادوا كقوم عاد وثمود، و العرب العاربة وهم القحاطيون، والعرب المستعربة وهم العدنانيون أبناء اسماعيل - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

ونسعى في بحثنا للإجابة عن هذا السؤال: لم اختار الله العرب لحمل هذه الرسالة ولم اختار هذه اللغة للإعراب بما عن دينه؟

1- إن الاعتزاز بالنفس والإعتداد بما هو الذي جعل العرب يطلقون على لغتهم اسم العربية دليلا على الفصاحة والإبانة، ويطلقون على لغة غيرهم الأعجمية وعلى ناطقها الأعاجم، وهو اسم يطلق على الحيوان فلما لم يفهمو لغتهم جعلوهم والحيوان سواء، وفيها تهمة التنقص والازدراء لغيرهم وتزكية ضمنية لأنفسهم مع استشعارهم التقدم.

<sup>1</sup> ولأُم القرى معنى آخر في الدراسات الحديثة؛ إذ ثبت أن مكة المكرمة تتمركز في قلب دائرة تمر بأطراف جميع القارات، أي أن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة على مكة المكرمة توزيعا منتظما وأن هذه المدينة تعد مركز اليابسة، ومركز التجمع الإشعاعي للتجاذب المغناطيسي، وهو نفس المعنى الذي أشار إليه ثلثة من المفسرين في تعريفهم لمكة، يحيى وزيري، إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة (دار جيباد، السعودية، ط1، 2012م)، ص18-32، منيرة القحطاني، جريدة الرياض



وجاء القرآن يوافق هذا المعنى التمييزي بين العرب وغيرهم ترديداً لما هو قائم في الأذهان عامة قبل نزول القرآن من كون العرب جميعهم أمة متميزة و من كون غيرهم يعرف ذلك.<sup>1</sup>

ومثيراً لمعاني العزة والشرف والحظوة في نفوسهم يُذكرُ القرآن العرب أنه أنزل بلسانهم مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف<sup>2</sup>، والذين يعقلون القرآن قبل الناس كلهم هم العرب أنزل بلسانهم دون جميع الألسنة حتى يعلموا أنه أنزل لهم وفيهم قبل الناس كلهم؛ فمن الطبيعة العربية الخالصة أهما لا تخضع للأجنبي في شيء لا في لغتها ولا في شيء من مقوماتها ولذلك نرى القرآن يذكرها بالشرف.<sup>2</sup>

وإن كنت لا أسلم بهذا الرأي جملة، فالعربي وإن اعتر بعروبته وتعصب لأعراف قومه إلا أن هذا لم يمنعه من الاندماج في ثقافة غيره بل ومن الخضوع لها أحياناً، فنجد العربي مثلاً يأخذ من لهجات غيره مع تمنعه من الذوبان الكامل، فلا تخلو اللفظة من لمسة عربية ينقحها وهو ما عُرفَ بالمعرب.

ودعوى عدم الخضوع للأجنبي لاتصلح حجة أمام الحقائق التاريخية فالعرب ما بدّلوا دينهم وانحرفوا عن الحنفية إلا لأنّ لهم قابلية التلقي والتقليد فكان استيرادهم لدين الوثنية علي يد عمرو بن لحي "أو علي يد الجرهميين"<sup>3</sup>، وحتى القلة التي عارضت الوثنية-الحنفاء-رحل بعضهم ضارين في الأرض يطلبون ديناً غير ما وجدوا قومهم عليه وبحث بعضهم في الكتب فتنصروا فكان الكلُّ مُقلداً.

أضف إلى ذلك أن حياة القوم الاقتصادية قائمة على التجارة وتبادل السلع مع شعوبٍ أخرى والمستورد لسلعة ما مستورد لثقافة قومها ولغتهم، وباعتبارها عاصمة للسياحة الدينية والتجارية يَفدُ إليها الناس من كل مكان فلا بد لهذا الإحتكاك أن يُثْمِرَ إمتزاجاً في المصطلحات والعادات فدعوى أن العرب مُنْعَلِقُونَ على أنفسهم مُتَعَصِّبُونَ لقيمهم لا تقوى على الثبوت.

2- على أن وسم القرآن الكريم "بالعربي" إشارةً إلى صدق العربي وصفائه؛ فالعربي فصيح مبین

<sup>1</sup> محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، (المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت)، ج 5، ص48-49.

<sup>2</sup> عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير، (مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دط، 1402هـ-1982م)، ص426.

<sup>3</sup> هناك نظرية تقول أن الوثنية في الجزيرة سبقت عهد "عمرو بن لحي" وأن من أدخلها إلى مكة هم "قبيلة جرهم" التي تولت البيت قبل خزاعة وأتت بمجسمات وثنية، زيدان خلف هادي الموازي، المعتقدات الدينية الوثنية عند العرب قبل الإسلام في القرآن الكريم، إشراف خالد موسى عبد الحسين، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1429هـ-2008م)، ص58-59.

عمًا في داخله دون تكلف أو تصنع، وذكاؤه يظهر في لغته فكثيرا ما يعتمد على اللَّمَحَة الدَّالَّة والإشارة البعيدة كما يظهر في حضور بديهته، فماهو إلا أن يُفجَّأ بالأمر فيفجؤك بحسن الجواب، فهو يُقَلِّبُ المعنى الواحد على أشكال متعددة، فَيُبْهِرُكَ تفننه في القول.<sup>1</sup>

من المفروض أن المحيط البدائي يدعو إلى السِّدَاجَة والسطحية الفكرية ولا يشجع على التجديد والإبداع، أو يدعو إلى همجية ورعونة منطق، أضف إلى ذلك أن كثرة طَرُقِ هذه المواضيع القليلة من السنة عدة ولأزمنة يفضي إلى السَّامة والملل، ولكن هذا الاحتمال المنطقي يتضاءل ويتعارض أحيانا مع ما فاجأتنا به الحياة الجاهلية فأثمرت هذه البيئة نتيجة عكسية من الناحية الفكرية، فنجد عرب الجاهلية ذوو فصاحة وبيان ودقة معنى وقوة حجة ولم يمنعهم إلفُ العادة وإتحاد الموضوع من الابتكار والإبداع.

وتجد العربي يُكابدُ صراعا مريراً بين غريزة البقاء وحب النفس فيدفعه إلى الغلظة والقتل والسي، وبين الفطرة الإنسانية الخيرة التي تدفعه لمكارم الأخلاق ومعاليها كالجود والإيثار وإغاثة الملهوف.. ما يجعلنا نتساءل هل اعتمد العرب على الخيال لتغذية الوصف ولذلك فروا إلى التمثيل والتشبيه فأثروا الكلمات ونبغوا في البيان، أم أن البيئة البدائية أثرت تأثيراً سلبياً على السلوك و تأثيراً إيجابياً على الفكر فكانت تصفي الذهن وتكدر الروح فيضطرب السلوك؟.

لعل السكون واتساع الأزمان دفع العرب إلى إعمال العقل في ترويض اللسان مع إقامتهم لمباريات تنافسية بين الأقوام في الأسواق تارة، وفي الحروب الكلامية تارة أخرى ما حوّل الحياة التي يمكن أن تكون سطحية ومُملَّة إلى حياة زاخرة ومُنتجة، وعرب مكة وإن لم يعيشوا في القصور الفارهة والطبيعة الخضرة إلا أنهم كانوا عروة الربط بين القديم المتوارث المقدس وبين الجديد المستورد الملهم، إضافة إلى رعاية إلهية بتميز يعطيه الله أنى يشاء، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ الرحمن 2-3.

3-عربي في ترجمته لقصص الأمم السابقة مع أنبيائهم وصالحهم وطاليجهم وإثرائه لمعلوماتهم بأخبار جديدة جهلواها، وجعلهم مصدرا لتبليغها لمن لا يعلمها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هود 49.

<sup>1</sup> أحمد أمين، فجر الاسلام، (دار النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1965 م)، ص37.

4-عربيٌ بما أثاره من حِكْمٍ وأمثال وتشريعات، ومن ابتكاره لكلمات لم يكونوا ليعقلوها عن عالم الغيب والألوهية كالصُّور، والبرزخ، والجنة والنار والفردوس...، وتخصيصه لكلمات جعلت علمًا لشعائر أو أحكام دينية كالصلاة والوضوء، النفاق والفسوق... مما عرف بمبتكرات القرآن.

5-عربيٌ في أحكامه، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾<sup>1</sup> الرعد 37؛ فحصل لهذا الكتاب كمالان كمال من جهة معانيه ومقاصده وهو كونه حَكْمًا، وكمال من جهة ألفاظه وهو المكنى عنه بكونه عربيًا، وذلك ما لم يبلغ كتاب قبله لأن الحكمة أشرف المعقولات فيناسب شرفها أن يكون إبلاغها بأشرف لغة وأصلحها للتعبير عن الحكمة.<sup>1</sup>

إن أي كلام بشري مهما بلغ حسنه واجتهد القائل في نظمه قد يعتره نقص، فقد يُعربُ عما في ضميره فيحسُن، وقد يسيء والإساءة تكون إما من ناحية التفكير والحكم، أو من جهة التعبير وتلقين الحُجة، وهذا الكتاب بَرِيءٌ من النقيصتين فلا يحتاج معه المتلقي إلى تقليب القول والمعنى ليجد خلا في الحكم أو عِلَّةً في البيان فاكتمل من الجهتين.

6-عربيٌ في جعله سبباً لحياة اللغة وامتدادها السَّرْمدي حتى جعلها لغة أهل الجنة، قال تعالى: ﴿عُرْبًا أَرَابًا﴾ الواقعة 37، فاللغة التي اختارها الله للدين والدنيا اختارها للآخرة، بل وجعلها لغة رسمية دون منازع يتخاطب بها جميع الناس، إنه يطمئن العرب أن اللغة التي تقدمت في عالم الشهادة الدنيوي لا يمكن أن تتأخر في عالم الغيب الأخروي، إن شرفها ممتد في جميع الأزمان ما يدعو إلى الاعتزاز بها، والعالم الأخروي الذي يجهله الناس والذي لا بد من السير إليه لا غُرْبَةَ فيه لأن لغة التخاطب بينهم هي لُغَتُهُم فهم أصحاب الرياسة هنا وهناك، وحياسة الرياسة مشروطة بتصحيح العقيدة التي تعرضت للتبديل والتحريف.

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج، 13 ص 160.

### المطلب الثالث: مفهوم الجاهلية من خلال القرآن:

- لغة: الجهل نقيض العلم، والجهالة أن تفعل فعلا بغير العلم، والمعروف في كلام العرب جهلت الشيء إذا لم تعرفه والجاهلية: زمن الفترة ولا إسلام وقالوا: الجاهلية الجهلاء فبالغوا.<sup>1</sup>

- اصطلاحاً: الجهل على ثلاثة أضرب:

\* الأول: وهو خلو النفس من العلم.

\* الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

\* الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً

كمن يترك الصلاة متعمداً قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَخِذْنَا هَذَا هُزُؤًا قَالِ أَعِزُّ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ البقرة 67، فجعل فعل الهزو جهلاً.<sup>2</sup>

- قرآناً: الجاهلية مصطلح قرآني مستحدث، ظهر بظهور الإسلام وقد أطلق على حال العرب قبل الإسلام تمييزاً وتفريقاً عن الحال التي صار عليها العرب بظهور الرسالة... ما يدل ضمناً على شيء من الازدراء والاستهجان للأوضاع السابقة في غالب الأحيان.<sup>3</sup>

وعده ابن عاشور<sup>4</sup> لفظ الجاهلية من مبتكرات القرآن الكريم التي وصف بها أهل الشرك تنفيراً من الجهل وترغيباً في العلم ولذلك يذكره القرآن في مقامات الذم.<sup>5</sup>

ورد لفظ "الجاهلية" في القرآن باللفظ الصريح أربع مرات في أربع سور مدنية سورة آل عمران، سورة المائدة، سورة الأحزاب، سورة الفتح، ومن اشتقاقاته الواردة في السور المكية والمدنية معا ما بين

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 1 ج 1، ص 524.

<sup>2</sup> الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص 109.

<sup>3</sup> جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (جامعة بغداد، ط 2، 1413هـ-1993م)، ج 1، ص 37.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور: [1327-1390هـ/1909-1970م] أديب خطيب مشارك في علوم الدين من طلائع النهضة الحديثة الناهين في تونس، تخرج بالمعهد الزيتوني وأصبح أستاذاً ثم عميداً، شغل خطة القضاء ثم منصب مفتي الجمهورية، وهو من أعضاء "الجمع اللغوي" بالقاهرة "ورابطة العالم الإسلامي بمكة، خير الدين الزركلي، الأعلام، (دارالعلم للملادين، بيروت، ط 15، 2000م)، ج 6، ص 325.

<sup>5</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 4، ص 136.

اسم، وفعل، وصفة: الجاهلون<sup>1</sup>، جاهلون<sup>2</sup>، الجاهلين<sup>3</sup>، الجاهل<sup>4</sup>، جهول<sup>5</sup>، تجهلون<sup>6</sup>، يجهلون<sup>7</sup>، جهالة<sup>8</sup> ويكثر ورودها في:

\*قصص الرسل و حواراتهم مع أقوامهم؛ فلكل نبي جاهلية عقلية أو عملية أمر بمُحَارَبَتِهَا وإزالتها  
مثاله قوله تعالى على لسان نوح -عليه السلام- في خطابه لقومه: ﴿وَيَقَوْمٍ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَآ إِنِّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلِنُكَبِّتْ أَرْكَكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ هود 29.

وقال تعالى على لسان لوط -عليه السلام- معاتباً لقومه: ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ النمل 55.

وقال تعالى على لسان موسى -عليه السلام- ﴿وَجَوَازِنَا بَيْنِي إِسْرَاءَ يَلِ الْبَحْرِ فَأَتَوْنَا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ الأعراف 138.  
\*وتأتي الجاهلية في حوارات الله عزوجل مع أنبيائه ورسوله -عليه السلام- محذراً منها عندما تدق وتخفى، لغلبة العاطفة أو عند اختلاطها بالحق وإن شرف القصد وحسنت الغاية، مثال الأول قوله تعالى: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود 46.

ومثال الثاني قوله تعالى مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ الأنعام 35.

<sup>1</sup> الفرقان 63، الزمر 64.

<sup>2</sup> يوسف 89.

<sup>3</sup> البقرة 67، الأنعام 35، الأعراف 199، هود 46، يوسف 33، القصص 55.

<sup>4</sup> البقرة 273.

<sup>5</sup> الأحزاب 72.

<sup>6</sup> الأعراف 38، هود 29، النمل 55، الأحقاف 23.

<sup>7</sup> الأنعام 111.

<sup>8</sup> الحجرات 6.

\*وقد تأتي الجاهلية بمعنى اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه مما لا يمكن الاحتراز منه ولا يُذم المرء لأجله إذ لا يترتب عنه كسب إثم ولا يزيد العلم به زيادة أجر ، كقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ البقرة 273.

من خلال ماتقدم يتضح جليا أن هناك جاهلية مذمومة حُذر الأنبياء -عليهم السلام- منها وكان مبعثهم من أجل إزالتها وهناك جاهلية مُتجاوز عنها تدل على النقص والتقصير غير المتعمد، قد تقع لبعض الأنبياء -عليهم السلام- وتقع لعامة الناس في معاشهم.

لقد حذر الله تعالى نبيه ﷺ وصحابته -رضوان الله عليهم- من جاهلية عربية وأمرهم بالإعراض عنها، قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف 199، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَمًا﴾ الفرقان 63.

فهل هي هي الجاهلية التي تعوذ منها موسى -عليه السلام- قال تعالى: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة 67.

وخشي أن يقع فيها يوسف -عليه السلام- قال تعالى: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ يوسف 33.

تتعلق الجاهلية العربية بأربعة أشياء هي:

أ- صورة الجاهلية العقديّة من خلال القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ آل عمران 154.

رغم أن سبب نزول هذه الآية خاص بغزوة أحد وما كان عليه المنافقون من التشكيك العقدي والإنكار القلبي، والتولي الفعلي إلا أن ما يهمننا في بحثنا هو وسم ظنهم بالجاهلي الذي ماثل جاهلية العرب المشركين، فما هو هذا الظن الجاهلي الذي إقترن ذكره بما ناسب الحرب وفتنة الموت؟

إن المطلع على كتب التفسير والتاريخ والسيرة في بسطها لمعنى الظن الجاهلي لا يشفي له غليلاً ولا يروي له ظمناً ولا يزيدون في تفسيرهم أن يقولوا الظن الجاهلي بالله هو ظن أهل الشرك<sup>1</sup>، أو عدم التسليم بالقدر<sup>2</sup>، لذلك اجتهدنا بما عثرنا عليه من نصوص في وضع تصور يُفهم منه معنى الظن الجاهلي المخالف للحق؟

-لغة: الظن يقين وشك<sup>3</sup>، وهو اسم لما يحصل عن أمارّةٍ ومتى قويت أدّت إلى العلم ومتى ضعفت جدا لم يتجاوز حدّ التوهم<sup>4</sup>.

-إصطلاحاً: الظن الاعتقاد الخطأ وسمي ظناً لأنه غير مطابق للواقع<sup>5</sup>، ويكثر إطلاق الظن على التصديق المخطيء والجهل المركب<sup>6</sup>.

-قرآناً: استعمل القرآن الظن في هذا المقام للدلالة على فساد عقل القوم وعقيدتهم ونيتهم وقولهم.

\*فساد عقيدتهم في عبادة غير الله وإشراكهم للأوثان واتخاذها أندادا واعتبار أن النفع والضريدها؛ وكان سدنتها يخوفون عبدتها بأنها تلحق بهم وبصبيانهم الضركما قالت امرأة طفيل بن عمرو الدوسي<sup>7</sup> حين أسلم ودعاها إلى أن تسلم فقالت: "أما تخشى عليه من ذي الشرى"<sup>8</sup>؟

قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج6، ص164، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 1، ص 643، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج4، ص80، محمود الألوسي، المرجع السابق، ج 4، ص 94.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 4، ص 134.

<sup>3</sup> أي يقيني منهم كعسى، وعسى شك، ابن منظور، لسان العرب، مج4، ج 31، ص 2762.

<sup>4</sup> الراغب الأصفهاني، المصدر السابق، ص 317.

<sup>5</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 23، ص 134.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ج3، ص 140.

<sup>7</sup> الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص من دؤس بطن من الأزدي، ولقبه "ذو النور"، من أشرف العرب وشعرائها كثير الضيافة، أسلم قبل الهجرة وقُتِلَ يوم اليمامة، محمد بن سعد، المصدر السابق، ج 4، ص 223-226، أحمد بن عبد الله الأصفهاني، معرفة الصحابة، ت عادل بن يوسف العزازي، (دارالوطن، الرياض، ط1، 1419هـ-1998م)، ج3، ص 1561-1562، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402هـ-1982م)، ج 2، ص 344-347.

<sup>8</sup> ذو الشرى: صنم كان يعبد "بنو دوس" بين مكة والطائف ويسمى ذو الكفلين وكانوا قد حموا له حمي، ابن سعد، المصدر السابق، ج4، ص 225، شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، (دارصادر، بيروت، دط، 1397هـ-1977م)، ج3، ص 330، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 11، ص 125.

عند الله قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ، وَتَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ  
يونس 18، وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ  
ظَاهِرًا﴾ الفرقان 55.

\* وفساد عقيدتهم في حصر النفع الدنيوي العاجل منها وإنكار البعث وما قد يترتب عليه من امتحان وبلاء في الدنيا "كانت العرب في الجاهلية تدعو في مصالح الدنيا فقط، فكانوا يسألون الإبل والغنم والظفر بالعدو ولا يطلبون الآخرة إذ كانوا لا يعرفونها ولا يؤمنون بها... والعاقبة السيئة تكون في هذه الدنيا وهي عواقب مادية كتزول مرض بإنسان أو نزول كارثة بماله أو إبله أو بزعره أو بأهله، وهي أمور يخشاها الجاهلي تكون معجلة في نظره.<sup>1</sup>

\* وفساد عقيدتهم في الإيمان بالله عزوجل والتسليم بقضائه "ومن الظن غير الحق بالله أن يتصوروا أنه سبحانه مُضيعهم في هذه المعركة التي ليس لهم من أمرها شيء، وإنما دُفِعُوا عليها دفعا ليموتوا ويجرحوا والله لا ينصرهم ولا ينقذهم وإنما يدعهم فريسة لأعدائهم ويتساءلون: "هل لنا من الأمر من شيء"<sup>2</sup>؛ فالعربي لم يُقاتل قبل الإسلام من أجل عقيدة ودين يؤمن به، لم يُضَحَّ بنفسه من أجل شيء غيبي غير ملموس، لم يُؤثر عنه أنه جادل غيره في عقيدتهم ولا نَصَّبَ نفسه داعيا ومبشرا.

\* فساد عقيدتهم في إعتراضهم على اصطفاء الله لحمد ﷺ رسولا وأن منهم من هو أحق بالأمر منه وأنه لو كان رسولا لكان مؤيدا منصورا في كل حين، فهم يظنون أن النبي ﷺ لم يصدقهم فيما أخبرهم به كما ظن أهل الجاهلية تنبيها أن هؤلاء المنافقين هم في حيز الكفار.

\* فساد رأيهم في اعتقادهم بالجبر وأهم لا يملكون الخيار: "وفكرة أن كل شيء في هذا الكون مقدر ومحتوم، فكرة قديمة غلبت على رأي الشرقيين بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية والعسكرية التي كانت سائدة إذ ذاك؛ أوضاع جعلت الغالبية تشعر بأنها مسخرة وأنها تدفع حياتها دفعا من أجل خدمة النخبة المتحكمة، المسيرة للأمر... وقضية الجبر والخيار لا تجده عند الموحدين فقط بل تجده عند غيرهم ممن لا يقر بوجود الله ويعبد الأصنام.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 128.

<sup>2</sup> سيد قطب، في ظلال القرآن، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 5، 1386هـ—1976م)، ج 2، ص 108.

<sup>3</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 121-122.



\*فساد ظنهم بالله عزوجل: فُسرَ هذا الظن الذي لا يليقُ بالله بأنه سبحانه لا ينصُرُ رسوله ﷺ وأن أمره سيضمحل، وأنه يُسَلِّمُهُ للقتل، وفسر بإنكار الحكمة والقضاء والقدر وهو الظن السوء...<sup>1</sup>

ومرّدُ هذا الظن الفاسد إلى جهلهم بالله وقدرته وفساد تصورهم لألوهيته، فإن هذا الكون لا بدله من خالق ومدبر، إلا أن ليس بإله واحد، بل الأمر أن لهذا الكون أربابا وآلهة، وأن أزمة قوى هذا الكون المختلفة موزعة بين الآلهة المختلفة وأن سعادة الإنسان وشقاءه وفلاحه وخسرانه ونفعه وضره متوقفة على مرضاة ذوات عديدة وسخطها... فيرى في كثير من الأشياء بمجرد التوهم في نفسه أنها تؤثر في سعادته وشقائه تأثيرا لا برهان له ولا دليل عليه، فيضيع كثيرا من قوته عبثا وينفقها في غير طائل طمعا في المنافع الحسنة أو خوفا من المضار الفادحة، وهو مصاب بالتوهم في أعماق نفسه، لا يستند فيه إلى علم ولا تحقيق.<sup>2</sup>

ب- صور الأحكام والشرائع الجاهلية من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾

## المادة 50

مر معنا في الآية السابقة أن المنافقين لم يرتضو حكم الله عز وجل وقدره فيما وقع لهم في غزوة أحد كما لم يرتضو من قبل حكم النبي ﷺ في الخروج لجهلهم بالله عز وجل والحكمة من جريان أحكامه وأقداره على الناس سواء بسواء وفق سننه الكونية، ولجهلهم بأن ما ظاهره شر ووبلاء قد يكون باطنه خير وجزاء، جاءت هذه الآية لتصف طائفة أخرى من المعرضين عن حكم الله عز وجل المقبلين على حكم غيره وتفضيلهم للأحكام العرفية الجاهلية على الحكم الإلهي المكتوب عندهم في التوراة.

ومن المعلوم أن من أعرض عن حكم الله أقبل ولا بد على حكم الشيطان الذي هو عين الهوى والاستفهام إنكاري؛ لأنهم طلبوا حكم الجاهلية وهو ما تقرر بين اليهود من تكايل الدماء الذي سرى إليهم من أحكام أهل يثرب<sup>3</sup> وهم أهل جاهلية، فإن بني النضير لم يرضوا بالتساوي مع قريظة<sup>4</sup>؛ ذلك

<sup>1</sup> شمس الدين بن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ت شعيب الأرنؤوط، (دار الرسالة، بيروت، ط 27، 1415هـ - 1994م)، ج 3، ص 228.

<sup>2</sup> أبو الأعلى المودودي، الإسلام والجاهلية، (دار الشهاب، باتنة، دط، دت)، ص 19.

<sup>3</sup> مدينة الرسول ﷺ سميت بيثرب لأن أول من سكنها عند التفرق "يثرب بن قانية"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 430.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 6، ص 227.

أن اليهود في المدينة كانوا قد دخلوا في حروب "بعث"<sup>1</sup> فكانت قريظة والنضير<sup>2</sup> حرباً، ثم تحاجزوا وانهمزت قريظة، فشرطت النضير على قريظة أن دية النضير على الضعف من دية القرظي وعلى أن القرظي يقتل بالنضيري ولا يقتل النضيري بالقرظي.<sup>3</sup>

وهذا التفاضل والتكامل - وهو تقدير النفس بعدة أنفس - مخالف لحكم المساواة في شريعتهم قال تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المائدة 45.

فتركوا العمل بكتابهم وتابَعوا العرب في سنتهم الجاهلية القائمة على الطبقية بناءً على المكانة الاجتماعية والسلطوية، أو على النفوذ والجاه أو على القوة البدنية المتمثلة في الغلبة الحربية. فكان الحي إذا كان في عز ومنعة فقتل لهم عبد - قتلته عبد قوم آخرين - قالوا لا نقتل به إلا حراً، وإذا قُتِلَ منهم امرأة قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً، وإذا قُتِلَ لهم وضيع قالوا لا نقتل به إلا شريفاً<sup>4</sup>. وإذا كان القتيل شريفاً في قومه، كان قاتله وضيعاً صُعُلو كاً، أو عبداً فلا يقبل أهل القتيل بـ "الْقَوْدِ"، بل يعرف تكافؤ الدم فعندهم أن دم القتيل الشريف لا يغسل إلا بدم شريف مثله ومن أهل مكانته، ومعناه أن قتل القاتل لا يكفي بل لا بد لأهل القتيل البحث عن شريف من قوم القاتل يكون مكافئاً للقتيل في المترلة والمكانة حتى يقتل به فيغسل عندئذٍ دمه وينام الثأر،<sup>5</sup> ويؤثر عن ولي المقتول قوله: "لا أرضى حتى أقتل به فلانا وفلانا من أشرف قبيلته".<sup>6</sup>

والبحث عن مكافئ للمقتول غير القاتل الجاني يؤدي إلى التعدي على النفس بغير وجه حق فيقتل من لم يرتكب إثماً وجرماً وهو عين الظلم، أو يؤدي إلى الإسراف في القتل فمهما قتل ولي

<sup>1</sup> بعث: مكان التقى فيه الأوس والخزرج للقتال، وحالفت الأوس بنو قريظة والنضير ومزينة، وحالفت الخزرج جهينة وانهمزت،

علي البجاوي، أيام العرب في الجاهلية، (دار المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت)، ص 73-77

<sup>2</sup> النضير وقريظة: اسم قبيلتان من اليهود الذين كانوا بالمدينة في حدائق وآطام لهم، ومن منازلهم "بنو بَطْحَانَ"، "البُويرة"، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 290.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 6، ص 215.

<sup>4</sup> أبو بكر القرظي، المصدر السابق، ج 3، ص 64.

<sup>5</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 542.

<sup>6</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 14، ص 587.

المقتول لا ير أنه مكافئاً لمقتوله وهذا ما أدّى إلى حروب طويلة في الجاهلية لا تنتهي، وأشهرها حرب "البسوس" التي كانت بين "بني تغلب" <sup>1</sup> بقيادة "المهلل" <sup>2</sup>، وبين "بني بكر" <sup>3</sup> بقيادة "جساس" <sup>4</sup> قاتل "كليب" <sup>5</sup>، فقد أرسلوا إلى: "مُرّة" -والد جساس وكبيرهم-: "إنكم أتيتم عظيمًا بقتلكم كليبًا بناب من الإبل فقطعتم الرحم وانتهكتم الحرمه وإنّا كرهنّا العجلة عليكم دون الإعذار إليكم ونحن نعرض عليكم أحد خلال أربع لكم فيها مخرج ولنا مقنع فقالوا: "تُحي لنا كليبًا أو تدفع إلينا "جساسًا" قَاتِلُهُ نقتله به أو "هَمَامًا" فإنه كُفٌّ له أو تُمَكِّنُنَا من نفسك فإن فيك وفاء من دمه فقال لهم "مُرّة": "أما "جَسَّاسٌ" فإنه غلام طَعَنَ طعنة على عجل ثم ركب فرسه فلا أدري أي البلاد احتوت عليه، وأما هَمَّامٌ فإنه أبو عشرة وأخو عشرة وعمّ عشرة كلهم فرسان قومه فلن يسلموه إليّ فأدفعه إليكم ليقتل بجريرة غيره، وأما أنا فهل هو إلا أن تجول الخيل جولة فأكون أول قتيل فيها فما أتعجل من الموت ولكن لكم عندي إحدى خصلتين؛ أما إحداها فهؤلاء بني الباقون فعلقوا في عنق من شتمت نَسْعَةً <sup>6</sup> وانطلقوا به إلى رجالكم فاذبحه ذبح الخروف، وإلا فألفُ ناقة سوداء المقلّة أقوم لكم بها كفيلاً من بكر بن وائل، فغضب القوم وقالوا: قد أسأت في الجواب وسُمّتنا اللبن من دم كليب ووقعت الحرب بينهم، ثم إن المهلهل أسرف في القتل ولم يبال وأنشد في ذلك أشعاراً منها:

أكثرت قتلي بني بكر برهم حتى بكيت وما يبكي لهم أحد [البيسط]  
آليت بالله لا أرضى بقتلهم حتى أهرج <sup>7</sup> بكرا أينما وجدوا <sup>8</sup>

<sup>1</sup> تغلب بن وائل: قبيلة عظيمة من العدنانية، وبلادهم الجزيرة الفراتية، وهي من القبائل الحربية التي لا يهدأ لها بال في الجاهلية والإسلام، عمر رضا كحالة، ج1، ص 120-124.

<sup>2</sup> امرؤ القيس: هو ابن ربيعة بن الحارث بن زهير من قبيلة بني تغلب، ويقال اسمه عدي، وكان فيه نخث، وسمي مهلهلاً لأنه هلهل الشعر أي أرقه ويقال إنه أول من قصّد القصيد في قتل أخيه كليب بن وائل، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ت أحمد شاكر، (دار المعارف، القاهرة، ط2 دت)، ج1، ص297، محمد بن سلام الجُمحّي، المصدر السابق، ج1، ص49، مهلهل بن ربيعة، ديوان، ت طلال حرب، (دار العالمية، دط، دت) ص6، عبد القادر بن عمر البغدادي، المرجع السابق، ج2، ص164.

<sup>3</sup> بنو بكر بن وائل: قبيلة عظيمة من العدنانية فيها الشهرة والعدد، وديارهم باليمامة والبحرين وأطراف سواد العراق، عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1418هـ-1997م)، ج1، ص93-97.

<sup>4</sup> جَسَّاسٌ بن مُرّة البكري (85ق هـ)، قتل كليب سيد تغلب لقتله ناقة حالته "البسوس"، فكان سبباً في نشوب حرب بين بكرٍ وتغلبٍ دامت أربعين سنة، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص158.

<sup>5</sup> كُليب بن ربيعة التغلبي (135ق هـ) سيد بني ربيعة في الجاهلية وأخو المهلهل الشاعر، منير البعلبكي، ص368.

<sup>6</sup> النَّسْعُ: سَيْرٌ مَضْفُورٌ يُجْعَلُ زماماً للبعير وغيره، ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج50، ص4410.

<sup>7</sup> مَكَانٌ يَهْرَجُ غير جَمِيٍّ، والبَهْرَجُ: الشيء المباح، يقال يَهْرَجُ دمه، ابن منظور لسان العرب، مج1، ج5، ص372.

<sup>8</sup> محمود شكري الألويسي، بلوغ الأرب، ج2، ص153-155، مهلهل بن ربيعة، المصدر السابق، ص27.

وعلى هذه النظرية بنوا تقييم أثمان الديات فدية الملوك ألف من الإبل ثم دية الأشراف وسادات القوم حسب الشرف والمترلة ثم دية المغمورين المطمورين التي قد تبلغ خمسا من الإبل.<sup>1</sup>

فجاءت الشريعة وأقرت القصاص، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ۗ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ ۗ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۗ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ۗ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ البقرة 178.

وأبطلت التكايل في الدماء وسأوت بين الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الإسراء 33، فسِر الإسراف بأن لا يُقتل غير القاتل ولا يمثل به.<sup>2</sup>

هذه الآية الكريمة لم تأت لتقرر فساد أصل الأحكام الجاهلية فالشريعة الإسلامية وافقتهم في بعض أحكامهم، ولكنها ذمّت صفة الطبقة فيه، فالأحكام تضمن حقوق الشريف دون الضعيف وتضع عقوبات على الضعيف دون الشريف، فلا شرف الإنسان ولا نسبه ولا قربه مانع من تطبيق الحد عليه عند إقترافه للجرم ولا مكانته وجاهه يجعل نفسه ودمه أعلى من غيره، وقد غلبت العاطفة نوحا - السكينة للقرب ولده منه فطلب نجاته وإستثناءه من العقاب فكان رد الله تعالى له: ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ ۗ عِلْمٌ ۗ إِنِّي أَعْطٰكُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ هود 46.

فالمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى الموجبة للميل والمداهنة في الأحكام<sup>3</sup> وأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموه إياه، وإذا وجب على أقويائهم لم يأخذوهم به، فمنعهم الله تعالى منه بهذه الآية.<sup>4</sup>

ج- صورة التبرج الجاهلي، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾

<sup>1</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 542.

<sup>2</sup> جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، ت زهير الشاويش، (المكتب الإسلامي، ط 3، 1404هـ - 1984م)، ج 5، ص 33.

<sup>3</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج 6، ص 156، جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير، ج 6، ص 380-381.

<sup>4</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 17.

### الأحزاب 33.

بعد أن عاب الله عز وجل على أهل الجاهلية أحكامهم الطبقية المفرقة بين الشريف والضعيف، أتى بأحكام خاصة بأزواج النبي ﷺ وفيها زيادة إلزام وتكليف باعتبارهن أمهات المؤمنين فالشريف في الإسلام مُلْزَمٌ قبل غيره بامتنال الأحكام ولا يستثنى منها اقراراً لمبدأ المساواة، بل إن للإمام والعبيد والرقيق أحكام وحدوداً مخففة عن الحرائر والأسياد فالطبقية في الإسلام مبنية على التساهل والتيسير مع الضعفاء وعلى العزيمة والتشديد على السادة والأشراف.

ومعنى التبرج كما قال الزَّجَّاج<sup>1</sup>: إظهار الزينة وما يستدعي شهوة الرجال،<sup>2</sup> والتبرج المشي بتبختر وتكسر وتغنج، أو أن تُلقِي المرأة خمارها على رأسها ولا تشده فيواري قلاتها وقرطها وعنقها وتلبس الثياب التي لا تواري جسدها.<sup>3</sup>

مَرْدُ التبرج الجاهلي وإن اختلفوا في تعيينه إلى أمرين إمّا في الكلام والمخاطبة وهو ما دَلَّ على ما كانوا عليه من المخالطة، أو التبرج في اللباس وإظهار الزينة وهو ما دَلَّ على السُّفور، وقد أباح القرآن الكريم الكلام والحوار وشرطه عدم الخضوع ورخص في الخروج وشرطه بالحجاب والتستر، قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ النور 31، والضرب تمكين الوضع.<sup>4</sup>

لم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظر الفلانة ولا لحظة الخلسة، دون أن يجتمعوا على الحديث والمسامرة، ويزدوجوا في المناسبة<sup>5</sup> والمثافنة<sup>6</sup>، ويسمى المولع بذلك من الرجال "الزير" المشتق من الزيارة. وكل ذلك بأعين الأولياء وحضور الأزواج

<sup>1</sup> الزَّجَّاج: هو أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل [241-311هـ] لغوي نحوي من بغداد كان ندماً للمكتفي من الطبقة التاسعة، كمال الدين الأنباري، نزهة الألفباء في طبقات الأدباء، ت إبراهيم السامرائي، (مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405-1985م)،

ص229، محمد بن الحسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، مصر، ط2، دت)، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص220.

<sup>2</sup> جمال الدين بن الجوزي، زاد المسير، ج 6، ص 380.

<sup>3</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج 22، ص 8.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 18، ص 208.

<sup>5</sup> نَامَسَهُ: سَارَهُ، وَأَتَمَسَ: اسْتَتَرَ، ومنه الناموس صاحب السرّ المطلع على باطن الأمر، الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص579.

<sup>6</sup> الثَّفْنَةُ: العَدْدُ والجماعة من الناس، يقال ثَأَفْتُ فُلَانًا: إذا حابَيْتَهُ تُحَادِثُهُ وتلازمه وتكَلَّمَهُ، ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج6، ص490.

لا ينكرون ما ليس بمنكر إذا آمنوا المكر وكانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث...<sup>1</sup>  
ولم يكن التبرج والعري من مظاهرهم الاجتماعية فقط، بل عدّ في دينهم قرابةً وعبادة فقد أثر  
عنهم الطواف عراً حول الكعبة.

هذا هو تبرج الجاهلية الأولى التي كان عليها النساء، فأمرن بالنقطة عن سيرتهن فيها وهي ما  
كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لأنهم كانوا لا غيرة عندهم فكان أمر النساء دون حجة إلى حالة  
الإسلام.<sup>2</sup>

وقد اختلف العلماء في معنى "الأولى" في قوله تعالى "الجاهلية الأولى" وهل يقتضي هذا جاهلية  
أخرى، أجاب الزمخشري<sup>3</sup> بقوله: ويجوز أن تكون الجاهلية الأولى جاهلية الكفر قبل الإسلام والجاهلية  
الأخرى جاهلية الفسوق والفجور في الإسلام فكان المعنى لا تُحدثن بالتبرج جاهلية في الإسلام  
تتشبهن بها بأهل جاهلية الكفر، ويعضده ما روي أن رسول الله ﷺ قال لأبي الدرداء<sup>4</sup> «إن فيك  
جاهلية قال جاهلية كفر أم إسلام فقال بل جاهلية كفر»<sup>5</sup>.

وقريب منه قول ابن العربي<sup>6</sup>: والذي عندي أنها جاهلية واحدة وهي قبل الإسلام؛ وإنما وصفت  
بالأولى لأنها صفتها التي ليس لها نعت غيرها، وهذا كقوله: ﴿قَل رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ

<sup>1</sup> حواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 617.

<sup>2</sup> عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت عبد السلام عبد الشافي محمد، (دار الكتب  
العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م)، ج 4، ص 384.

<sup>3</sup> الزمخشري: [467-538هـ] هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ولد في خوارزم بزمخشتر وتوفي بها، من تصانيفه "ربيع  
الأبرار"، "أسماء الأودية والجبال"، كمال الدين الأنباري، المصدر السابق، ص 290-292.

<sup>4</sup> أبو الدرداء: هو عويمر بن زيد الأنصاري الخزرجي، حكيم الأمة، أسلم بعد بدر وشهد أحداً، حفظ القرآن عن رسول الله ﷺ  
وكان عالم أهل الشام، ومقريء دمشق وفقههم وقاضيههم، مات سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، شمس الدين محمد الذهبي، تذكرة  
الحفاظ، دتح، (دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت)، ج 1، ص 24.

<sup>5</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 5، ص 67، والحديث في صحيح البخاري وعنده أن الصحابي هو "أبو ذر" بدل أبو  
الدرداء، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ج 1، ص 26 [رقم 30] وكتاب الأدب، باب ما يُنهى عن السباب واللعن،  
ج 4، ص 100، [رقم 6050]. وليس فيها ذكر لجاهلية الكفر والإسلام.

<sup>6</sup> ابن العربي: هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي [468-543هـ-1076-1148م] من مشاهير حفاظ الحديث، مولده في  
إشبيلية ووفاته قرب فاس، لقي أبو حامد الغزالي في بغداد، من آثاره "العواصم من القواصم"، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص

الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿ الأنبياء 112 وهذه حقيقته لأنه ليس يحكم إلا بالحق.<sup>1</sup>

وكقوله: ﴿ وَأَنْتُمْ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴾ النجم 50، و"العشاء الآخرة"<sup>2</sup> وكقول القائل: "أين الأكاسر الجبابرة الأولى"<sup>3</sup>، وفي تقييد الله عز وجل لهم الجاهلية "بالأولى" تذكيراً لهم بما كانوا عليه من فساد العادات وإشعاراً بالمنّ عليهم أن علمهم الإسلام وهداهم فلا يكونوا سبباً في إبتداع سنن الجاهلية الأولى وإحيائها.

ولعل الميل إلى القول بأن المقصود "بتبرج الجاهلية الأولى" أنه ما كانوا عليه قبل الإسلام أولى ممن حصرها في جاهلية نوح أو إبراهيم أو عيسى -عليهم السلام- إذ القوم لم يكونوا يعلموا من أخبار الأمم السابقة إلا ما علمهم الله عز وجل إياه: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْقِيبِينَ ﴾ هود 49.

وليس في القرآن الكريم ذكر تبرج نساء الأمم السابقة التي بعث الأنبياء إليهم وإن كان غير مستبعد وقوعه -ونحن بعد لا نعلم حرمة من جوازه في شريعتهم- وما كان الله ليُعابتهم على كسب غيرهم ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة 134، ولا أن ينهاهم على فعل لم يعقلوه.

ويظهر أن أمهات المؤمنين منهيات عن التبرج مطلقاً حتى من الأحوال التي رخص للنساء التبرج فيها -في البيوت- لأن ترك التبرج كمالٌ وتزهره عن الاشتغال بالسفاسف.<sup>4</sup>

ويعضده مطلع الآية التي جعلت لهنّ فضلاً على باقي النساء ومضاعفة الثواب والعقاب مرتبطة بمضاعفة الواجبات والأحكام وأن منازلهنّ يكثر فيها الداخل والخارج، البرّ والفاجر طلباً للقياس الرسول -ﷺ- أو سؤالهنّ في الدين فلم يمنعهن الكلام والحديث ولكنه حدّه بشرطه.

ويعضده أمره ﷺ لميمونة<sup>5</sup> وأم سلمة<sup>1</sup> -رضي الله عنهما- بالاحتجاب من ابن أم مكتوم<sup>2</sup> -وهو

<sup>1</sup> محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، ت محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ) - 2003م)، ج 3، ص 571.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 22، ص 13.

<sup>3</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 25، ص 210.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع نفسه، ج 22، ص 12.

<sup>5</sup> ميمونة بنت الحارث بن حزن، [51هـ-671م]، كان اسمها برة فسماها النبي ﷺ ميمونة، كانت عند مسعود بن عمرو النخعي ثم

رجل رجل أعمى - حين إستاذن للدخول فقالتا: "أليس بأعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا؟ فقال ﷺ:»  
أفعميا وان أنتما ألتما تبصرانه«؟<sup>3</sup>.

ويعضده عمل عائشة<sup>4</sup> - رضي الله عنها - إذ كانت تجلس في حجرتها مع والدها ﷺ وزوجها ﷺ  
بعد وفاتها حتى إذا دفن عمر بن الخطاب ﷺ إلى جوارهما اجتهدت في التستر وضرب الحجاب<sup>5</sup>.  
ويعضده أن التبرج المنهي عنه في سورة النور ربط بالزينة التي توحى بالتكلف في إظهارها وأطلق  
التبرج هنا ووصف بالجاهلي للدلالة على مطلق الإظهار الذي لا تصنع فيه، قال تعالى: ﴿وَلَا يَبْدِينَ  
زِينَتَهُنَّ﴾ النور 31، ﴿عَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ النور 60، ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ حُدُوًّا زَيْنَتِكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ  
﴾ الأعراف 31.

عند أبو رهم بن عبد العزى "فتوفي عنها، وتزوجها النبي ﷺ سنة سبعة في عمرة القضية، توفيت سنة احدى وستين ولها ثمانون أو  
إحدى وثمانون سنة، وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتا، ابن سعد، المصدر السابق، ج 10، ص 128-135، أحمد بن عبد الله بن  
مهران الأصبهاني، معرفة الصحابة، ت عادل بن يوسف العزازي، (دار الوطن، الرياض، ط 1، 1419هـ-1998م)، ج 6،  
ص 3234، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء ج 2، ص 238-239، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 7، ص 342.  
<sup>1</sup> أم سلمة [28ق-62ه-596-671م]: اسمها هند بنت أبي حذيفة بن المغيرة، كانت تحت "أبي سلمة بن عبد الأسد" توفي عنها  
بعد أحد، فخلفه عليها النبي ﷺ وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتا، توفيت سنة ثنتين وستين، ابن سعد، المصدر السابق، ج 10،  
ص 85، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج 6 ص 3218، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 8، ص 97.  
<sup>2</sup> ابن أم مكتوم الضمير: اسمه عبد الله وقيل عمرو من بني لؤي، أسلم بمكة قديما وهاجر بعد بدر، وهو مؤذن النبي ﷺ كان ﷺ يستخلفه  
على المدينة في عامّة غزواته، وفيه نزلت (غير أولي الضرر)، شهد القادسية ومعه الرأية، ثم رجع إلى المدينة فمات بها، ابن سعد،  
المصدر السابق، ج 4، ص 191-196، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج 3، ص 1659.  
<sup>3</sup> أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، باب مساواة الرجل في حكم الحجاب والنظر إلى الأجانب، ج 7، ص 147، رقم  
[13525-13524].  
<sup>4</sup> عائشة بنت أبي بكر الصديق [9ق-ه-58ه-613-678م]، وأمها "رؤمان بنت عامر"، تزوجها النبي ﷺ قبل الهجرة بعامين وبنى  
بها في شوال بعد وقعة بدر ومات عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة، فأقامت في صحبته ثمانية أعوام وخمسة أشهر وكانت من أحب  
الناس إليه غزيرة العلم، توفيت سنة سبع وخمسين، وقيل سنة ثمان وخمسين، ابن سعد، المصدر السابق، ج 10، ص 57-61،  
أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج 6، ص 320، شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 27-28-29، شمس الذهبي، سير  
أعلام النبلاء، ج 2، ص 13، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 3، ص 240.  
<sup>5</sup> عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كنت أدخل بيتي الذي فيه رسول الله ﷺ وإني واضع ثوبي وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دفن  
عمر معهم فوالله ما دخلت إلا وأنا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر ﷺ، ج 3، ص 67، الحاكم النيسابوري، المستدرک على  
الصحيحين، (دار الحرمين، القاهرة، ط 1، 1417هـ-1997م)، كتاب المغازي والسير، [رقم 4463]، أحمد بن حنبل، المسند،  
(دار الحديث، القاهرة، ط 1، 1416هـ-1995م)، ج 18، ص 24-25، رقم [25536].



وهذه الآية وإن خوطب بها نساء النبي ﷺ إلا أن الحجاب قد فرض من قبل على جميع نساء المسلمين في سورة النور مع رفع الحرج عن القواعد من النساء أن يضعن ثيابهن شرط ألا يتبرجن بزينة، وإن كان الستر والحجاب أولى قال تعالى: ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ النور 60.

د- صور الحمية الجاهلية من القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الفتح 26.

بعد أن تحدث في الآيات السابقة عن المساواة والعدالة بين الناس في التشريع والتكليف المضاعف للشريف بأن خص نساء النبي ﷺ بمزيد من الواجبات وجعلهم علمًا لإحياء سنن وشرائع الإسلام جاء في هذه الآية ليمن على المسلمين بإماتة الحمية الجاهلية في قلوبهم وإبدالها بالسكون والتروي لأن من يمتلك الحق لا يحتاج إلى حمية لإثباته فالحق قوي، ومن يملك الباطل وإن تبين له الحق فحميته الجاهلية ترده عن الحق.

والحمية هي الأنفة يقال: حميتُ عن كذا حميةً ومحميةً إذا أنفت منه وداخلك عارٌ وأنفةٌ أن تفعله، ومنه قول المتلمس<sup>1</sup>:

ألا إني منهم وعرضي عرضهم كذي الأنف يحمي أنفه أن يكشما<sup>2</sup> [الطويل]  
والأنفة: الاستنكاف من أمر لأنه يراه غضاضة عليه وأكثر إطلاق ذلك على استكبار لا موجب له فإن كان لموجب فهو إباء الضيم... وإضافة الحمية إلى الجاهلية لقصد تحقيرها وتشنيعها فإنها من خلق أهل الجاهلية<sup>3</sup>؛ وجعلها سبحانه حمية جاهلية لأنها كانت منهم بغير حجة، إذ لم يأت محاربًا لهم وإنما جاء مُعتمراً مُعظماً لبيت الله<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المتلمس: هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة وأخواله بنو يشكر، وكان يُنادم عمرو ابن هند ملك الحيرة، الذي كتب له إلى عامل البحرين مع "طرفه" يأمر بقتله، فاستقرأ غلاما الكتاب فأعلمه الخبر فنذ الصحيفة في نهر الحيرة وفرّ، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص 179، محمد بن سلام الجُمحي، المصدر السابق، ج 1، ص 155-156

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 6، ص 309، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 19، ص 335، محمود الألوسي، روح المعاني، ج 2، ص 116، المتلمس الضبيعي، ديوان، ت حسن كامل الصيرفي، (دار الشركة المصرية، دط، 1970م)، ص 21.

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 26، ص 193.

<sup>4</sup> عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت علي محمد عوض، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1418هـ-1997م)، ج 5، ص 259.

هذه الحمية والأنفة كانت سمة كل أفعال المشركين وردودهم في جميع أطوار الدعوة و الموجهة لهم بل هي سبب عنادهم وكفرهم.

\*فحمتهم الأولى: هي أنفتهم أن يُقروا بالتوحيد لله عزوجل وتمسكهم بدين آبائهم تقليدا من غير نظر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاءُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة 170.

\*وحميتهم الثانية: هي استكبارهم أن يقروا للرسول ﷺ بالنبوة وأنفتهم من أن يخصّ

بالرسالة دونهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف 31.

\*حميتهم الثالثة: أبأؤهم أن يخالفهم ﷺ في عبادتهم لأصنامهم وإقراره بالتوحيد، قال تعالى: ﴿

أَنْقَلْتُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ غافر 28.

\*حميتهم بمنعه من الجهر بالدعوة ومنعهم من الصلاة بالبيت و من إظهاره لشرائع الإسلام

كقراءة القرآن مثلا، وبفتنتهم عن دينهم، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ

فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ

أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقِنُّونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَظَلُّوْا﴾ البقرة 217.

\*حميتهم بمخالفتهم للحق الذي ظهر لهم فأقرته نفوسهم دون ألسنتهم وأذعنت له قلوبهم دون

عقولهم، فاجتهدوا في تكذيبه مع علمهم أنه ليس بكلام بشر، أنفةً من إتباعه ومن أن يتحدث الناس

أن الله قد أظهره عليهم، قال الوليد بن المغيرة<sup>1</sup> بعد سماعه للقرآن: "والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة،

وإنه ليحطم ما تحته وإنه ليعلو وما يعلى" فلم يرض قومه منه ذلك أنفة وإستكبارا فكان ما قصه علينا

القرآن الكريم<sup>2</sup> في سورة المدثر: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ \* فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ \* ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ \*

\* ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ \* فَقالَ إِنَّ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْتَرُ \* إِنَّ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ المدثر 18-25.

<sup>1</sup> الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم [95ق هـ-1هـ] أحد زعماء قريش ومن قضاة العرب في الجاهلية لُقِبَ بالعدل، كانت قريش تكسوا الكعبة جميعا ويكسوها وحده، حرّم الخمر على نفسه، أدرك الإسلام وكان من أشد المعاندين له، خير

الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص 122.

<sup>2</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج14 ص 181-182، علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ص 447، جلال الدين

السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، (مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م)، ص 279-280.

\*حميتهم بصددهم عن دخول مكة للاعتمار؛ والأصل أن من جاء البيت حاجاً أو معتمراً لا يمنع من الدخول خاصة في الأشهر الحرم الذي كان الرجل منهم لا يتعرض لقاتل أبيه أو أخيه ولا يشار تعظيماً لهذه الأشهر وتعظيماً للبيت ولحق الضيف وعابر السبيل .

هذه الحمية هي التي منعت "أبو طالب" من الإسلام والإقرار بالتوحيد لئلا يُقال إنه ترك دين أجداده، وهي العصبية القومية التي أملت عليه وقومه من "بني هاشم" حماية النبي ﷺ وهذا ما يفسر هذه الازدواجية في الموقف فحميتهم تمنعهم الإذعان والإقرار للحق وعصبيتهم تلزمهم الحماية والتأييد، فيقفون موقفهم الأول بدافع عصبية العشيرة وموقفهم الثاني بدافع عصبية التقاليد.<sup>1</sup>

ويمكننا القول أن هذه الحمية الجاهلية هي جاهلية الانتماء السياسي والقيادي، لأنها صفة للحالة العامة التي كان عليها زعماء قريش، عندما أصدروا قرارهم السياسي بمنع المسلمين من أداء العمرة<sup>2</sup> ولأن العصبية مذمومة لا خير فيها أبدل الله المؤمنين بها سكينه ووقاراً وعبر عليها بالتزول دلالة على الشرف والامتنان والرفعة فلا وجود لحمية إسلامية، عن أبي بن كعب<sup>3</sup> أنه كان يقرأ<sup>4</sup>: ﴿إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية ولو حُميتُم كما حَمَوَ الْفَسَادَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ الفتح 26.

**والخلاصة:** وسم الجاهلية بأنها السَّفَهُ الذي هو ضد الحلم والأنفة والخفة والغضب<sup>5</sup> الذي كان عليه العرب قبل الإسلام و ما أنتجته هذه الصفات من الحروب والشقاق التي ملئت بها الأخبار التاريخية<sup>6</sup> وسم مبتور وزاوية أحادية لصورة رباعية الأبعاد؛ فرأس الجاهلية العقيدة الضلالة التي كانت تؤمن بوجود إله موجد للكون يشاركه في تصريفه أصنام أو كواكب أو جن أو ملائكة ممن خلقهم

<sup>1</sup> محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ج 5، ص 250.

<sup>2</sup> صلاح عبد الفتاح الخالدي، حديث القرآن عن الجاهلية، [www.hoffaz.org/alforqan/print.php](http://www.hoffaz.org/alforqan/print.php)

<sup>3</sup> أبي بن كعب بن قيس بن عبيد [21هـ-642م] من بني النجار من الخزرج وكنيته أبو المنذر، كان من أجداد اليهود وهو أحد الستة الذين انتهى إليهم القضاء من الصحابة وكان أقرأهم، شهد بدرًا، توفي سنة ثنتين وعشرين في خلافة عمر وقيل سنة ثلاثين في خلافة عثمان -رضي الله عنهم-، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج1، ص 213، شمس الدين الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص16-17، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج1، ص82

<sup>4</sup> أحمد بن سعيد بن علي النسائي، تفسير النسائي، ت سيد بن عباس الحلبي، (دارالكتب الثقافية، بيروت، ط2، 1410هـ-1990م)، ج2، ص 308، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 13، ص 506.

<sup>5</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 1، ص 39.

<sup>6</sup> محمد إبراهيم الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، (دار المعارف، القاهرة ط3، 1982 م)، ص.93.

وهم من يملكون نفع الإنسان أَوْضَرَّةً، مما يجعلهم مجبرين على التقرب إليها لتكون شفيعالهم في الدنيا فتجلب لهم السعادة والحظ المعجل، وهذا لجهلهم المركب بالله عزوجل وصفاته.

ثم جاهلية التشريع والتطبيق التي تجتهد في سن قوانين تحدد الحقوق والواجبات، والجزاء والعقاب الذي يطبق على العامة دون الخاصة في العقاب، ويطبق الجزاء والثوبة على الخاصة دون العامة.

ثم جاهلية السلوك الاجتماعي التي كانت تحرك الفواحش والفتن وتبعث على الاختلاط والمفاسد.

وأخيرا جاهلية الحمية والاعتزاز بالنفس المفضي إلى الكبر العناد، وإن تبين له أنه على الباطل وأن الحق مع مخالفه فَيَجُورُ في الحكم.

فالجاهلية هي التلبس بعقيدة سفيهة، تحمل قوانينا وأحكاما طبقية، وتتبرج بزينة محرمة مضللة لتنجب سلوكا ومواقف جائرة.

المفصل الثاني:  
صورة الحياة العقدية والأخلاقية  
للعرب قبل الإسلام  
من خلال القرآن الكريم

## المبحث الأول: صورة الحياة العقديّة للعرب قبل الإسلام من القرآن الكريم:

لم تنزل كتب الحديث والتاريخ تُنبئنا عن افتخار العرب واعتزازهم بانتسابه لـ إِبْرَاهِيمَ -عليه السلام- وفي القرآن الكريم تذكير لهم بهذا الأصل وامتنان لهم بتوريثهم لهذا الدين وصية أبيهم إِبْرَاهِيمَ -عليه السلام- التي تلاه عليهم قبل موته قال تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة 132.

والوصية من نبي صالح وأبٍ مُودع هي أعزُّ على قلب الموصى فتجده أسمع لها وأنفذ لفحواها، لهذا احتفظ العرب بقدر من وصية أبيهم إِبْرَاهِيمَ -عليه السلام- التي تتنازع كل فرقة دينية شرف الانتساب إليه<sup>1</sup>، لقد أنصفوا إيمانهم بالله حين لم يلحدوا فلم يطلبوا على وجوده دليلاً وبرهاناً قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ الزخرف 87، ولكنهم حرقوا أهم جزء فيها فكانوا مبتدعين لا متبعين ومشركين لا موحدين.<sup>2</sup>

وإشراكهم كان مُتَشَعِباً ومُعَمِّماً في كل أجزاء الكون فتارة يظهر في عبادة المحسوسات كالحجر والشجر، وتارة في عبادة المراتب كالكواكب والأنواء، وأخرى في عبادة الأرواح الخيرة والشريرة كالملائكة والجن والشياطين، أو يظهر تارة في تقديس الرموز كتقليد الآباء والأجداد... ولولاً أن القرآن الكريم هو الذي قصَّ علينا عبادة العرب وعقائدهم لما صدَّق العقل التناقض الذي هم عليها والجدال في شيء من المفروض أنه من المسلمات عندهم فهم يعترفون بوجود الله وأنه خالق الكون وادَّعوا بأن عبادتهم لغيره من الشركاء ليس بصفتهم شفعاء ووسطاء، فبعث الله

<sup>1</sup> وقد وصلَّ الله نَسَبَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام -بالإسلام قال تعالى: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) آل عمران 67، وقال تعالى: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) النحل 120، ذكر اسم إِبْرَاهِيمَ -عليه السلام- في القرآن الكريم 69 مرة.

<sup>2</sup> ذهب "أبو الأعلى المودودي" إلى القول بأن بعثة الأنبياء جميعاً إنما كانت للدعوة إلى توحيد الربوبية لإلإي توحيد الألوهية ويعتبر أنه من الأخطاء الشائعة بين الناس اعتبار النمرود وفرعون من منكري الألوهية بل كانوا من منكري الربوبية ويستدل على ذلك بفهم وتأويل مختلف لآيات المحاججة والجدال ينظر، أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، (دار القلم، الكويت، ط 5، 1391هـ - 1971م)، ص 63-66.

إليهم رسولا يخبرهم ألا واسطة بينه وبينهم فليخصوه بالعبادة؛ فإن من استحق الألوهية في السماء لقدرته على الخلق والبعث استحق الألوهية في الأرض بتنفيذ شريعته، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ الزخرف 84، فَلَوْوَا رَوْوَسَهُمْ اسْتِكْبَارًا وَإِعْرَاضًا ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ سبأ 31.

ولكن لِمَ انتقلوا من التوحيد إلى الشرك، ألم يكن دين التوحيد كافيًا لتلبية رغباتهم الروحية؟ وأين بحثوا، هل استمدوا اعتقادهم من اليهودية أم من النصرانية أم من الجوسية..؟ أكان دين الجاهلية عقيدة أوثان خالصة، أو خليطاً وأمّشاجاً من ديانات مختلفة...؟

حتى نفهم فروع القضية لابد من النظر في جذورها وهو معنى الألوهية عند العرب عند ذاك تَسْقُطُ أَسْتَارَ الْحُجُبِ وَتَتَجَلَّى لَنَا أَنْوَارَ الْحَقِيقَةِ، فمن هو الإله عند العرب؟

تكرار بعثة الأنبياء والتذكير جعل بعض الناس يتمادون في التكذيب ويجدون هذه النعمة بطرق مختلفة ابتداءً من النكران وانتهاءً بالجهر بالعداوة والكفران، ولعل في قطع هذه النعمة زمناً فسحة للعقل لِيُخْتَبِرَ وَيُخْتَبِرَ، وهو ما يعرف في الشريعة "بالفترة"، قال تعالى: ﴿لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ القصص 46.

اختار كل قوم لهم آلهة وطقوساً واختارت كل طائفة معبود وندوراً، فظهرت البوذية الجوسية، البرهمية، الزرادشتية... وما لا يحصى من ديانات ثمرة للتفكير الفردي أو الجماعي ومزيجاً من بقايا ديانات سماوية ووضعية، والعرب كغيرهم من الأمم أرادوا انتخاب إله لهم فافترقوا في تعيينه على مذاهب، قال تعالى: ﴿أَجْعَلُ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ﴾ ص 5.

وكان منهم من إمتنع عن التآليه ورفض فكرة العبودية واعتبرها عقيدة وهمية يلجأ إليها من يعجزون عن تفسير المظاهر الكونية فأثمرت الإلحاد، وكان منهم من أنصت لفطرته وقرأ بقايا رسالات سماوية فكانت الحنفية.

المطلب الأول: الاتجاهات الدينية للعرب قبل الإسلام من القرآن الكريم:

الفرع الأول: فرقة الحنفاء الموحدون: ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ البقرة 135

يكاد يجمع العلماء والباحثون أن العرب كانوا يؤمنون بالله خالقاً للكون مُوجداً له مُتَصَرِّفاً فيه، والآيات التي تُعَضِّدُ هذا الرأي كثيرة منها<sup>1</sup> قوله تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ الزمر 38.

وفي ابتداء الآيات بسؤالهم عند المحاورة إشعار بأنه من المسلمات عندهم بل إنهم مُقِرُّون بعظمته وإن أشركوا معه غيره، قال امرؤ القيس:<sup>2</sup>

وباللآتِ والعُزَى ومَنْ دَانَ دِينَهَا      وباللهِ إِنَّ اللهَ مِنْهُنَّ أَكْبَرُ<sup>3</sup> [الطويل]

لقد كان الله كبيراً لأنه التَّصِيرُ عند توقع البلاء ونزول الخطر، ألا ترى "عبد المطلب"<sup>4</sup> بعد أن كلَّم "أبرهة"<sup>5</sup> وقد جاء لهدم الكعبة يقول له رُدِّي لي مئتي بعير أصبتها لي، فقال له أبرهة: أتكلمني في مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتنا هودينك ودين آباءك قد جئت لهدمه فلا تكلمني فيه؟ فقال له عبد

<sup>1</sup> قال تعالى: (وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ) الزخرف 9، الزمر 38، لقمان 24، العنكبوت 61.

<sup>2</sup> امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو الكندي: من أهل نجد وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب ومهلhel من بني تغلب، وامرؤ القيس لقبٌ لهُ لجماله، لقب بالملك الضليل، وبذي القروح لأن ملك الروم بعث إليه بحلة منسوجة بالذهب مسمومة فلما لبسها أسرع في جسده السم فنفظ جلده، مات بمدينة تدعى أنقرة، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: أنه أمير الشعراء يأتي يوم القيامة حاملاً لواءهم، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 105-121، محمد بن سلام الحمصي، ص 51، عبد القادر البغدادي، ج 1، ص 330.

<sup>3</sup> أوس بن حجر، ديوان، ت. محمد يوسف نجم، (دار صادر بيروت، دط، 2009م)، ص 18.

<sup>4</sup> عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي [127ق هـ-45ق هـ-500-579م] اسمه شيبه وهو الذي عقد الحلف لقريش مع النجاشي في متجرها، وكان شريفاً في قومه مطاعاً سيدياً، وكانت قريش تسميه الفَيْضَ لسماحته، ولي بعد هاشم السقاية والرفادة، ابن سعد، المصدر السابق، ج 1، ص 62، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، مصر، ط 1، دت)، ج 2، ص 246-247، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 4، ص 154.

<sup>5</sup> أبرهة بن الصَّبَّاح الحبشي أبو يكسوم، ملك اليمن بعد أن خرَّجَ على أميرها "أرياط"، كان رجلاً قصيراً لحيماً ذا دين في النصرانية، لُقِبَ بأبرهة الأشرم لضربة بالحربة تلقاها من أرياط شرَّمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته.

الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 1243، محمد بن عبد الواحد الشيباني بن الأثير، الكامل في التاريخ، ت عبد الله القاضي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1407هـ-1987م)، ج 1، ص 342، عماد الدين إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية،

ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دارهجر، مصر، ط 1، 1417هـ-1997م)، ج 3، ص 137، علي بن الحسين

المسعودي، المصدر السابق، ج 2، ص 52، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 1، ص 82.



المطلب: "إني أنا رب الإبل وإنَّ للبيت رباً سيمنعه"<sup>1</sup>، ثم قام عبد المطلب فأخذ بجلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ومما قاله عبد المطلب وهو أخذ بجلقة باب الكعبة:

لَاهُمَّ إِنْ الْعَبْدَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَا مَنَعُ حَلَالِكُ [الرجز]  
 لَا يَغْلِبَنَّ صَالِيَهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوْاً مِحَالِكُ  
 إِنْ كُنْتَ تَارِكُهُمْ وَقَبَلْتَنَا فَأَمْرٌ مَابِدَا لِكُ<sup>2</sup>

كانوا يَعْتَرِفُونَ بوجوده ولكنهم يَجْهَلُونَ ذاته فهذا "حبيب بن حثمة الدوس" في جاهليته يقول متحيراً: "إني لأعلم أن للخلق خالقا لكنني لا أدري من هو؟، وإن تحير "حبيب" في ذات الله فقد تحير "زيد بن عمرو بن نفيل" في الطريقة التي يُعبد بها الله ويرتضيها فقد أثار عنه قوله: "اللهم لو أي أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك، ولكني لا أعلمه ثم يسجد على راحلته"، فالجهل بالدين وبالله عز وجل لم يطل المشركين فقط بل طال أصحاب الفطر السليمة الباحثين عن الحق، لأن من ينكر الباطل ويعرف أن هناك حقا لا يعرف له طريقا ولا علما به يهتدي يعيش في جاهلية، ولذلك احتيج إلى الوحي وإلى رسول يعلم الناس سبل الوصول لأنه ليس مما يدرك بالعقول.

قلنا سابقا إن العرب حرفوا وصية إبراهيم -عليه السلام- وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا إلا أن قلة منهم تسمى الحنفية أو الحنفاء بقيت متمسكة بهذا الدين وقالوا ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ البقرة 135.

والحنفية لغة: الميل من قولهم رجلٌ أَحْنَفُ، ورجلٌ حَنْفَاءُ وهو الذي تميلُ قدماهُ كُلُّ واحدةٍ إلى أختها بأصابعها؛ والمعنى أن إبراهيم حَنَّفَ إلى دين الله "الإسلام" والحنيف المسلم الذي يتحنف عن الأديان ويميل إلى الحق وكانوا في الجاهلية يقولون لكل من حجَّ البيت واختتن حَنِيفًا<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، ت. عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1410 هـ - 1990م)، ج1، ص49.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج1، ص50، ابن الاثير، المصدر السابق، ج1، ص342-343.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج11، ص1025-1026.

ومضمون الحنفية عند من كان يؤمن بمقائمه على الإيمان بالله رباً وبالبعث والجزاء على العبادة بالجنة أو النار، قال زيد بن عمرو بن نفيل<sup>1</sup> وهو أحد المتحنفين:

أربا واحدا أم ألف ربّ أدين إذا تُقسّمت الأمـورُ  
عزلت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الجلدُ الصّبور  
فلا العزى أدين ولا ابنتيها ولا صنمي بني عمرو أزور  
ولا هُبلاً أدين وكان ربّاً لنا في الدهر إذ حلمي يسير

وقال عن البعث :

ترى الأبرار دارهم جنان وللكفار حامية سعيـر  
وخزني في الحياة وإن يموتوا يُلاقوا ما تضيقُ به الصدورُ  
وكان إذا استقبل القبلة يقول: "ليبك حقاً حقاً تعبداً ورقاً".<sup>2</sup>

ومن كان على الحنفية قس بن ساعدة الإيادي<sup>3</sup>، ورقة بن نوفل بن أسد<sup>4</sup>، عبيد الله بن جحش، عثمان بن الحويرث، خلصوا نجياً يوماً في عيد كان لقريش عند صنم يعظمونه وينحرون له،<sup>5</sup> فقال

<sup>1</sup> زيد بن عمرو بن نفيل: كنيته أبو سعيد، وهو ابن عم عمر بن الخطاب، سئل عنه النبي ﷺ فقال: "يعتث يوم القيامة وحده"، كان يتأله في الجاهلية ويوحده الله ويقول: إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج3، ص 1133.

<sup>2</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ج1 ص255-256-259.

<sup>3</sup> قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك [نحو 23 ق.م، 600م] من بني إياد، أحد حكماء العرب وخطبائها في الجاهلية، أول من قال في كلامه "أما بعد" كان أسقف نجران، وهو من المعمرين عاش سبعمائة سنة وقيل ثلاثمائة وثمانين سنة، أدرك النبي ﷺ قبل البعثة في سوق عكاظ، عبد القادر البغدادي، المرجع السابق، ج 2، ص 89-90، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 5، ص 196.

<sup>4</sup> ورقة بن نوفل بن أسد [12 ق هـ- 611م] ابن عم خديجة-رضي الله عنها- حكيم جاهلي قريشي نصراني اعتزل عبادة الأوثان والأكل من ذبائحها، كان يكتب اللغة العربية بالحرف العبراني أدراك أوائل عصر النبوة، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 8، ص 114-115..

<sup>5</sup> ومن حرم على نفسه الأكل من ذبائح الكفار زيد بن عمرو وفي الحديث "أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي الوحي فقدّمت إلى النبي سفرة، فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد: إني لست أكل مما تدبّحون على أنصابكم، ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلّقتها الله،

بعضهم تصادقوا وليكنتم بعضهم على بعض: تَعْلَمُونَ والله ما قومكم على شيء، لقد أخطأوا دين أبيهم إبراهيم ما حَجَرُ نُطِيف به ولا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع؟ يا قوم التمسوا لأنفسكم، فإنكم والله ما أنتم على شيء فتفرقوا في البلدان يلتمسون الحنفية دين إبراهيم -عليه السلام-. فأما "ورقة بن نوفل" فتتصر وتعلم علم أهل الكتاب، وهو ابن عم خديجة بنت خويلد<sup>1</sup> -رضي الله عنها- أم المؤمنين وعاش حتى بُعث، وهو الذي أخبر النبي ﷺ بأن ما رآه في غار حراء هو الملك وبأنه نبي آخر الزمان، وكان يستبطن الأمر فيقول:

لَجِجْتُ وَكُنْتُ فِي الذَّمْرِ لَجُوجاً لَهُمْ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيحَا [ الوافر ]  
 وَوَصَفْتُ مِنْ خَدِيجَةٍ بَعْدَ وَصْفِ فَقَدِ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا  
 بِيْطِنِ الْمَكْتَبِيْنَ عَلَيَّ رَجَائِي حَدِيثِكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجَا  
 بِأَنْ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا وَيَخْصِمُ مِنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيحَا<sup>2</sup>

وأما عبيد الله بن جحش فظل مُتَشَكِّكاً حتى أسلم ولما هاجر إلى الحبشة ارتدَّ وتنصر، وكذلك عثمان بن الحويرث الذي قدم على قيصر الروم وتنصر.

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فَتَوَقَّفَ ولم يعتنق أي دين واعتزل عبادة الأوثان، ونهى عن قتل المؤودة واعتزل أكل الميتة والدمَّ والذَّبَائِح التي تذبح للأوثان، وعاب على قومه فعلهم وكان يقول: أُرْسِلَ اللهُ قَطْرَ السَّمَاءِ وَوُئِنْتُ بِقَلِّ الأَرْضِ فَتَرَعِي السَّائِمَةَ فِيهِ وَتَذَجُوه لغيره؟.

ثم خرج إلى الموصل والشام يطلب دين إبراهيم -عليه السلام - حتى انتهى إلى راهب بميِّفعة من أرض البلقاء<sup>3</sup>، فسأله عن الحنفية فقال له: إنك تطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظل زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين إبراهيم الحنفية، فخرج يريد مكة

وأُنزِلَ لها من السماء الماء، وأُنبت لها من الأرض ثمَّ تذبحونها على غير اسم الله؟"، صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل، ج3، ص49 [رقم 3826].

<sup>1</sup> خديجة بنت خويلد:

<sup>2</sup> غسان عزيز حسين، ورقة بن نوفل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ-2002م)، ص121.

<sup>3</sup> البلقاء: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمّان، وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، صفي الدين البغدادي، المرجع السابق، ج1، ص219.

حتى إذا توسط بلاد لحم عدواً عليه فقتلوه.<sup>1</sup>

ومن كان على الحنفية: عامر بن الظرب العدواني<sup>2</sup>، وكان من شعراء العرب وخطبائهم قال في وصية له: "إني ما رأيت شيئاً قط خلق نفسه، ولا رأيت موضوعاً إلا مصنوعاً ولا جاثياً إلا ذاهباً، ولو كان يميت الناس الداء لأحياهم الدواء، إني أرى أموراً شتى حتى، قيل له وما حتى، قال: حتى يرجع الميت حياً، ويعود لاشيء شيئاً ولذلك خلقت السموات والأرض."

أربع من قريش-أوزيدون-<sup>3</sup> كانوا على الحنفية وهم قلة، والحنفية عندهم مختزلة في اجتناب الأصنام والإيمان بالله واعتقاد البعث والجزاء على الأعمال، ولانعلم سبباً يقينا أدى بهم إلى الانقلاب على واقعهم الديني والتبرؤ من آلهتهم سوى فرضية واحدة وهو إعمالهم للعقل مع فطرة سليمة استعصت الجهالة أن تُلطخها، كما حدث مع سيدنا إبراهيم-عليه السلام- وقد رأى قومه يعبدون الأصنام فأنكرت فطرته ذلك وحاورهم: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ \* أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يُضُرُّونَ ﴾ الشعراء 72-73، ثم مال عن مخاطبتهم إلى النظر في الكون مُتسائلاً وباحتاعن الإله الحق: ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ \* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ \* فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُنْقِمُ رَبِّي لِئِنِّي بِرَبِّهِ مُشْرِكٌ \* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ الأنعام 76-79.

لهذا وُسم إبراهيم-عليه السلام- ودينه بالحنفية، ليس بالنصرانية الحققة ولا باليهودية الحققة بل بالحنفية، لأنه تبع فطرته حين مال عن الضلال إلى اتباع الحق قال ﷺ: «إني خلقت عبادي حنفاء كلهم»<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ج1، ص 251-252-261.

<sup>2</sup> عامر بن الظرب بن عمرو بن عياض العدواني من المعمرين رئيس من الجاهليين، كان إمام مضر وحكماً وفارسها وخطيبها وهو ممن حرّم الخمر على نفسه وكان يقال له "ذو الحلم"، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص252.

<sup>3</sup> ومن الحنفاء من غير قريش خالد بن سنان العبسي، رثاب الشني، أسعد الحميري، عدس مولى عتبة بن ربيعة، أبو عامر الأوسي، عبد الله بن جحش الأسدي، بحير الراهب، علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دار الأندلس بيروت ط1، 1385-1965م)، ج1، ص 81-89.

<sup>4</sup> صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، مج2، ص 1311، [رقم 2865].

ونادت فطرتهم أيضا أن ديناً يقوم على مجرد الاعتقاد دين ناقص يحتاج في كماله إلى تشريع رباني يُنظم حياتهم دون الاعتماد على مجرد الاجتهاد، ورغبةً منهم في تشييد عالمهم الروحي بتحصيل أحوبة ماثوقة لتساؤل ولائهم التي لا يفتنون يفكرون بها، احتاجوا أن يعرفوا كيف يقومون بحق الله<sup>1</sup>، كيف يتصلون به ليُحصّلوا الرضى ويتجنبوا السخط، فإن كان هناك وعد بالجنة ووعد بالنار فلا بد من القيام بأعمال يستحقون عليها الثواب واجتناب أخرى اتقاءً للعقوبة.

ومعنى الألوهية يستلزم وجود طقوس دينية تمارس لتحقيق العبودية خصوصاً وأنهم يرون المشركين يتقبلون في شعائرهم الدينية التي احتلت كل حياتهم وهم يفتقرون إلى تشريع رباني، ورفضوا أن يُخلّقوا لمجرد الاعتراف بوجود الله لأن رغبتهم الروحية تطالب بتحقيق العبودية في سلوك ملموس يستزيدون به يقينهم.

وهؤلاء قومهم الذين تفتت أحكام ديانتهم الجاهلية في جميع حياتهم وقد انقلبوا عليهم ونفروا منهم وجادلوهم، بأي حجة سيارزوهم وبأي طقوس دينية سيأمرؤهم، وهو ما دفع بعضهم إلى الضرب في الأرض بحثاً عن دين له تطبيقاته الواقعية بعيد عن مجرد التنظير وعن أرض متعصبة لوثنيتها متفانية في الدفاع عنها لا تقبل أن يُعبَدَ في أرضها غيرها، فخرج "قس بن ساعدة" وقضى نحبه في طريقه إلى الحق قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ

مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿الحج 58.

ومنهم من عرف ثم انتكس كعبيد الله بن جحش الذي أسلم ثم تنصر ومات على النصرانية،

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة 217، ومنهم من صدّه عن

الحق الحسد "كأمية بن أبي الصلت"<sup>2</sup> الذي استكبر عن اتباع الرسول ﷺ ورأى أنه أولى منه

<sup>1</sup> يرى عماد الصباغ أن الأحناف كانت لهم شريعة وطقوس دينية تجلت في الحج والصوم والختان وتحريم الخمر، بل زعم امتلاكهم لكتب دينية سماوية كصحف إبراهيم عليه السلام، ومجلة لقمان، عماد الصباغ، الأحناف، (دار الحصاد، دمشق، ط1، 1998م)، ص 32-67-68.

<sup>2</sup> أمية بن أبي الصلت: اسمه عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، وأمه: رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف، قرأ الكتب المتقدمة ورغب عن عبادة الأوثان، وأخبر بأن نبي سبيعت قد أظل زمانه، وبجكي في شعره قصص الأنبياء ويأتي بالفاظ لم تعرفها العرب، قال عنه الأصمعي ذهب أمية في شعره بعمامة ذكر الآخرة، وقال عنه النبي ﷺ: "آمن شعره وكفر قلبه"، مختلف في سنة وفاته والثابت أنه عاش حتى غزوة بدر ورثى قتلاهم سنة 2هـ، عبد القادر البغدادي، المرجع السابق، ج1، ص 247، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص 459، أمية بن أبي الصلت، ديوان، ت سميح الجبيلي، (دار صادر، بيروت، ط1، 1998م)، ص 7-12.

بالنبوة.

الغلبة لا تكون مع الكثرة دائما كذلك الحق لا يكون مع الأغلبية قانونا والباطل وإن طال حتى صار معروفا لا يقوى على إزهاق الحق وإن شجّه إلى حين، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذَّهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ الرعد 17، والحق قد يلتبس بالباطل أحيانا فيشتبه علينا فتزهد فيه وقد يُؤاد الحق على يد من أفنى نفسه في طلبه بسبب مصلحة شخصية، أو هوى أو كبر وعصبية.. لهذا كانت العبرة بالخواتيم.

الفرع الثاني: فرقة الدهريون الملحدون: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الجاثية 24.

- لغة: الدهر ج أدهر ودهور، وهو الزمان الطويل ومدة الحياة الدنيا، ورجل دهرى قديم مُسن، ورجل دهرى: ملحد لا يؤمن بالآخرة.<sup>1</sup>

- اصطلاحا: فرقة من الكفار يحدون الصانع المدبر، ويسندون كل شيء إلى الدهر وهو عندهم قديم، وذهبوا إلى ترك العبادات لأنه لا بعث ولا حساب.<sup>2</sup>

- قرآنا: حين عرض القرآن لذكر الأقوام المكذبين بالرسالة ذكر طائفة الدهرية وعبر عنهم بقوله "ومنهم" للدلالة على أنها فرقة من المكذبين بوجود الله وبالبعث والوحي، ويذهب الإمام الشهرستاني<sup>3</sup> إلى أن الدهرية فرق ثلاث مختلفة الاعتقاد وهم:

١- منكروا الخالق والبعث والإعادة: أو من يُسمون بالدهرية الذين لا يعتقدون بأي دين أو إله، وقالوا بالطبع المحي والدهر المفي،<sup>4</sup> قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ الجاثية 24، أي نموت نحن ونحيا ونحيا أبناءنا

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج2، ج 16، ص 1439-1440.

<sup>2</sup> أحمد سعد الخطيب، مفاتيح التفسير، (دار التدمرية، الرياض، دط، 1431هـ-2010م)، مج1، ص 481-482.

<sup>3</sup> الشهرستاني: هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم [479-548هـ-1086-1153م] إمام فيلسوف في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة ولد بشهرستان (خراسان) ومات بها، كان يلقب ب"الأفضل"، من آثاره "نهاية الإقدام في علم الكلام"، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج6، ص 215، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص 263.

<sup>4</sup> وفي سورة الأنعام 29، المؤمنون 73.

بعدنا، فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم.<sup>1</sup> وكان لسان حال الرجل منهم يقول ليس للكون إله ولا ضرورة تجربنا على الاعتراف بوجود شيء غيبي، أنا أؤمن بذاتي وبما أراه وأسمعه وأشمه وألمسه وأنكر كل ما لا يرى وما يُتَّهَى لبعض الناس أنه موجود، وإذا غاب الدليل الملموس فلا حقيقة لوجود قدرة غيبية مؤثرة في الكون تستحق أن تُعبد، ولأنني لا أعتقد إلا فيما أراه فما أراه أن الزمن هو الشيء الوحيد الذي له سلطة الأمر والتغيير على أجسادنا وعقولنا.

وحجتهم في ذلك هو دورة الزمن المتكررة وأثره المرئي في خلق الإنسان الذي يتحول من جنين ثم إلى طفل ثم إلى شاب ثم إلى شيخ أو كهل ويفنى بالموت، فلو كان البعث حقا وهو النقطة النهائية للدورة الزمنية فمتى يكون ولما يروا أثرا له على أجساد من مات من آبائهم وأجدادهم الأقربين منهم أو الأبعدين، لهذا طالبوا بالدليل المشاهد الملموس فقالوا: ﴿أَتَتَوَابَاتِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ الجاثية 25.

ولأنه يستحيل التحكم في الزمن أو في آثاره على الأشياء، من موت وحياة وما يطرأ فيهما من صحة ومرض وفرح وقرح، أكثروا من ذكره في أشعارهم لوماً وعتاباً وأحيانا سباً وشتماً، فعن أبي هريرة<sup>2</sup> رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله عز وجل: «يُؤذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ أَقْلَبُ اللَّيْلَ وَالتَّهَارَ».<sup>3</sup>

ألهة الملحدين هو الدَّهْرُ الخالد إذن، وما دام الزمن هو المؤثر الوحيد في حياتنا وهو يملكنا ولا نملك منه ومادام أن هناك حياة واحدة نحيها لهذا سنعيشها من غير قيود ولا مسؤولية ولا التزام، قال تعالى على لسانهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ الجاثية 24، وتقديم ذكر الموت على الحياة مناسب لمنهجهم في الحياة، فإن كان آخر العمر موتاً فسأحيا حُرّاً لأن الدين مانع من الاستمتاع بالحياة لما يثيره من صراعات داخلية يومية ينبغي البتُّ بها، بين الحلال والحرام بين الحق والواجب، بين إشباع الغرائز أو كبتها... تماماً مثلما

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 21، ص 59.

<sup>2</sup> أبو هريرة: كان اسمه في الجاهلية عبد شمس فسمي في الإسلام عبد الله، من دوس نشأ يتيماً وهاجر مسكيناً، وكان أجيرو لبسرة بنت غزوان بطعام بطنه وعقبة رجله، صحب النبي أربع سنين، توفي سنة تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان وله ثمان وسبعون سنة، ابن سعد، المصدر السابق، ج 5، ص 130-131-257، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 578-589.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، مج 2، ص 1069، ص 1069، [رقم 2246]، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 21، ص 97.

يُصر الملاحدة المعاصرون على اختراع صراع وهمي بين الدين والدنيا، فالأول يدعو إلى التخلف والجهل والثاني يدعو إلى التقدم والعلم<sup>1</sup>.

إن من يقول بالدَّهْرية هُو من طُلَّابِ الحِرية مستسلم لسلطة الزمن الدنيوي جبراً متمرد على الشرائع الدينية اختياراً، كافر بالبعث مُتَحَرِّراً من قيد زمنٍ آخر يدعى باليوم الآخر.

٢- منكرو البعث والإعادة: يؤمنون بالله ويُقرُّون به خالقاً للكون مُبدعاً ولكنهم ينكرون البعث والإعادة،<sup>2</sup> قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ \* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يس 78-79 فاستدل عليهم بالنشأة الأولى إذ اعترفوا بالخلق وأنكروا البعث ﴿أَوَّابًا وَأَنَا الْوَلِيُّ﴾ الصافات 17.

ومن أشعارهم: حياة ثم موت ثم نشور حديث خرافة يا أم عمرو [الوافر] وبعضهم في مرثية أهل بدر من المشركين:

يخبرنا الرسول بأن سنحيا وكيف حياة أصداء وهام؟

وكانوا يعتقدون أنهم إن بعثوا فسيبعثون على ما هم عليه من مال وأهل، ففي الصحيح عن خباب<sup>3</sup> قال: «كان لي على العاص بن وائل دينٌ فأتيته أتقاضاه فقال لي: لَنْ أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ حَتَّى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ، قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مَنْ بَعْدَ الْمَوْتِ؟ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَى مَالٍ وَوَلَدٍ»<sup>4</sup>.

ليس الإلحاد مجرد إنكار للذات الإلهية بل هو فرار من فكرة المساءلة، إن سلمنا بالمقولة التي مفادها أن الإلحاد هو موقف افتراضي وليس ادعاءً وإنما هو جواب على ادعاء بالرفض<sup>5</sup>، وأزيد عليه أنه ليس فكرة

<sup>1</sup> أتفهم أن ينقلب النصراني والمسيحي واليهودي على دينه فيلحد لكثرة الأخطاء والتناقضات والانحرافات التي حوته، ولتخييره الإنسان بين الرهبانية أو العلمانية، أما أن ينقلب المسلم ملحدًا مع ما يطالب به الإسلام من العلم والتقدم فلا أستسيغها حجة.

<sup>2</sup> النمل 68، الصافات 15-16.

<sup>3</sup> خباب بن الأرت: كنيته أبو عبد الله، تميمي سادس المسلمين ومن المهاجرين الأولين والمعذنين في الله شهد بدرًا والمشاهد، عاش ثلاثًا وسبعين سنة، توفي بالكوفة سنة سبع وثلاثين، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ص 906-907، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء،

ج2، ص 323.

<sup>4</sup> صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب سؤال اليهود النبي عن الروح، مج2، ص 1287، [رقم 2794].



تبشيرية تطالب بالتوسع، بل هو حجة تُذرع بها للدفاع عن أسلوبهم المتحرر في الحياة عند من يُنكر عليهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ الأنعام 29.

ودعواهم لا تقوم على دليل يناظرون به من يخالفونهم ولا قائمة على إعمال العقل فيما يرفضونه، قال تعالى: ﴿هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ بل إن البهائم أحسن حالا منهم فبغريزتها تؤمن بالله وترضخ له، قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ الإسراء 44، ودعواهم قامت على ملاحظة سطحية في جزء من الكون أدّى إلى سوء تفسير لتعطيلهم ملكة الإدراك.

يقول الفيلسوف الأمريكي أيرنست نيجل: [1901-1985م] مُعْتَذِرًا عن فكرة الإلحاد بقصور في عقل القائلين بها: "إن عدم الإيمان ليس إلحادًا فالطفل حديث الولادة لا يؤمن لأنه ليس قادرًا على الإدراك وعليه يجب توفر شرط عدم الاعتقاد بوجود فكرة الإله"<sup>1</sup>.

ج- منكروا الرسل: أقرّوا بالخلق ونوع من الإعادة وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام باعتبارهم شفعاء عند الله في الدّار الآخرة<sup>2</sup> قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ الإسراء 94.

كان إنكار قريش لبعثة النبي ﷺ ووجود رسالته لسببين طالبوا بتزول رسول ملائكي فإن لم يكن فرسول بشري سيد في قومه بماله وجاهه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف 31، والمقصود بالقريتين مكة والطائف وبالرجلين الوليد بن المغيرة، ومسعود الثقفي.<sup>3</sup>

وتكبروا عن اتباع الدعوة لرجل من أوسطهم نسبا وشرفا لاعتقادهم أن هذه الدعوة اختراع بشري هدفه السيادة والسيطرة من رجل يطمح إلى السؤدد.

<sup>2</sup> محمد عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ت. عبد العزيز الوكيل، (دط، دت، دار الفكر، بيروت)، ص 491.

<sup>3</sup> جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص 228.

إنها ثلاثية الإلحاد؛ لا أو من ياله فأنا حر ولا أو من بالبعث فأنا غير مسؤول، ولا أو من بالرسل فأنا لست بتابع.

استغربت أول الأمر إدماج فرع منكري الرسل بفرقة الدهرية مع أنها إلى الإلحاد أقرب لاعتقادهم في الألوهية، ولما تتبعت المواضع الثلاث التي ذكر فيها الإلحاد في القرآن الكريم وهو ما يُرادف الدهرية وجدت أن الآية التي تتحدث عن الإلحاد إما أن تشير إلى إنكار الألوهية، أو تسبق بآيات أخرى تدل على إنكار البعث أو الرسل.

\* ففي الموضع الأول في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف 180، كانت الآية صريحة في طعنهم في أسماء الله وصفاته تكديبا بها أو مضاهاة لها حين اشتقوا العزى من العزيز، واللآت من الله، ومناة من المنان<sup>1</sup>.

\* وفي الموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ النحل 10، يسبق الإلحاد إنكار الرسل والوحي، قال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل 102.

\* وفي الموضع الثالث في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ مِّنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فصلت 40، يسبق ذكر الإلحاد دليل الإحياء والإماتة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُجِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فصلت 39.

### \*موقف الشرع من الدهريين :

يقول بلوتارك<sup>2</sup> المؤرخ الإغريقي: "من الممكن أن تجد مدنا بلا أسوار ولا ملوك ولا ثروة

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 6، ص 688-689، الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، ت عثمان جمعة، (دارطبية، الرياض، دط، 1409هـ)، ج 3، ص 307.

<sup>2</sup> بلوتارك: [46-120م؟] كاتب سير يوناني، كان لأعماله أبعاد الأثر في تطور فن المقالة والسيرة في أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، وضع كتابين شهيرين "سير متوازية لنبلاء الإغريق والرومان" و"الأخلاق" يشمل أكثر من

ولا آداب ولا مسارح، ولكن أحدا لم ير قط مدينة بلا معبد أو مدينة لا يمارس أهلها العبادة... فالشعور الديني أمر ينبع من الفطرة وأمام الإنسان الاختيار دائماً إما أن يؤمن بالله أو بشيء غير الله<sup>1</sup>، واختار الدهريون أن يؤمنوا بأن لا إله متمردين على الفطرة مع تنويع الزمن ربا يحي ويميت، ينفع ويضر.

يولد الإنسان بعد مخاض وألم لأنه انتقل من عالم العدم إلى عالم المشاهدة، ويموت بالسكرات لأنه ينتقل من عالم المشاهدة إلى عالم البرزخ، ويبعث للمساءلة والجزاء في عالم الخلد الذي يدعى باليوم الآخر، هذا العالم الذي لا يفتىء القرآن يذكره ويقرنه بالإيمان بالله في غير ماموضع<sup>2</sup>، ويُفصّل الحديث فيه، فيذكر الجنة وأبوابها سكانها وخدمتها، أنهارها بناؤها، ماكلها ومشاربها، ويذكر النار ودركاتها، أبوابها خزنتها سكانها وألوان العذاب فيها، وهذا التفصيل الدقيق للدارين يغرس في النفس اليقين بوجودهما بوصف شاهد رأى وسمع ومُبدع خلق وأوجد.

الزمن أنواع ومراحل تشبه دورة حياة الناس ولكل مرحلة علامات بداية ونهاية، والصحيح أن الإنسان موجود في كل مرحلة منها وإن طرأت على جسده تغيرات راجعة إلى أصل تكوينه الجسدي والروحي التي يملكها الله تعالى فيقبضها أو يمسكها لتعيش الزمن أو تنام فيه أو تُسأل عنه.

والدهرية طائفة أنكرت أزمانا واعترفت بزمن واحد وهو الحياة الدنيا، وأنكرت قدرة الزمن على التحول أو الرجوع لهذا طالبوا بأجساد آبائهم أن تعود لها الحياة دليل صدق على حياة أخرى، وهو دليل فاسد إذ لا يعقل أن يجيب الله طلبهم بدمج حياتين مختلفتين في حياة واحدة فلا يبقى من فضيلة التصديق والإيمان شيئاً إن رأوه عياناً.

ونسبة الإحياء والإماتة للدهر لا تصلح حجة عقلية؛ لأن الموت لا ينال الأجسام وفق نظام محدد وعددمعين حتى يظنوا أن مرور الأيام هو الذي يسلبهم الحياة، فالأطفال يموتون كالشيوخ والأصحاء يموتون كالمرضى، والأقوياء يموتون كالضعفاء، ولا يصلح الدهر إذن تفسيراً للموت

---

ستين مقالا في الأخلاق والدين والسياسة والأدب، منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، (دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1992م)، ص110.

<sup>1</sup> أحمد مجت، الله في العقيدة الإسلامية، (دار الأهرام، القاهرة، ط3، 1406هـ-1986م)، ص13.

<sup>2</sup> كسورة البقرة الآية8- 228-232/آل عمران 114/النساء 59-136/المائدة162/التوبة99/النور2/الأحزاب 21/المجادلة 22/المتحنة6.

عند من ينظر إلى الأمر نظرة فاحصة<sup>1</sup>، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُوهُنَّ أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِي وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْذِلُ إِلَىٰ أَزْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ الحج 5.

وقد ألح علي سؤال لم يحيي الله أجساد آبائهم إن كان هذا هو السبيل الوحيد لإقناعهم، ولم ذم الله طلبهم وقد سأله إياه سيدنا "إبراهيم" -عليه السلام- فأجابه<sup>2</sup>، وشكك فيه "عزير"<sup>3</sup> فأماته الله ثم أنشده وأراه عيانا قدرته على الإحياء، قال تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة 259، وأمات الله أصحاب الكهف ثلاثمائة سنين وتسعاً ثم أحياهم، فلم لم يجب الله طلب الملاحدة؟

لعل أهم فرق هو النظر إلى نية المطالب وعقيدته ولا تكون إجابة المستسلم كإجابة الجاحد المكابر إبراهيم -عليه السلام- كان مؤمناً وطالب باليقين، قال النبي ﷺ: «نحن أحق بالشك من إبراهيم، إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى؟»<sup>4</sup>، وعزير لم يجاهر بتشكيكه بل سأل سؤال المتفكر، وانظر ما فعل من شاهد معجزة البعث؛ رأى اليهود بعث "عزير" بعد مائة عام فقالوا: ﴿عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ﴾ التوبة 30، ورأى النصراني عيسى -عليه السلام- يحيي الموتى ويخلق من الطين طيراً تنفخ فيه الروح بإذن الله فقالوا: ﴿الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ التوبة 30، ورأى القوم بعثة الفتية المؤمنین من أصحاب الكهف فقالوا: ﴿لَنْ نَخَذَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ مَّسْجِدًا﴾ الكهف 21، فلو أحيى الله آباءهم لاعتبرهم الناس وقومهم أنصاف آلهة أو قديسين أو أربابا، فإن أحيى الله طائفة من الموتى لكل من شكك بالبعث لم يبق من فضل التصديق بالغييب شيء.

<sup>1</sup> سيد قطب، المرجع السابق، ص 21.

<sup>2</sup> قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ) البقرة 260.

<sup>3</sup> قال تعالى: (قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ) البقرة 259.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى ج 3، ص 204، [رقم 4537]، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب زيادة الطمأنينة بتظاهر الأدلة، ص 79، [رقم 151].

ثم إن أحدا ممن سبق ذكرهم من المؤمنين لم يعينوا شيئا خاصا بالإحياء، بينما الملاحظة خصصوه بالآباء أو الأجداد وهذا سوء أدب منهم يدل على فساد نيتهم، إذا لم يطلبوه للحق بل طلبوه مكابرة وتعجيزا.

وجواب الإحياء ما كان متماثلاً لإبراهيم-عليه السلام-أخذ طيرا وفرقها على الجبال ثم جمعها الله له وعيسى-عليه السلام-جمع له بين إحياء الموتى وخلقه من الطين طيرا- بإذن الله تعالى-و"عزير" جمع له بين البعث في نفسه أولا، ثم جعل الزمن تابعا للإرادة الإلهية المخالفة للوقائع المشاهدة والتي لاتوافق السنن الكونية، فأثر الزمن في بعض الأشياء دون بعض وهذا دليل على قدرة الله تعالى في الإحياء أولا ممن أفناه الزمن، وعلى القدرة على منع الزمن من تغيير ما يتغير به، قال تعالى: ﴿فَأَنْظِرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لِمَ يَتَسَنَّهٖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ۗ وَانظُرْ إِلَىٰ الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ البقرة 259.

وفيها إشارة أخرى إلى أن سلب الروح هو الذي منع الإحساس بالزمن وغياب هذا الإحساس لا يعني انعدام تأثير الزمن كذلك تغطية الفطرة وحبس الألوهمية عطل الإيمان باليوم الآخر.

الفرع الثالث: فرقة الموحدون المشركون قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ

تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 22.

اختار معظم العرب أن يجمعوا بين الإيمان بالله خالقا والإيمان بغيره شريكا، ومنشأ هذا الإنقسام العقدي عوامل وراثية ونفسية وأخرى عرقية واجتماعية، وسنحاول في هذا المبحث أن نتعرف إلى معبوداتهم الشركية وعلة اتخاذهم لها.

كانت عبادة الأصنام هي الواجهة الدينية لمشركي العرب والتي اختلفت صورها وتسمياتها ومادة صنعها والقرآن الكريم عند ذكره لهذه المعبودات يُراعي هذه الاختلافات فتجده يدعوها تارة الأوثان وتارة الأصنام وتارة أخرى الأنصاب وهذا الاختلاف له أصل في كتب اللغة والآثار. \* فالصنم: مُعْرَب شَمَنْ، وهو الوثن، وينحت من خشب، ويُصاغ من ذهب أو فضة

وُنحّاس في شكل جسم أو صورة فإن لم يكن جسم أو صورة فهو وَنٌّ<sup>1</sup>.

\* الوثن: فهو الصنم الصغير، قال ابن الأثير: الوثن كل ما كان له جثة معمولة من جواهر الأرض أو من الخشب والحجارة كصورة الآدمي تُعمل وتنصب فتُعبَد، والصنم الصورة بلا جثة، وفي السنة أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا يُعْبَدُ اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»<sup>2</sup>، ومنهم من لم يفرق بينهما وأطلقهما على المعنيين.<sup>3</sup>

\* النُصْبُ: فصنم أو حجر، وكانت الجاهلية تنصبه تذبجُ عنده فيحمر للدم.

ولهذه المعاني اللغوية على الواقع العربي الجاهلي دلالة وصلّة، فقد كان لقريش النُصْبُ وهي أصنام يذبحون عليها قربانهم المقدمة إلى الآلهة<sup>4</sup> قال تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ المائدة<sup>3</sup>، والتي منها الكبير الذي على صورة إنسان كهليل وإساف ونائلة ومنها الصغير الذي يوجد في كل بيت...

\* والتَّمَثَالُ: اسمٌ للشيء المصنوع مشبهاً بخلق من خلق الله ج التماثيل، وأصله من مَثَلْتُ الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره، وظل كل شيء تمثاله، ومثّل الشيء بالشيء سواه وشبّهه به.<sup>5</sup>

ولم يأت ذكر الأوثان إلا عند محاجة إبراهيم -عليه السلام- لقومه قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ الأنبياء<sup>52</sup>، لاختلاف معنى العقيدتين وإن اتحدا في المعبود فمعنى التماثيل والأصنام عند قوم إبراهيم -عليه السلام- عبادة لذات الله ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ الأنعام<sup>74</sup>، ومعنى الأصنام والأوثان عند العرب عبادة أرواح شركاء الله الحالّة في الأصنام. ومن أصنامهم "مناف"، و"ذو الخلصة"، و"الأقيصر"، و"سُعَيْر"، و"عميانس"... إلى غير ذلك من

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج4، ج 28، ص 2512، هشام بن محمد بن السائب الكلبي، الأصنام، ت أحمد زكي، (دارالكتب المصرية، القاهرة، ط 2، 1343هـ-1924م)، ص 53.

<sup>2</sup> مالك بن أنس، الموطأ، ت. بشار عواد معروف (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1997م)، ج 1، ص 243، [رقم 475].

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 51، ص 4765.

<sup>4</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج 49، ص 4436.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، مج6، ج 46، ص 4134-4135.

الأصنام التي كانت حول الكعبة والتي بلغ عددها 360 صنماً<sup>1</sup>.

وقد ذكرت الأصنام والأنصاب في الشعر الجاهلي في قول المتلمس:

أَطْرَدْتَنِي حَذَرَ الْهَجَاءِ وَلَا وَاللَّاتِ وَالْأَنْصَابِ لَا تَتَلَّ<sup>2</sup> [الكامل]  
و في قول عبيد بن الأبرص:<sup>3</sup>

وَتَبَدَّلُوا الْيَعُوبَ بَعْدَ إِلَهُهِمْ صَنَمًا فَقَرُّوا يَا جَدِيلٍ وَأَعْدَبُوا<sup>4</sup> [الكامل]

<sup>1</sup> صحيح البخاري، ج3، ص150، صحيح مسلم، مج2، ص857.

<sup>2</sup> المتلمس الضبي، المصدر السابق، ص42.

<sup>3</sup> عبيد بن الأبرص بن عوف بن جُثَم بن عامر [25ق هـ - 600م] من فحول شعراء الجاهلية عظيم الذكر والشهرة، من المعمرين عاش أكثر من ثلثمائة سنة وقيل مائتي سنة، قتله النعمان بن المنذر يوم بؤسه، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص267-268، محمد بن سلام الجُمحي، المصدر السابق، ج1ص406، عبد القادر البغدادي، المرجع السابق، ج2، ص215، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص188.

<sup>4</sup> عبيد بن الأبرص، ديوان، ش أحمد عدرة، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط1-1414هـ-1994م)، ص29 والمعنى بدلنا

لكم صنم

"اليعوب" بصنم آخر لكم كنا قد أخذناه منكم فاسكنوا وكفوا.

## المطلب الثاني: مظاهر الإشراف العقديّة وطقوسهم التعبدية

### الفرع الأول: مظاهر الإشراف في عبادة القوى الكونية

#### أولاً: القوى الأرضية

١- عبادة الأبحار، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ النجم 19-20.

تشير الآية إلى ثلاثة من أعظم الأصنام عند العرب التي كانوا يعكفون على تقديسها وعبادتها من دون الله وهي: اللات والعزى ومناة وكانت في جوف الكعبة<sup>1</sup>.

وظاهر من أسمائها صفة التأنيت لأنهم اشتقوا أسماءها من أسماء الله تعالى فقالوا من الله: اللات، ومن العزيز: العزى. وقيل: العزى: تأنيت الأعز، ومن المنان مناة<sup>2</sup>، ثم زعموا أنهم بنات الله لهذا قال تعالى عقب هذه الآيات: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ﴾؟ سؤال المستنكر عليهم إذ كيف يطلبون العون ويتظنون النصر من آلهة أنثى هي على ما تعرفونها من الضعف وقلّة العقل وهذه هي الأسباب التي أدت بكم إلى كره البنات ووثدهن، ثم أنتم تستنصرون بهنّ قال تعالى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْثًا﴾ النساء 117.

ويؤيد هذه النظرية أيضاً أنه يروى في قصة إسلام "طلحة"<sup>3</sup> أنه دعى أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى عبادة "اللات والعزى، فسأله أبو بكر رضي الله عنه: ومن هنّ؟ فأجاب طلحة بأنهن بنات الله، ثم سأله أبو بكر رضي الله عنه: ومن أمهنّ؟ فلم يجد طلحة جواباً ولا أصحابه فأعلن إسلامه.

ويذهب بعض المفسرين إلى أن هذه المسميات الثلاث لا تدل على أصنام بل تدل على ثلاث

<sup>1</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 7، ص 408.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 22، ص 46، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 7، ص 407 وج 3، ص 307، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 82، ص 296.

<sup>3</sup> طلحة بن عبيد الله القرشي التيمي المكي، أحد العشرة المبشرين بالجنة كان رجلاً أبيض يضرب إلى الحمرة مربوعاً، رحب الصدر بعيد ما بين المنكبين، ضخّم القدمين، وكانت يده شلاء مما وقى به النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد، سمّاه صلى الله عليه وسلم طلحة الفياض، طلحة الخير، طلحة الجواد، قتل يوم الجمل مع ولده محمد السّجّاد، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء ج 3، ص 23-25-27، وتهديب تهذيب الكمال، ج 13 ص 412 ابن سعد، المصدر السابق، ج 3، ص 196-197، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج 1، ص 1550، محمد بن أحمد بن حمّاد الدُولابي، الكنى والأسماء، ت زكريا عميرات، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1420-1999م)، ج 1، ص 20.



بيوت كانت العرب تعظمها؛<sup>1</sup> ولكل من هذه البيوت سدنة وحجاب وأتباع يهدون لهم ويطوفون بهم، وينحرون عندهم كما يفعلون بالكعبة مع اعتقادهم لتقدمها.

\*"صنم مناة": كانت بالمشلل عند قديد بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج في جاهليتها يعظمونها، ويهلّون منها للحج إلى الكعبة، "واللّات" كانت لتقيف بالطائف<sup>2</sup>، وكان سدنتها وحجابها بنو مُعْتَب، والعزّي كانت شجرة أو شجيرات عليها بناء وأستار بيت نخلة، وهي بين مكة والطائف، كانت قريش يعظمونها.<sup>3</sup>

مناة: من قولك منوت الشيء، وهو اسم صنم كان لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة يعبدونها من دون الله،<sup>4</sup> وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك كانت تمنى عندها أي تُراق، ومناة مفعلة من التوء كأهم يستمطرون عندها الأنواء تبركا<sup>5</sup>.

والمعنى اللغوي يحتل الوجهين، بل يحتل عدة وجوه أخرى "فالمني" الذي اشتق منه اسم الصنم، يعني الموت المقدر، ويعني المنايا وهي سؤال الحوائج، ويعني الانتظار ويعني الأحداث، ويعني الكيل والميزان.. ويعني الابتلاء والإختبار.<sup>6</sup>

فكان العرب إنما أطلقوا عليها هذا الاسم لاختلاف اعتقادهم في منافعها، فمناة هي التي تحقق أمانيتهم وتُجيب دُعائهم وهي المؤثرة في سير الأحداث وإلحاق الخير أو إيقاع البلاء بهم، وهي التي تحكم بينهم فيما اختلفوا فيه من نسب أو تحيروا فيه عند سفرياجالتهم القداح.

<sup>1</sup> ذكر ابن اسحاق في السيرة كل البيوت التي كانت العرب تقدها وسمها طواغيت وهي مع اللات، والعزّي، ومناة، ذو الخلصة لدوس وخنعم وحنيلة ومن كان بلادهم من العرب ببالة. ويقال لها: الكعبة اليمانية، وللکعبة التي بمكة الكعبة الشامية، و"فلس لطبي" لمن يليها بجلي طبي من سلمى، و"ريام" بصنعاء لحمير وأهل اليمن، و"رضاء" بيتا لبني ربيعة، و"ذوالكعبات" لبكر وتغلب ابني وائل، محمد بن اسحاق، السيرة النبوية، ت أحمد فريد المزيدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2004م)، ج1، ص63-64-65، ابن كثير

، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص455.

<sup>2</sup> الطائف:عقبة وهي مسيرة يوم للطالع من مكة ونصف يوم للهابط إلى مكة-اثنا عشر فرسخا-وهي ذات مزارع ونخل وأعناب وموز وسائر الفواكه، ومياه جارية وجل أهلها من ثقيف، وحمير وقوم من قريش، ياقوت الحموي، المرجع السابق، ج4، ص8-9.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج22، ص46-47-49-50.

<sup>4</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج47، ص4258.

<sup>5</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج5، ص643.

<sup>6</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج47، ص4282، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص204.

و"مناة" أقدم أصنامهم<sup>1</sup> منصوبٌ على ساحل البحر من ناحية المشللِ بقُدَيْد، بين المدينة ومكة، وكانت العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله، وأشدّ النَّاس تعظيماً لها "الأوس والخزرج ويخلقون رؤوسهم عندها وهو تمام حجهم، كانوا يُهلون لها ومن أهلّها بحج أو عمرة لم يظل أحدٌ منهم سقف بيته حتى يفرغ من حجته أو عمرته، وجعل بعض الباحثين مناة تختص بالقسم عندهم يقول عبد العزّي بن وداعة الزبي :

إني حلفتُ بيمينِ صدقِ برّةٍ بمناة عند محلّ آل الخزرج<sup>2</sup>

والمعروف أنهم كانوا يخلفون باللات والعزّي أو بأبائهم، وقد ورد النهي عن ذلك فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من كان حالفاً فلا يخلِفُ إلا بالله وكانت قريش تحلف بأبائها فلا تحلفوا بأبائكم»<sup>3</sup>، وعن أبي هرير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من حلف فقال في حلفه واللات والعزّي فليقل لا إله إلا الله»<sup>4</sup>.

\***صنم اللات**: من الفعل لَوَى لأنهم كانوا يلوون<sup>5</sup> عليها ويعكفون للعبادة<sup>6</sup>، والألف و اللام في أول "اللات" زائدتان ولعل ذلك لأن أصله: لَاتٌ بمعنى معبود، فلما أرادوا جعله علماً على معبود خاص أدخلوا عليه لام تعريف العهد كما في "الله" فإن أصله: "إله"، والتاء في اللات تاء تأنيث كما في المناة لكنها تكتب مطولة لثلاث يوقف عليها فتصير هاء فيشتبه باسم الله تعالى، لأن الهاء في الله أصلية.<sup>7</sup>

وهي صخرة كان يجلس عليها رجل في الجاهلية، يقال له "صرمة بن غنم"، وكان يسأل<sup>8</sup>

<sup>1</sup> مناة هي آلهة الموت القدر عند البابليين وتعرف بإسم "مامناتو" وكذلك كانت من الأصنام المعروفة عند النبطيين، وأنّ هناك شبهة بين "مناة" بالعربية، و"مناتا" الآرامية، و"منوت" العبرية، سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، (دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م)، ص 101-102.

<sup>2</sup> ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 204-205.

<sup>3</sup> أحمد بن شعيب النسائي، السنن، ش جلال الدين السيوطي، (دار المعرفة، بيروت، دط، دت)، كتاب الأيمان، باب التشديد في الحلف بغير الله تعالى، مج4، ج7، ص7، [رقم 3773].

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب (أفرايتم اللات والعزّي)، ج3، ص299، [رقم 4860]، النسائي، السنن، كتاب الأيمان، باب التشديد في الحلف بغير الله تعالى، مج4، ج7، ص11.

<sup>5</sup> من لويت عليه أي عطف وأقمت، ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج47، ص4110.

<sup>6</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج5، ص641.

<sup>7</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج28، ص295.

<sup>8</sup> سأل السَّمَنَ: طَبَّخَهُ وعالجَهُ، الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص43.

السمن فيضعها على صخرة ثم تأتيه العرب فتلت به أسوقتهم، فلما مات الرجل اتَّخَذُوا مكانه معبداً، بأن صوروها على شكل وثن-أو اتخذوا قبره معبداً<sup>1</sup>، وكانوا يسترون ذلك البيت ويضاهون به الكعبة وله جدبة وكسوة ويجرمون واديه،<sup>2</sup> ويؤيد هذه النظرية حديث لابن عباس<sup>3</sup> عباس<sup>3</sup> -رضي الله عنهما- في تفسيره لقوله تعالى: (واللآت العُزَّى) قال: "كان اللآت رجلاً يُلْتُ سَوَيْقَ الحاج<sup>4</sup>، وسدنتها من ثقيف بنو عتاب بن مالك وقد بنوا عليها بناء، وكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تُسَمِّي "زيد اللآت" و"تيم اللآت".

ويعتقد بعض الباحثين المحدثين أن عبادة اللآت كانت عند الأنباط تعتبر الربة الأم التي تمثل الأرض، وكانت ابنة لله، قال زيد بن عمرو بن نفيل:

عزلت اللآت والعُزَّى جميعاً      كذلك يفعل الجلد الصبور [الوافر]  
فلا عُزَّى أدين ولا ابنتيها      ولا صنمي بني عمرو أزور

وهي أيضاً ربة السَّماء التي عبدت من طرف الشعوب السورية نتيجة ترحل العرب النبطيين الذي أخذوا معهم أربابهم إلى المواطن التي حلُّوا فيها، و التي يقع أحد معابدها في الحي الغربي من مدينة<sup>5</sup> تدمر<sup>6</sup> كما يعتقد هؤلاء الباحثون أن رواسب عبادة اللآت لا تزال حية إلى يومنا هذا في بقاع العالم بعد التوسعات العربية الإسلامية، حيث يرجع البعض النجمة التي تمثل الإسلام، والتي ترسم في الرايات الإسلامية، إلى عبادة اللآت باعتبارها رمزاً لها عند العرب القدماء. في حين أن الهلال الذي يرمز للإسلام يمثل الرب الله الذي كان ربا للقمر عند العرب.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج22، ص 46-47-49، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج7، ص407، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 14 ص30-31-32، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص 450.

<sup>2</sup> محمد بن حبيب، المحبر، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، دط، 2009)، ص315.

<sup>3</sup> عبد الله بن عباس: بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، ويكنى أبا العباس، وأمه لُبابة بنت الحارث، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين والمسلمون في الشعب، دعى له النبي ﷺ بالفقه والتأويل وعندما توفي ﷺ كان عمره ثلاث عشرة سنة، مات ابن عباس سنة ثمان وستين وهو ابن إحدى وسبعين سنة وقد كف بصره. ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص320-345.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب (أفرأيتم اللات والعزى)، ج3، ص 299، [رقم 4859].

<sup>5</sup> <http://maamri-ilm2010.yoo7.-djamel abou zid 20-10-2000>

<sup>6</sup> تَدْمُرُ: مدينة قديمة مشهورة فر برة الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 17.

<sup>7</sup> الميثولوجيا العربية القديمة، فاهم الموساوي، منتدى درر العراق 27 أوت، 2011 <http://dorar-aliraq.com>

\*صنم العزى": تأنيث الأعزّ؛ مؤنث عزيز كعظمى وكبرى واختلفت الروايات في صفتها بين قائل إنها شجرة أو شجيرات، وبين من زعم بأنها حجر أبيض اتخذ معبداً<sup>1</sup>، ورأي ثالث يجمع بين الروايتين بأنه صخرة على صورة نبات.

لم يقتصر الخلاف على شكلها بل على مكان وجودها، فمنهم من قال كانت بالطائف وعبدتها ثقيف، ومنهم من قال بل كانت في جوف الكعبة ومنهم من قال كانت بموضع بين مكة والطائف يسمى "بطن نخلة"<sup>2</sup>، يقال له حُرّاضُ بإزاء العُمَيْرِ عن يمين المصعد إلى العراق من مكة.

وكان الذي بنى عليها بيتا "ظالم بن أسعد": وذلك أنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون بينهما، فعاد إلى بطن نخلة وقال لقومه: إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستنا لكم، ولهم إله يعبدونه وليس لكم، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أنا أصنع لكم كذلك، فأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ونقلهما إلى نخلة، فوضع الذي أخذ من الصفا، فقال: هذا الصفا، ثم وضع الذي أخذه من المروة، فقال: هذه المروة، ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة، فقال: هذا ربكم، فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة<sup>3</sup> ويزعمون أنهم يسمعون فيه صوتا، وسدنتها "بنو شيبان بن جابر بن مرة" من بني سليم، وكان آخر من سدّها منهم ذبيبة بن حرمي السلمي.

وهي أعظم الأصنام عند قريش تخصه بالزيارة والهدّي ويتقربون عندها بالذبح، ويطوفون حولها مُلبين بقولهم:

واللّات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى فأنهن الغرائقُ العلى

وإن شفاعتهن لترتجى<sup>4</sup>

\*صنم هبل: صنم من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد، أدركته قريش كذلك

<sup>1</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج4، ص 642، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج14، ص 33، ابن عطية الأندلسي،

المصدر السابق، ج 5، ص 200-201.

<sup>2</sup> بطن نخل: جمع نخلة، قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 449.

<sup>3</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 7، ص 408.

<sup>4</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص63-65-68.

فجعلوا له يداً من ذهب، وكان في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعاً<sup>1</sup>، قدامه سبعة قدام يضرب بها على الميت والعُدرة<sup>2</sup> والنكاح، وله حاجب وخزانة للقربان، وقربانه مائة بغير<sup>3</sup>.

قال ابن اسحاق<sup>4</sup>: وكانت قريش قد اتخذت صنما على "بئر الأحسف أو الأخصف" في جوف الكعبة يقال له "هبل"<sup>5</sup>، وعبدته بنو بكر<sup>6</sup> وملك وسائر بني كنانة<sup>7</sup>.

ويرجح بعض الباحثين في ديانات العرب الجاهليين أن يكون "هبل" هو نفسه الإله "بعل" عند العبرانيين، ويُعتقد أنه هو الإله "مردوك" سيد آلهة بابل، ثم دخل "بعل" عند الإسرائيليين وأصبح إله الخصب والزراعة، ويبدو أنه أيضا كان كذلك عند العرب<sup>8</sup>.

لم يقتصر دور الإله "هبل" على مجرد الاستمطار والنصرة، وهي الفكرة التي أُلقيت في سمع عمرو بن لحي حين سأل عن سبب عبادتها فقال له العماليق: هذه أصنام نعبدها فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تُعطوني منها صنما فأسير به إلى أرض العرب فيعبده؟<sup>9</sup> بل توسعوا في طلب استشارتها في كل أمر يعرض لهم في حياتهم كالحروب، والأنساب، والأنكحة... ولهذا صار أعظم أصنامهم.

وتخبرنا كتب التفسير بمراسيم هذه الاستشارة الكهنوتية وهو ما أشارت إليه سورة المائدة في تحريمها

---

<sup>1</sup> أحمد الثعلبي، الكشف والبيان، ت ابن عاشور، (دار احياء التراث العربي بيروت، ط1، 1422هـ-2002م)، ج10، ص4، الكلبي، المصدر السابق، ص28.

<sup>2</sup> العُدرة: الختان والعذيرة والإغذار والعذير طعام الختان وكانوا يختنون لسن معلومة فيما بين عشر سنين وخمس عشرة، ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج33، ص2858.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج1، ص93، 94، الكلبي، المصدر السابق، ص73، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص391.

<sup>4</sup> محمد بن اسحاق بن يسار [150هـ-] مولى قيس بن مخزومة كان حبراً في معرفة المغازي والسير، صافا في نفسه مرضياً حسن الحديث، محمد بن أحمد بن عبد الهادي، طبقات علماء الحديث، ت أكرم البوشي، (دار الرسالة، ط2، 1417هـ-1996م)، ج1، ص26-269.

<sup>5</sup> محمد بن اسحاق، المصدر السابق، ص63، محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ت رشدي الصالح، (المطبعة الماجدية، جدة ط2، 1425هـ-2005م)، ص92.

<sup>6</sup> بنوبكر: واد في ديار طيء قرب رمان، صفي الدين البغدادي، المرجع السابق، ص214.

<sup>7</sup> كنانة بن خزيمة: قبيلة عظيمة من العدنانية كانت ديارهم بجهات مكة، من أشهر أيامهم الفجار الأولى والثانية والثالثة، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص996، محمد بن حبيب، المحبر، ص318.

<sup>8</sup> سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، (دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م)، ص109.

<sup>9</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ج1، ص77.

للعادات الجاهلية في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْكَرِ﴾ المائدة:3.

كان "هبل" أعظم أصنام قريش بمكة وكانت على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدي للكعبة، وكان عند هبل سبعة أقذح كل قذح منها فيه كتاب؛ منها قذح فيه: "العقل" إذا اختلفوا في العقل من يحملة منهم ضربوا بالقداح السبعة، فإن خرج العقل فعلى من خرج حملة، وقذح فيه "نعم" للأمر إذا أرادوه يضرب به فإن خرج قذح "نعم" عملوا به، وقذح فيه "لا" إذا خرج "لا" لم يفعلوا ذلك الأمر، كأن يجفروا للماء مثلاً فيضربوا بالقداح فحيثما خرج عملوا به.

وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلاماً أو أن ينكحوا منكحاً، أو أن يدفنوا ميتاً، أو شكوا في نسب واحد منهم ذهبوا به إلى "هبل" وبمئة درهم، ويجزور فأعطوها صاحب القداح الذي يضربها، ثم قرّبوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون، ثم قالوا: "يا إلهنا، هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحقّ فيه". ثم يقولون لصاحب القداح: "اضرب" فيضرب، فإن خرج عليه "منكم" كان وسيطاً وإن خرج عليه: "من غيركم" كان حليفاً، وإن خرج "ملصق" كان على منزلته منهم، لا نسب له ولا حلف، وإن خرج فيه شيء سوى هذا مما يعملون به "نعم" عملوا به، وإن خرج "لا" أخرّوه عامهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى.. وكذلك ينتهون في أمورهم كلها إلى ذلك مما خرجت به القداح<sup>1</sup>.

وكذا الأمر إذا أرادوا سفراً أو غزواً أجالوا القداح ونزلوا عند رأيها، وهو ما فعله "أبو سفيان"<sup>2</sup> في غزوة "أحد" حين أراد الخروج فأجال القداح عند "هبل" فخرج سهم "نعم"، لهذا لما انتهت غزوة أحد قال: أبو سفيان: "اعلُ هبلُ"، فقال ﷺ: «قولوا: الله أعلى وأجلُّ»، فقالوا: «الله أعلى وأجلُّ»، فقال أبو سفيان: لنا العزّي ولا عزّي لكم-وفي بعض الروايات زيادة في قول أبي

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج8، ص76، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج3، ص12، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج11، ص130، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص24، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج6، ص97.

<sup>2</sup> سفيان بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، اسم أبيه صخر، وأمه صفية بنت حضرن، أسلم يوم فتح مكة، وشهد الطائف مع رسول الله ﷺ ورمي يومئذ فذهبت إحدى عينيه، وشهد يوم حنين، نزل أبو سفيان المدينة في آخر عمره ومات سنة اثنتين وثلاثين، في خلافة عثمان بن عفان، وهو ابن ثمانٍ وثمانين سنة، ابن سعد، المصدر السابق، ج6، ص5-6-13، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص105-107.

سفيان-: يابن الخطاب قد أَنْعَمَتْ عَيْنُهَا فَعَادَ عَنْهَا أَوْ فَعَالَ عَنْهَا...<sup>1</sup>

ومعنى أنعمت عينها : أي أترك ذكرها فقد صدقت في فتواها وأنعمت أي أجابت بنعم،  
"فعال عنها": أي تجاف ولا تذكرها بسوء- يقصد هُبل.

\*صنمي إساف ونائلة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمُرَّةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ  
أَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ حَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 158.

تذكر كتب التفسير وأسباب التزول والحديث<sup>2</sup> أن سبب الحرج الذي وجدته المسلمون عند  
الطواف بين الصفا والمروة أنه تقليد جاهلي لعقيدة الوثنية وهو سعيهم بين صنمين والتمسح بهما،  
فقدورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له "إِسَافٌ" وعلى  
المروة صنم على صورة امرأة تدعى "نَائِلَةٌ"<sup>3</sup> وزعم أهل الكتاب أنهما زنيا في الكعبة فمسحهما الله  
حجرين، ووضعا على الصفا والمروة ليعتبر بهما، فلما طالت المدة عبدا من دون الله تعالى، فكان  
أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا على الوثنين فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كسرت  
المسلمون الطواف لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية.<sup>4</sup>

وإن صحت قصة المسخ فيهما فالمفروض أن يكون موقف الناس منهما النبذ واللعن والفرار  
بل لو سنوا رجمهما كان مقبولا، أما أن يتخذوا للعبادة ويتبرك بهما بالمسح عليهما فلم أجد لها  
تفسيرا، ولا شفى لي غليلاً قول من قال إنهما فعلوا ذلك أول الأمر للنظر والاعتبار ثم تحولوا إلى  
عبادتهما، إذ كيف يُعبدُ المنبوذُ المعاقب وقصتهما في الناس شائعة مروية غير مطوية؟.

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص 52، أحمد بن حنبل، المسند، ت أحمد شاكر، (دار الحديث، القاهرة،  
ط1، 1416هـ-1995م)، ج 3، ص 175، [رقم 2609]، أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب  
الشرية، ت عبد المعطي قلنجي، (دار الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م)، ج3، ص 267-268، ابن كثير،  
البداية النهاية، ج5، ص 382-380، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص 211.

<sup>2</sup> عن عاصم بن سليمان قال: "سألت أنس بن مالك-رضي الله عنه-عن الصفا والمروة فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية،  
فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: (إن الصفا والمروة-إلى قوله-أن يطوَّفَ بهما)، صحيح البخاري، كتاب  
التفسير، ج3، ص 196، [رقم 4496].

<sup>3</sup> قال الأزرقى: نصبوا على الصفا صنما صنما يقال له "بجاور الريح" وعلى المروة صنما يقال له "مطعم الطير"، محمد بن عبد الله  
الأزرقى، المصدر السابق، ج1، ص 96.

<sup>4</sup> علي بن أحمد الواحدى، أسباب التزول، ص 46، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج2، ص 472، محمود بن عمر  
الزمخشري، المصدر السابق، ج1، ص 349-350.

وترجح الباحثة "هالة الناشف" أن القصة موضوعة لأن الصنمين وُجِدَا ملطخين بالدماء، فدلّ ذلك عندهم على تكفير للخطيئة التي لا تغفر إلا بالتضحية وإراقة الدماء وهو أمر شائع عند الساميين، والإثم إذا ماتمّ التكفير عنه ومع مرور الزمن يصبح مُرتكِبُهُ شفيحاً أو أولياً، فأصبح إساف ونائلة شفيعين لقريش عند الله<sup>1</sup>.

وممن يوافق على أن أصل القصة مبتدع وأنه وليد الخيال "جواد علي"<sup>2</sup> إمّا مجرد كون الصنمين رجلاً وامرأة، أو أنّها دَعْوَى واهية من قبائل كارهة لقريش ناقمة عليها لا ترى حُرمة للصنمين ولا تتقرب إليهما، فوحدها قريش كانت تذبح عندهما وتسعى بينهما<sup>3</sup>.

وأزيد: أما أنّها دعوى من قبائل كارهة لقريش فقد تكون؛ ومن القبائل التي كانت لا تعظمها ولا تسعى بينها حيٌّ من قحاة<sup>4</sup> والأزد<sup>5</sup> وغسان<sup>6</sup> والأنصار<sup>7</sup>، وكانوا يعظمون "مناة" فبعد الإفاضة من "عرفات" من أهلّ منهم "لمناة" لا يطوف بين الصفا والمروة<sup>8</sup>، فكان هناك حمية وعصية

<sup>1</sup> هالة الناشف، أديان العرب ومعتقداتهم في طبقات ابن سعد، إشراف حسن عباس، رسالة ماجستير، (الجامعة الأمريكية، بيروت، قسم الآداب، 1972م)، ص 12-13.

<sup>2</sup> جواد علي [1907-1988م] درس ببغداد وتحصل على الدكتوراه في علم الآثار والتاريخ من ألمانيا سنة 1933م، ثم تخصص بتاريخ العرب في جامعتي برلين وهامبورغ، له عدة مؤلفات منها "أبرهة الحبشي" "تاريخ العرب في الإسلام"، .. خليل أحمد خليل، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001م)، ج2، ص 879.

<sup>3</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص 276 بتصرف.

<sup>4</sup> قحاة: من اليمن وهو ما أصحر منها إلى حدّ في باديتها ومكة من قحاة، وإذا جاوزت وجرة وغمرّة والطائف إلى مكة فقد أهدمت، سُميت قحاة لشدة حرّها وركود ريجها وتغيره، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 63-64، صفي الدين البغدادي، المصدر السابق، ص 283، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج2، ص 718-720.

<sup>5</sup> \*الأزد: من أعظم قبائل العرب وأشهرها تنتسب إلى الأزد بن غوث من القحطانية وينقسمون إلى أربعة: أزد شنوءة، وأزد غسان، وأزد سراة وأزد عمان، ومن مساكنهم مأرب، وبارق.. كانوا يعبدون مناة والحلصة، أسلموا سنة 9هـ، عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م)، ج1، ص 15-16-17.

<sup>6</sup> غسان: شعب عظيم اختلف في نسبه فقالوا غسان أبو قبيلة باليمن، وقيل ماء بسد مأرب، وقالوا الغساسنة ملوك الشام، وهم بنو عمرو ابن بن مازن بن الأزد، قدم وفد منهم على النبي ﷺ وهم ثلاثة نفر فأسلموا كانوا يختصون بالطيبات والترديد ولهم خبرة بأخبار الروم والإسرائيليين واليونانيين ودينهم النصرانية، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 203، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص 885.

<sup>7</sup> عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: "إنما أنزلت في أن الأنصار كانوا قبل أن يسلموا كانوا يُهلّون لمناة الطاغية، التي كانوا يعبدونها عند المشلل، وكان من أهلّها يتحرج أن يطوّف بالصفا والمروة" صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله)، ج3، ص 195، [رقم 4495].

<sup>8</sup> أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ت عبد الرحمن بن ناصر البرّك، (دار طيبة، الرياض،



امتدت إلى الطقوس الدينية لكل قبيلة.

على أيّ لا أستبعد الكراهية أن تكون من أهل الكتاب للعرب فكانوا هم من اخترع القصة، وهو ما أشارت إليه الرواية التي قدمناها عن ابن عباس رضي الله عنه<sup>1</sup> وكُرِّهَهُم للعرب أوضح وشواهدة التاريخية تُصَرِّحُ، فقد سعى "أبرهة" إلى هدم الكعبة لصرف الناس عنها بل وبنى كنيسة "القليس" من أجل هذا الغرض ونادى في مملكته بأنه سيصرف العرب والناس عن الحج إلى الكعبة للحج إليها، وفي القبائل العربية من يعتنق النصرانية.

وقد لا يكون السبب الكراهية، بل اختلاف في الاعتقاد إذ أن لكل قبيلة صنم تقدسه وتعتقد نفعه أو ضرره، وهو ما عابه عليهم القرآن الكريم حين قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء 22، فهذه الأصنام لو حصلت لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيًا، فلمّا لم يكن الواحد كافيًا دلّ على أنّها وإن كثرت فلا نفع فيها البتة<sup>2</sup>.

فإن زدنا على ذلك أن اختلاف الناس في المعبود نفسه بين تابع له ورافض، وبين مقبل عليه ومدبر يذهب من النفوس قداسته وهيئته، ويوصل بالناس إلى التدافع والتناحر فيمن يرون أحقيته بالألوهية يقوى احتمال اختراع القصة، "فإساف ونائلة"، عبدتهما خُزاعةٌ وقريشٌ ومن حج البيت بعدُ من العرب، وكانوا يذبحون عندهما ويحلقون رؤوسهم عندهما إذا نسكوا<sup>3</sup>.

\* صنم عُمَيَّانِسَ أو (عُمَيَّانِس)، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ مَنْ شَرَكَا بِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الأنعام 136.

ط1، 1426هـ-2005م)، ج 4، ص 579-580.

<sup>1</sup> نشير إلى أن هناك رواية عن عائشة -رضي الله عنها- تذكر القصة من غير نسبة مصدرها لأحد حين قالت "مازلنا نسمع أن إساف ونائلة كانا رجلا وامرأة من جُرهم، أحدثا في الكعبة فمسخهما الله تعالى حَجْرَيْنِ، ابن هشام، المصدر السابق، ج1، ص100، ابن اسحاق،

المصدر السابق، ص 63.

<sup>2</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج13، ص43.

<sup>3</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص9، محمد بن عبد الله الأزرق، المصدر السابق، ج1، ص-194-197.

عُمَيَانِسُ صنم لَخَوْلَانَ<sup>1</sup> كانوا يقسمون له من أنعامهم وحروثهم<sup>2</sup> وسمَّاهُ النبي ﷺ "عَمَّ أَنَسٍ" حين سأل عنه قومُهو قد جاؤهُ عام الوفود- في شعبان سنة عشر- فقال لهم: « ما فعل عمَّ أَنَسٍ ؟ » فقالوا أُبدلنا به خيراً منه ولو قد رجَعنا لهدمناه.<sup>3</sup>

عبده بطن من خَوْلَانَ يقال لهم "الأديم" أو "الأدوم" وهم "الأُسُومُ"<sup>4</sup> حي من أحياء اليمن<sup>5</sup>، وقد وصل نسبهم "ابن هشام" في كتابه السيرة فقال: هم خَوْلَانَ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة، ويقال خَوْلَانَ بن عمر بن مرة بن أُدد بن زيد مهسَع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال خَوْلَانَ بن عمرو بن سعد العشيرة بن مدحج.<sup>6</sup>

وكانوا يقسمون له - أي عميانس - من أنعامهم وحروثهم قسم بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق عُمَيَانِسٍ من حق الله تعالى سمَّوه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالى من حق عُمَيَانِسٍ ردوه عليه وفيهم أنزل الله تبارك تعالى:<sup>7</sup> ( وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ

وَأَلْتَعْمِرِ نَصِيبًا ) هذه القسمة طالت الزرع والثمر والحيوانات في حال الجذب والشدة و في حال السعة والرخاء؛ فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيبًا، فإن سقط من ثمره ما جعلوا لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوه للشيطان في نصيب الله التقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب الشيطان

<sup>1</sup> خَوْلَانُ: خولان بن عمرو بطن من كهلان من القحطانية وبلادهم اليمن، وقيل هي قرية كانت قرب دمشق، فتحت سنة 13 أو 14 هـ في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا يعبدون النار وصنم عميانس، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص 405-406، عمر رضا كحالة المرجع السابق، ج 1، ص 365-366.

<sup>2</sup> الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 560، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 158-159، الكلبي، المصدر السابق، ص 43.

<sup>3</sup> وتعلموا القرآن والسُنن، فلمَّا رجعوا هدموا الصنم، وأحلوا ما أحل الله وحرَّموا ما حرَّم الله-، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص 365 ابن سعد، المصدر السابق، ج 1، ص 280.

<sup>4</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص 44، ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص 98، ا قوت الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 158.

<sup>5</sup> عبد القادر البغدادي، المرجع السابق، ج 11، ص 19.

<sup>6</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص 98.

<sup>7</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 85، ابن اسحاق، المصدر السابق، ص 62، الكلبي، المصدر السابق، ص 43، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 4، ص 158-159.

تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدوه<sup>1</sup>.

وكانوا إذا أصابتهم السنّة استعانوا بما جزّءوا الله وأقرّوا ما جزّوا لشركائهم، فإذا هلك الذي يصنعون لشركائهم وكثر الذي لأهنتهم قالوا ليس بُدُّ لأهنتنا من نفقة، وأخذوا الذي لله فأأنفقوه على آهنتهم، وإذا أجذب الذي لله وكثر الذي لأهنتهم قالوا: لو شاء الله أركى الذي له فلا يردون عليه شيئاً مما للآلهة<sup>2</sup>.

أمّا إشراكهم في الأنعام فهو ما عرف من السائبة التي توهب للآلهة ويججر نفعها على

الناس، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ المائدة 103.

-البحيرة: فهي التي يجدون آذانها، فلا تنتفع امرأته ولا بناته ولا أحد من أهل بيته بصوفها ولا أوبارها ولا أشعارها ولا ألبانها فإذا ماتت اشتركوا فيها، وأما السائبة: فهي التي يسيبون لأهنتهم، وأما الوصيعة: فالشاة تلد ستة أبطن فإذا ولدت السابع جدعت وقطع قرنها، فيقولون: قد وصلت فلا يذبحونها ولا تضرب ولا تمنع مهما وردت على حوض،<sup>3</sup> والتسيب عندهم للآلهة شكرا بعد استوفاء النذر، فقد ذكر ابن كثير<sup>4</sup> أن الرجل إذا خرّج فقضى حاجته سب من ماله ناقة أو غيرها فجعلها للطواغيت فما ولدت من شيء كان لها.<sup>5</sup>

وتقرب أيضا عند احتباس المطر طلبا للغيث، قال الشاعر:

أضلّهم صنمهم عمّ أنس كانوا إذا ما الغيث عنهم احتبس

توسلوا إليه بالذبايح أن يُمطروا وأعظم القبائح

أن جعلوا له والله نصيب من ما لهم وإن تعيب النصيب

<sup>1</sup> عبد العزيز الحميدي، تفسير ابن عباس، (جامعة أم القرى، مكة المكرمة، دط، دت)، ص 392.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 569-570-571-572.

<sup>3</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 211.

<sup>4</sup> إسماعيل بن عمر بن كثير البصري القرشي، كنيته أبو الفداء، إمام مفت ومحدث بارع، سمع من الحافظ المزي ومن ابن تيمية، ولد سنة سبع مائة، وتوفي بدمشق سنة سبع مائة وأربعين وسبعون، أحمد بن محمد الأندروسي، ت سليمان بن صالح الخزي، طبقات المفسرين، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط 1، 1417هـ-1997م)، ص 260-261.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ج 3، ص 210.

أَعْطَى لِلصنم حظ الله وما له لم يُعْطَ لِلإله<sup>1</sup>

وتمتد طقوسهم الإشراكية عند الأكل فلا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يُسمّوا الآلهة، وما ذبحوه للآلهة يأكلونه، ولا يُسمّون الله عليه<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿وَأَنعَمُوا لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ الأنعام 138.

\*أصنام قوم نوح - العليلاء -: وَدَّ، سُوَاع، يَعْوثُ، يَعْوقُ، نَسْرًا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا نَذَرُنَّ آلِهَتِكُمْ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَعْوثَ وَيَعْوقَ وَنَسْرًا﴾ نوح 23.

ورد ذكر هذه الأصنام في قصة سيدنا نوح - العليلاء - وكانوا عبدوها من دون الله، وهي في الأصل صور لأقوام صالحين وكان لهم أتباع، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون ودب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسْتَقُونَ المطر فعبدوهم<sup>3</sup>.

يرى جمهور العلماء أن هذه الأصنام كانت لقوم نوح - العليلاء - يعبدونها ثم عبدتها العرب، وهو قول لابن عباس - رضي الله عنه -<sup>4</sup>، ثم اختلفوا على فرقتين إحداهما ترى أنها عين الأصنام التي عبدتها قوم نوح ورثها عنهم العرب ووصلت إليهم عن طريق "عمرو بن لحي" وكان كاهناً له رثي من الجن يكنى "أبا ثمامة" فقال له: عجّل المسير والظنّ من تهامة بالسعد والسلامة، قال: خبّر ولا إقامة، فقال له: آتت ضفّ جُدة تجد فيها أصناماً معدّة فأوردها تهامة ولا تهبّ وادعُ العرب إلى عبادتها تُجَبّ، فأتى شطّ جُدة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحجّ فدعا العرب

<sup>1</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص 44.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 9، ص 572.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 23، ص 303، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 14، ص 143، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، (دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت)، ج 6، ص 104، أحمد الثعلبي، الكشف والبيان، ت ابن عاشور، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 142هـ-2002م)، ج 10، ص 46، الفخر الرازي، المصدر السابق، ج 30، ص 143-144، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 8، ص 232، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، ت محمد سالم هاشم، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1415هـ-1995م)، ج 2، ص 492.

<sup>4</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 21، ص 261.

إلى عبادتها.<sup>1</sup>

يؤيد هذا الرأي رواية وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما أن تلك الأوثان دفنها الطوفان وطَمَّها التراب، فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب.<sup>2</sup>

أمَّا الفرقة الأخرى فتقول إنَّما هو تشابُه في الأسماء وتَشَاكُل في التفكير؛ لأن الأصنام بعد الطوفان هلكت مع من هلك من المشركين وبقيَ ذكرها ممتداً في العرب فاتخذوهم آلهة فكان "وَد" "لكلب بن وبرة من قُضاعة"<sup>3</sup> بدومة الجندل، كان "سُواع" لهذيل<sup>4</sup> بن مُدْرِكَة بن الياس من مُضَر وكان "يَعُوث" لبني غُطَيْف<sup>5</sup>، وكان "يَعُوق" لحيوان<sup>6</sup> بطن من همدان، وكان نَسْر لذي الكلاع<sup>7</sup> من حمير<sup>8</sup>.

الفرقة الثالثة: قالوا بل هي أسماء آلهة العرب لم يعبدها غيرهم لا أسماء أصنام قوم نوح، وكانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم لذلك خصوها بالذكر، وأولوا نَظْم الآية بأن ضمير

<sup>1</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص55، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص368.

<sup>2</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج8، ص233.

<sup>3</sup> قُضاعة: شعب عظيم اختلف النَّسَابون فيه فقالوا من القحطانية غلب عليهم اسم أبيهم "قُضاعة بن مالك" وذهب بعضهم إلى أن قُضاعة من العدنانيين وأبوهم "قُضاعة بن معد"، كانت ديارهم في الشحر ثم نجران، ثم الحجاز فالشام وكان لهم ملك هناك، حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم سنة 7هـ في معركة ذات السلاسل، من أصنامهم الأقيصر يحجون إليه ويحلقون وكانت النصرانية فيهم، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص957-958.

<sup>4</sup> هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر من عدنان جد جاهلي وهم بطنان سعد بن هذيل وحيان بن هذيل، كانوا أكثر سكان وادي نخلة ولهم منازل بين مكة والمدينة ومنهم في جبال السَّراة، وهم أهل عدد وعدة ومنعة وفيهم نيف وسعون شاعرا مشهورا، افرقوا في الإسلام على الممالك ولم يبق لهم حي يطرق، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص1213-1214، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص80.

<sup>5</sup> غُطَيْف: اسم رجل سمي بهم خلاف من مخاليف اليمن، وقيل هو غطيف بن حارثة قبيلة من طيء من القحطانية، وغطيف بن عبد الله بطن من مراد من كهلان من العدنانية، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ص207، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص889.

<sup>6</sup> حيوان: مخلاف باليمن ومدينة بها، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص415.

<sup>7</sup> ذي الكلاع: بطن من حمير من القحطانية، وهم بنو شرحبيل بن حمير كانوا يقطنون بمخلاف السحول بن سوادة، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص990.

<sup>8</sup> حمير: بطن عظيم من القحطانية ينتسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومن بلاد حمير في اليمن شيبام وهي قرية جامعة بما رزوع وآبار ينال ماؤها باليد ومن حصونها مدع وسكن قسم من حمير في الحيرة، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص307، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج1، ص305-306.

"قالوا "يعود إلى مشركي العرب أي قال العرب بعضهم لبعض: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ كما قال قوم نوح لأتباعهم: "لا تذرنا آلهتكم" ثم عاد بالذکر إلى قوم نوح.

وردّ ابن عاشور -حّمه الله- هذا الرأي لأن فيه تكلفاً و تفكيكاً بين أجزاء نظم الكلام وترجّح عنده: أن أصنام قوم نوح قد دثرت وغمرها الطوفان وأن أسماءها بقيت محفوظة عند الذين نجوا مع نوح من المؤمنين فكانوا يذكرونها ويعظون ناشئتهم بما حلّ بأسلافهم من جرّاء عبادة تلك الأصنام، فبقيت تلك الأسماء يتحدّث بها العرب الأقدمون في آثارات عملهم وأخبارهم، فجاء عمرو بن لُحيّ الخزاعي الذي أعاد للعرب عبادة الأصنام فسَمّى لهم الأصنام بتلك الأسماء.<sup>1</sup>

-صنم "ود": وُدٌّ -بفتح الواو- صنمٌ كان لقوم نوح، ووُدٌّ -بالضم- صنمٌ لقريش<sup>2</sup>، وهو أول صنم معبود على صور رجل<sup>3</sup>، سُمي بذلك لِيُوَدِّهِمْ له وكان بعد قوم نوح "الكلب"<sup>4</sup> بدومة الجنادل "البي وبرة" وسدنته بني الفرافصة بن الأحوص"، قَوْلُ لابن عباس وعطاء ومقاتل وفيه يقول شاعرهم:

حَيَّاكَ وَدٌّ فَإِنَّا لَا يَجِلُّ لَنَا لهُوَ النِّسَاءِ وَإِنَّ الدِّينَ قَدْ عَزَمَا.

قال ابن الكلبي: قلت لمالك بن حارثة: صف لي وُدًّا حتى كأني أنظر إليه، قال: تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال قد دُثِرَ عليه (أي نُقِشَ)، عليه حُلَّتَانِ مُتَّزِرَتَانِ مُجَلَّةٌ ومرتد بأخرى عليه سيفٌ قد تنكَّب قوساً وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة (أي جعبة فيها نبل).<sup>5</sup>

-صنم سُواع: كان على صورة امرأة<sup>6</sup> وكان "سُواع" بنعمان، تعبدُهُ بنو كنانة، وهذيل،

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 29، ص 209.

<sup>2</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 21، ص 264، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 30، ص 144.

<sup>3</sup> أحمد بن محمد التعلبي، الكشف والبيان، ج 10، ص 47، محمود الألوسي، روح المعاني، ج 29، ص 78.

<sup>4</sup> كلب بن وبرة: بطن من قضاة من القحطانية كانوا يتزلون بدومة الجنادل وتبوك وأطراف الشام وقد اتخذوا في الجاهلية صنما صنما يدعى ودا ثم تنصروا ثم أسلموا، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج 3، ص 991-992.

<sup>5</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص 56، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 368.

<sup>6</sup> أحمد بن محمد التعلبي، الكشف والبيان، ج 10، ص 47.

ومزين، وعمرو بن قيس بن عيلان، وكانت سدنته بنو صاهلة<sup>1</sup> أو بنو لحيان من هذيل<sup>2</sup>، قال رجلٌ من العرب:

تَرَاهُمْ حَوْلَ قَبْلِهِمْ عُكُوفًا    كَمَا عَكَفَتْ هُذَيْلٌ عَلَى سُوَاعٍ  
تَنْظُلُ جَنَابُهُ صَرَعى لَدَيْهِ    عَتَائِرٌ مِنْ دَحَائِرِ كُلِّ رَاعٍ<sup>3</sup>

-صنم يغوث: قال أبو عثمان النهدي: رأيت يغوث وكان من رصاص على صورة أسد<sup>4</sup>، وكان لمذحج<sup>5</sup> كلها في "أنعم" فقاتلتهم عليه "غطف" من "مراد"<sup>6</sup> حتى هربوا به إلى نجران<sup>7</sup> وحملوه على جمل أجرد<sup>8</sup> وساروا معه لا يهيجونه، حتى يكون هو الذي يبرك، فإذا برك نزلوا وقالوا: قد رضي لكم المنزل فيضربون عليه بناء ويتزلون حوله<sup>9</sup>، وتلبية من نسك إلى يغوث: "لبيك اللهم لبيك، أحبنا بما لديك فنحن عبادك، قد صرنا إليك"<sup>10</sup>.

-صنم يعوق: وأمّا "يعوق" فكان "لكهلان"<sup>11</sup> ثم توارثه بنوه الأكبر فالأكبر، حتى صار إلى "همدان، على صورة فرس"<sup>12</sup>، وتلبية من نسك إلى يعوق: "لبيك اللهم لبيك، لبيك بغض إلينا

<sup>1</sup> محمد بن حبيب، المخبر، ص 316.

<sup>2</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص 9-10 ولحيان الحدود في الأرض مما يحدّها السيل، وبه سميت لحيان القبيلة، ياقوت الحموي، المصدر السابق،

ج 5، ص 15.

<sup>3</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص 57.

<sup>4</sup> أحمد بن محمد الثعلبي، الكشف والبيان، ج 10، ص 47.

محمود الآلوسي، روح المعاني، ج 29، ص 77.

<sup>5</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص 75.

<sup>6</sup> غطف بن حارثة: قبيلة من طيء من القحطانية، وغطف بن عبد الله بطن من مراد من كهلان من العدنانية، و"مراد" من قبائل اليمن = تقع مساكنهم إلى الغرب الجنوبي من مأرب، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج 3، ص 889-1065.

<sup>7</sup> محمد بن حبيب، المخبر، ص 317.

<sup>8</sup> أجرد: جرد الجلد نزع عنه الشعر، ومنه رجل أجرد لا شعر عليه، ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ج 8، ص 587.

<sup>9</sup> علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، ج 6، ص 104.

<sup>10</sup> محمد بن حبيب، المخبر، ص 314.

<sup>11</sup> كهلان بن سبأ: شعب عظيم من القحطانية ويطوفهم كثيرة المشهورة منها سبعة الأزدي، طيء، مذحج، همدان، كندة، مراد، أنمار، عمر رضا كحالة، ج 3، ص 1002.

<sup>12</sup> أحمد بن محمد الثعلبي، الكشف والبيان، ج 10، ص 47، محمد بن حبيب، المخبر، ص 317، الكلبي، المصدر السابق، ص 57.

الشر، وحبب إلينا الخير، ولا تُبَطِّرنا فَنَاشِر، ولا تَفِدِحنا بَعثار<sup>1</sup>.

-صنم نسرا: على صورة نسر من الطير<sup>2</sup> عبدته "حمير" وعظمته، وتلبية من نسك لنسرا هي: "البيك اللهم لبيك، إنا عبيد، وكلنا ميسرة عتيد، وأنت ربنا الوحيد، اردد إلينا مملكتنا والصيد"<sup>3</sup>.

تشير هذه الآية إشكاليات ثلاث وهي :

1- من الذي غيّر دين التوحيد وأحدث عباد الأصنام بعد آدم -عليه السلام-؟

2- من الذي غير دين الحنفية عند العرب بعد إبراهيم -عليه السلام- وأحدث الشرك وعبادة الأوثان؟

3- وهل عبدت العرب نفس الأصنام الخمس التي عبدها قوم نوح، فإن كان كيف وصلت إليهم وإن لم يكن فكيف وقع هذا التطابق في التسمية؟

والرأي عندي أنه لا شك في أن هذه الأصنام الخمس المذكورة في صورة نوح -عليه السلام- قد عبدت من طرف قومه، ثم عبدت من طرف العرب ودليله الحديث الصحيح المروي عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: "صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب، أمّا وُدّ فكانت لكلب بدومَه الجندل، وأمّا سِوَاغُ فكانت لهذيل، وأمّا يَغوثُ فكانت لمرادٍ، ثم لبني عُطيف بالجرف عند سبأ، وأمّا يَعوقُ فكانت لهمدان<sup>4</sup>، وأمّا نَسْرٌ فكانت لحمير، لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تُعبَدَ حتى إذا هلك أولئك وتَنَسَّخَ العلم

<sup>1</sup> العثار: من العثرة وهي الحرب والعثرة أرض غبار لا نبت فيها، البطر: الدهش والحيرة والتبحر، والأشتر: شدة المرح والطغيان في النعمة، ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج5، ص300، ومج4، ج35، ص2806-2807، محمد بن حبيب، المحبر، ص314.

<sup>2</sup> أحمد بن محمد التعلبي، الكشف والبيان، ج10 ص47.

<sup>3</sup> الكلبي، المصدر السابق، ص57، محمد بن حبيب، المحبر، ص314-317، محمود الألوسي، روح المعاني، ج29، ص78.

<sup>4</sup> همدان: بطن من كهلان، لهم أفخاذ متسعة، ترجع بطونهم كلها إلى قبيلتي حاشد وبكيل، وديارهم باليمن ولما جاء الإسلام تفرقوا في مصر والكوفة وبقي بعضهم باليمن، أتى وفد منهم النبي سنة 9هـ، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج8، ص94، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص1225.



عُبدت "ود"<sup>1</sup>، ونستبعد ماذهب إليه بعض المفسرين من أن هذه الأصنام الخمسة عبدها العرب دون قوم نوح -عليه السلام-.

أما عن كيفية انتقال هذه الأصنام للعرب فنحن أمام احتمالين فيما أنه قد عثر عليها واستخرجت، وهو ما يرويه لنا ياقوت الحموي<sup>2</sup> حين زعم أن ماء الطوفان أهبط هذه الأصنام من "جبل نود" إلى الأرض وجعل الماء بشدة جرّيه وعُبابه ينقلها من أرض إلى أرض حتى قذفها إلى أرض "جُدّة" ثم نضب الماء وبقيت على شطّ جُدّة فسفت الريحُ عليها التراب حتى وارثها<sup>3</sup> وأتى من استخراجها، وليس ببعيد ولا تنكره العقول ولا المشاهدة، فنحن نرى اليوم أن الناس يكتشفون مدناً ضاربة في التاريخ والقدم ويعثرون على جُثثٍ ومعابد لم يغيرها الزمن.

وإذا كانت عندنا روايتين في وصف الأصنام تقول الأولى إنه كان لآدم عليه السلام خمس بنين هم: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر؛ وكانوا عبادا فمات واحد منهم فحزنوا عليه؛ فقال الشيطان: أنا أصور لكم مثله إذا نظرتم إليه ذكرتموه، قالوا: أفعل، فصوره في المسجد من صفر ورمصاص، ثم مات آخر، فصوره حتى ماتوا كلهم فصورهم، وتنقصت الأشياء كما تنقص اليوم إلى أن تركوا عبادة الله تعالى بعد حين. فقال لهم الشيطان: مالكم لا تعبدون شيئاً؟ قالوا: وما نعبد؟ قال: آلهتكم وآلهة آبائكم، ألا ترون في مصالكم فعبدوها من دون الله، حتى بعث الله نوحاً<sup>4</sup> فقالوا: ﴿لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ الآية.

وتقول الرواية الثانية أنهم كانوا على صورة رجل وامرأة وفرس ونسر، فلعل الوصف الأول يختص بأصنام قوم نوح -عليه السلام- ويكون هم الجليل الذي غير وبدّل عبادة الله بعبادة الأوثان، وفي الأخبار عن عكرمة قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام".<sup>5</sup>

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى (وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ)، ج 3، ص 316، [رقم 4920].

<sup>2</sup> ياقوت الرومي [574-626هـ] جغرافي وكاتب سير عربي، رومي الأصل ومولى لرجل من حماة، من آثاره إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، ترجم فيه لأعلام اللغة والأدب، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص 503.

<sup>3</sup> ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 367.

<sup>4</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 8، ص 232-233، أبو بكر القرطي، المصدر السابق، ج 21، ص 261-262.

<sup>5</sup> محمد بن حريز الطبري، جامع البيان، ج 23، ص 303.

والرواية الثانية التي تجعلهم إنساً وحيوان تختص بالعرب الذين أحيوا سنة الوثنية باطلاق نفس الأسماء على تلوكم الأصنام باعتبارها أسماء مباركة لا زال الناس يتداولونها بل ويطلقونها على الذوات، والله أعلم.

ولا يكن في النفس شك من أن الشيطان هو المحرض لهذه الأشياء، فإن كنا سلمنا بأنه الذي أغوى "آدم" -عليه السلام- فأخرجه من الجنة وتمثل لبعض صحابة النبي ﷺ ولبعض المشركين فقد يكون تمثل لعمر بن لحي أو غيره وزين لهم عبادة الأصنام.

## ٢- عبادة الأشجار والنيران:

أ- الأشجار: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونُوا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأعراف 19

الشجرة في القرآن الكريم رمز للخير والبركة، ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ النور 35 ، ورمز النماء والطيبة، قال تعالى: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ ومنها من يرمز إلى القبح والعقوبة، قال تعالى: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ وقيل كل هذا هي رمز المعصية والحد الفاصل بين عهدين بل وبين عالمين، فتذكرنا بقصة أيينا آدم -عليه السلام- وسبب خروجه من الجنة ونزوله الأرض بسبب الأكل من شجرة محرمة وبتزيين من الشيطان الذي استطاع إقناعه بالأكل منها ليس لطعم فيها فريد، ولا اسشفاء بها من داء عليل بل بايهامه أن الشجرة لها القدرة على منحه الحياة الأبدية، والملك الصرمدي، قال تعالى: ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ طه 120.

لقد اعتقد آدم -عليه السلام- في الشجرة هذه القدرة على دفع الموت عنه وحياسة الملك فأكل منها،

واعتقد العرب في بعض أشجار الدنيا عقائد فقدسوها وعبدوها ومن هذه الأشجار:

\* العزى: من العز<sup>1</sup> تأنيث الأعز وهي شجرة<sup>2</sup> أو شجيرات مجتمعات وقيل نخلة كانوا يعلقون

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 27، ص 104، نشير إلى أن الناس اختلفوا في العزى أي صنم أو شجر وقد مرت معنا في مطلب عبادة الأوثان، واختار محمد الطاهر بن عاشور الجمع بينهما فقال إنها صخرة في صورة شجرة.

<sup>2</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 28، ص 296.

عليها السيورَ والعِهْنُ<sup>1</sup> وممن عظمها قريش وغطفان<sup>2</sup> وغي<sup>3</sup> وباهلة<sup>4</sup> ، وسدنتها من بني صرمة بن مرة<sup>5</sup> وكان "عمرو بن لحي" أخبرهم أن الربَّ يتصيف باللات لبرد الطائف ويشتي بالعزى حرَّ تهامة فعظموها وبنوا لها بيتا وكانوا يُهدُّون إليها كما يهدون إلى الكعبة.<sup>6</sup>

### \*شجرة ذات أنواط:

عن الحارث بن مالك خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، فسرنا معه إلى حنين وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط يعظموها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويدبحون عندها ويعكفون عليها يوماً<sup>7</sup>، فرأينا ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنبات الطريق: يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال رسول الله ﷺ: «الله أكبر قلتُم والذي نفسي محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إلهما السنن لتركن سنن من كان قبلكم».<sup>8</sup>

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج22ص، 49، ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج 5، ص201، محمود بن عمرو الزمخشري، ج 5، ص642، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج14، ص33، والسَّيْرُ، الذي يُقَدُّ من الجلد، والعِهْنُ: الصوف المصبوغ ألونا، الفيروزآبادي، ص412-1218، ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج24، ص2170 و مج4، ج36، ص3153.

<sup>2</sup> غطفان بن سعد : بطن متسع كثير الشعوب والأفخاذ من قيس بن عيلان من العدنانية كانت منازلهم بنجد وجب طيء ثم افتروا في الفتوحات الإسلامية، حارهم النبي ﷺ في غزوة الخندق، وأبو بكر-رضي الله عنه- في حروب الردة، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج3، ص888.

<sup>3</sup> غَنِيُّ بن أعصر: بطن من قيس بن عيلان من العدنانية كان يقطنون بنجد ومجاورين لطيء، كانت حروبهم مع "عبس" وكانوا يعبدون الأوثان واللات ومناة العزى، ج3، ص896.

<sup>4</sup> باهلة: قبيلة عظيمة من من قيس بن عيلان وهم من العدناني بنو سعد مناة بن مالك بن أعصر كانوا يقطنون باليمامة، عمر رضا كحالة، ج1، ص62.

<sup>5</sup> محمد بن حبيب، الخبر، ص315.

<sup>6</sup> محمدنعمان الحازم، أديان العرب في الجاهلية، (دار السعادة، مصر، ط2، 1431 هـ - 1923 م)، ص127، أحمد الأزرقى، المصدر السابق، ص99.

<sup>7</sup> صفى الدين البغدادي، المصدر السابق، ج1، ص127.

<sup>8</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ج4، ص86، أحمد الأزرقى، المصدر السابق، ص204، محمد نعمان الحازم، المرجع السابق، ص127،

وفيهما يقول الشاعر:

لنا المهيمن يكفيننا أعادينا كما رفضنا إليه ذات أنواط.

وكان الرجل منهم إذا سافر عمد إلى خيط في غصن شجرة أو في ساقها، يعقدون طرفاً من غصن الشجر بطرف غصن آخر فإذا عاد نظر إلى ذلك الخيط أو الغصن فإن وجدته بحاله علم أن زوجته لم تحنه وإن لم يجده أو وجدته محلولا قال قد خانتني وذلك العقد يسمى "الرتم".

ب- النار (الجوسية أو الثنوية)، قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ إِلَّا الْبَنِينَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ الْوَحِيدِ﴾

فَأَيُّ قَوْمٍ هَؤُلَاءِ ﴿النحل 51﴾

ورد ذكر الجوس في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الحج، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالصَّرِيَّ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ الحج 17.

- لغة: الجوس من الفعل "مَجَسَ"، معرب من: "مِنْجَ كُوشَ" وهو رجل صغير الأذن، وضع دينا ودعا إليه، ويقولون بالأصلين النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور وأن الشر من فعل الظلمة<sup>1</sup>.

وقيل: بل مجوس عُربت من لفظ (مغوس) maghos الفارسية التي تعني عبدة النار.<sup>2</sup>

- اصطلاحاً: الجوس الذين يعبدون الشمس والقمر النيران<sup>3</sup>، وهي تثبت إلهين (يزدان) و(أهرمن)، قالوا كان يزدان نورياً منفرداً بالوجود الأزلي ثم حدث له خاطر في نفسه أنه لو حدث له منازع كيف يكون الأمر فنشأ من هذا الخاطر موجود جديد ظلمي يسمى (أهرمن) وهو الشيطان، إله الظلمة مطبوعاً على الشر والضر فحدث خلاف وحرب بين الإلهين ثم دعا "هرمز" إلى عبادة النار على أنها مظهر إله الخير هو النور وإلى هذا أشار المعري بقوله:

محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، (دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996 م)، كتاب الفتن، باب ماجاء لتركيب سنن من كان قبلكم، ج 4، ص 49-50 رقم ح [2180]، إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج 7، ص 12.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 46، ص 4141، الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 574.

<sup>2</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 691.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 16، ص 485.

قال أناس باطلٌ زعمهم فراقبوا الله ولا تزعمن فكر يزيدان على غيرة فصيح من تفكيره أهْرُمُنْ وأول عبادة النار في عهد قاييل لما قتل أخاه هاييل وهرب من أبيه أتاه إبليس فقال له إن هاييل إنما قُبلَ قربانه وأكلته النار لأنه كان يخدمها ويعبدها فانصب أنت نارا تكون لك ولعقبك، فبنى بيت نار فهو أول من نصب النار وعبدها .

يأكلون الميتة ويزعمون أن المنخنقة والموقوذة وكل ما اعتبط<sup>1</sup> ولم يمت حتف أنفه فهو أطيب لحما وأحلى، لأن دمه فيهن والدّم حُلُو دَسِمٍ وإنما عافه من عافه من طريق العادة والديانة، لامن طريق الاستقدار والرُّهد الذي يكون في أصل الطبيعة.<sup>2</sup>

وفي الأخبار ما يفيد بتمجس بعض العرب فورد أن المذكية والمجوسية في تميم، واعتنقها أيضا "الأقرع بن حابس" وأبو الأسود جد وكيع بن حسان، وقيل إن أشتاتا من العرب عبدت النار سرى إليها من الفرس والمجوس<sup>3</sup> قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا نَتَّخِذُ الْإِنْسَانَ اتِّخَانًا إِنَّهُ هُوَ إِلَهُهُ وَوَعَدَ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ﴾ النحل 51.

وكانوا عند التلبية يقولون: "ليك اللهم ليك، لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك"، واستغربوا أن يكون للكون إله واحد ينفرد فيه بالتدبير، قال تعالى: ﴿أَجْعَلُ لِلْأَلْهَةِ إِلَهًا وَوَحْدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ﴾ ص 5.

وكان للعرب أربع عشرة نارا منها ما كان يستعمل في حاجاتهم الدينوية كنار الصيد، ونار الحرب ليتأهبوا للقتال، وكنار القرى ليستدل بها الأضياف ومنها نيران ارتبطت بأصولهم العقديّة مثل:

- نار المزدلفة: نار توقد بالمزدلفة من مشاعر الحج ليراهها من دفع من عرفة.

- نار الاستمطار: كانوا في الجاهلية الأولى إذا احتبس المطر جمعوا البقر وعقدوا في أذناها وعراقبيها السِّلَع والعُشَر، ويصعدون بها في الجبل الوعر، ويشعلون فيها النار ويزعمون أن ذلك من أسباب المطر .

- نار الحلف: كانوا إذا أرادوا عقد حلفٍ أوقدوا النَّارَ وعقدوا الحلف عندها يذكرون

<sup>1</sup> اعتبط: العبيط اللحظ الطري غير النضيج، ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج 32، ص 2785.

<sup>2</sup> الجاحظ، الحيوان، ج 4، ص 95-96.

<sup>3</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 693.

خيرها، وَيَدْعُونَ بِالْحَرَمَانِ مِنْهُ عَلَى مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ وَحَلَّ الْعَقْدِيقُولُونَ فِي الْحَلْفِ: الدَّمُ الدَّمُ، والهدم الهدم لا يزيده طلوع الشمس إلا شدةً مابل البحر صوفه، وما أقام رضوى في مكانه.

- نار الحرتين: كانت في بلاد عبس فإذا كان الليل تضيء نار تسطع، وفي النهار دخان مرتفع، وربما بدر منها عنق فأحرق من مر بها.

- نار الطرد: وهي نار كانوا يُوقدونها خلف من يمضي ولا يحبون رجوعه، ويقولون في الدعاء "أبعده الله وأسحقه، وأوقد ناراً خلفه".<sup>1</sup>

### \*\* موقف الشرع من عبادة الأشجار والنيران:

أيها أشد غرابة وأدعى للاستنكار أن يكون للكون إله واحد أو أن يكون له آلهة متعددة قال تعالى: ﴿أَءَلَهُمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذَكَّرُونَ﴾ النمل 62، كان هذا السؤال يتكرر في أواخر سورة النمل في أسلوب استنكاري تعجبي، يقارن فيه بين شركائهم الذين ادّعوا لهم الألوهية، وبين الله الذي يتزل القطر من السماء، ويصرف الرياح وينبت الأرض، والذي يجيب دعوة المضطر، ويبعث من في القبور، فهل من شركائهم من يفعل ذلك؟.

ولو كانا هناك آلهتان في تصريف كل هذه الشؤون ألا يختلفان، وعند الخلاف فلمن يحتكمان، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ الأنبياء 22.

حكّم الشرع على من ادّعى علم الغيب لغير الله بالكفر عن ابن عمر<sup>2</sup> رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد

<sup>1</sup> محمد الأمين البغدادي السويدي، المرجع السابق، ص 114، أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، (دار الكتب المصرية، القاهرة، 134هـ-1922م)، المرجع السابق، ج 1، ص 407-408، محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 2، ص 233-234، عبد القادر البغدادي، المرجع السابق، ج 7، ص 147-148.

<sup>2</sup> عبد الله بن عمر بن الخطاب: أبو عبد الرحمن العدوي، هاجر مع أبيه عمر رضي الله عنه كان آدم طوالاً، أعطي القوة في العبادة والمعرفة بالأخرة شديد التمسك بالسنّة، استصغره النبي ﷺ في بدر وأجازه يوم الخندق، توفي بمكة سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين، وهو ابن ست وثمانين، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج 3، ص 1707.

متى يجيء المطر<sup>1</sup>؛ وادّعاء علم الغيب باطل من وجهين:

-المشاهدة توجب أن فيما يخبروننا به تقع بعض المخالفات فيه والأخطاء، ولو كانت غيباً ما أمكن خلافها.

-وعلم الغيب لا يقوم على دليل من خط أو زجر أو تطير، وإنما الغيب وعلمه أن يخبر المرء بالخبر دون صناعة من شيء مما ذكرنا فيصيب في الجزء والكل، ولا يكون هذا إلا لني.

-أمر النبي ﷺ خالد بن الوليد<sup>2</sup> بقطع العزى وقال له: «إيت بطن نخلة، فإنك تجد ثلاث سمرات<sup>3</sup>، فاعضد الأولى، فأتاها فعضدها ثم أتى النبي ﷺ فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا، قال: «فاعضد الثانية»، ثم أتى النبي ﷺ فقال: «هل رأيت شيئاً؟» قال: لا، قال: «فاعضد الثالثة»، فأتاها فإذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها، تصرف بأنيابها وخلفها "دبية" وكان سادتها- فنظر إليها خالد قال:

يا عَزَّ كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

ثم ضربها ففلق رأسها فإذا هي حُمَّمة ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: «تلك العزى، ولا عزى بعدها للعرب، أما إنها لن تُعبد بعد اليوم»<sup>4</sup>.

وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقطع الشجرة التي نمت تحتها "بيعة الرضوان" حين بايع الناس الرسول ﷺ على الجهاد والموت، فأثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح 18، فكان الناس بعد ذلك يأتون يصلون عندها، فلو تركهم وما يفعلون لعُبدت بعد جيل، فقطع الطريق على الوثنية بقطع الشجرة المتبرك بها.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، باب لا يدري متى يجيء المطر إلا الله، ج 1، ص 326، [رقم 1039].

<sup>2</sup> خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وأمّه لبابة الصغرى بنت الحارث أخت ميمونة -زوج النبي ﷺ- أسلم بعد الحديبية في السنة الثامنة وشهد الفتح وحيناً استعمله النبي ﷺ في بعض مغازبه ثم أبو بكر -رضي الله عنه- في قتال مسيلمة وأهل الردة وولي فتح دمشق، مات بمحرم سنة إحدى وعشرين، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج 9، ص 925.

<sup>3</sup> السمرة شجر الطلح، ج سمرة وسمرات، وقيل الشجر صغار الورق قصار الشوك، ابن منظور، لسان العرب، مج 3، ج 23، ص 2092.

<sup>4</sup> إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، ج 3، ص 597، النسائي، السنن، كتاب التفسير، باب النجم، ج 6، ص 474،

[رقم 11547]

### ٣- عبادة القوى السماوية (الكواكب والنجوم):

أ- عبادة الشمس والقمر: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ فصلت 37.

عبادة الكواكب والأنواء وهو ما يرادف الصّابئة في أحد الأقوال ظهرت قديماً في قوم إبراهيم -عليه السلام- الكلدانيون- وكانوا<sup>1</sup> يعظمون الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر ويصورونها في هياكلهم فهيكل للشمس، وآخر للقمر، وثالث للزهرة، ورابع للمشتري، وخامس للمريخ، وسادس لعطارد، وسابع لزحل، وهذه الهياكل عبادات ودعوات مخصوصة ويتخذون لها أصناماً مخصوصة وتقدم لها القرابين،<sup>2</sup> ثم انتقلت إلى بعض القبائل العربية على ما سنبينه.

\* عبادة الشمس: قال تعالى: ﴿وَجَدْتَهَا قَوْمًا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ النمل 24

وتسمى (الإلاهة و الألاهة) بالفتح، وقرأ ابن عباس (ويذرك وإلهتك) أراد الشمس وأنت الإله بالهاء وإنما سميت إلهة لأنها كانت تعبد في الجاهلية، ويقال لها اليوح والبوح، والجوثة، وذكاء وبنت ذكاء<sup>3</sup>.

عُبدت الشمس من طرف عرب حمير وقوم بليقيس وكانوا يسجدون لها<sup>4</sup>، وزعموا أنها ملكة من الملائكة، لها نفس وعقل وهي أصل نور القمر والكواكب وتكون كل الموجودات السفلية عندهم منها بزعمهم<sup>5</sup>، واتخذوا لها صنما بيده جوهرة على لون النار وله بيت خاص قد بنوه باسمه وجعلوا له الوقوف الكثيرة من القرى والضياح وله سدنة وقوام وحجبة يأتون البيوت ويصلون فيها ثلاث مرات في اليوم ويأتيه أصحاب العاهات فيصومون لذلك الصنم ويصلون ويدعون

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج1، ص535، ورد ذكر الصابئة ثلاث مرات في القرآن الكريم في سورة: البقرة/62 المائدة/69 الحج/17.

<sup>2</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج2، ص228.

<sup>3</sup> محمد بن المستنير قطرب، الأزمنة وتلبية الجاهلي، ت حاتم صالح الضامن(دار الرسالة، بغداد ط2، 1405-1985)، ص914، يحي بن زياد الفراء، الأيام والليالي والشهور، ت إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، 1400هـ -1980م) ص96-97.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج2 ص239.

<sup>5</sup> الشهرستاني، المصدر السابق، ص514.



ويستسقون به وهم إذا طلعت الشمس أو توسطت أو غربت سجدوا لها.<sup>1</sup>

ومعبدهم قصر عظيم مشيد رفيع البناء محكم، يحوي ثلاثمائة وستون طاقة من شرقه ومثلها من غربه، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتغرب من مقابلتها، فيسجدون لها صباحاً ومساءً<sup>2</sup> ولهذا قال: ﴿وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ النمل 24.

وشمس: بضم أوله صنم كان لبني تميم<sup>3</sup> وكان له بيت وكانت تعبده "بنو أد" كلها: ضبة، وعدي، وثور وعُكل، وكان سدنته في بني أوس بن مخاشن بن معاوية<sup>4</sup>، وقيل إن المقصود "ببعل" و"ذو الشرى" عند الجاهليين هو الشمس..<sup>5</sup>

وكان العرب يعتقدون أن الشمس تكسف لموت الأشخاص العظماء والأسياء كقول الخنساء<sup>6</sup> في أخيها:

أَبْيَضُ أَبْلَجُ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ فِي خَيْرِ البَشَرِ [الكامل]  
والشَّمْسُ كاسْفَةٌ لِمَهْلِكِهِ وَمَا اتَّسَقَ القَمَرُ<sup>7</sup>

\*عبادة القمر: القمر قرص بديع جميل يشع النور منه ببهاء وروعة يثير في النفس الأحاسيس والمشاعر ويحرك العاطفة ويهيج الذكرى ويبعث على التأمل والتفكير أبرز ما في القمر

<sup>1</sup> شمس الدين بن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ت محمد عطا (دار التقوى للتراث، مصر، ط1، دت) ص533، الملل والنحل، المرجع السابق، ص 514، على أنه جعلها من طقوس أهل الهند.

<sup>2</sup> ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 10، ص 401.

<sup>3</sup> بنو تميم بن مرة قبيلة عظيمة من العدنانية تنتسب إلى مُرّ بن أدّ، منازلهم بأرض نجد دائرة من هناك على البصرة واليمامة والكوفة وهم بطون كثيرة، من أصنامهم تيم وكانوا يعبدون الدبران وانتشرت فيهم الجوسية، قدم وفد منهم للنبي صلى الله عليه وسلم، سنة 9هـ، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج1، ص 126-134.

<sup>4</sup> ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص362.

<sup>5</sup> كمال فوّاز أحمد سلمان، الشمس في الشعر الجاهلي، إشراف إحسان الديك، رسالة ماجستير، (جامعة النجاح الوطنية، كلية كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2004م)، ص64.

<sup>6</sup> الخنساء: هي ثُمّاضِر بنت عمرو بن الشريد، شاعرة عربية مخضمة، وكانت في الجاهلية تقف بالموسم وتُعاطمُ العرب بمصيبتها بأبيها وأخويها صخر ومعاوية، توفيت بعد عام 8هـ، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص344-346، محمد بن سلام الجمحي، ج1، ص471، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص180.

<sup>7</sup> الخنساء، ديوان، ت حمدو طماس، (دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425هـ-2004م)، ص57.

أطواره وتغير أوجهه<sup>1</sup>.

كان عرب الجنوب يعبدون القمر وحده لأنه مُذَكَّرٌ ويسمونه الصديق والأب والعم والكهل والحكيم وجعلوا له أصناماً أشهرها (ودّ)، وتأثر عرب الشمال بإخوتهم عرب الجنوب فعبدوا القمر والشمس والنجوم والكواكب وكان القمر يسمى عند أهل الجنوب (ود) ويسمى (سين) عند عرب شمال الجزيرة العربية وهو الإله الأكبر وتليه زوجته وسموها "اللآت" وله ولد أسموه "عَشْتَر" أو "العُزَي" وهي كوكب "الزهرة"؛ وما تصويرهم للملك في الشعر بالشمس والمرأة بالقمر إلا إشارة منهم لبقايا معتقدات قديمة وهو من تداخل الديانات البابلية والآشورية وديانات العرب بحيث شكلت مصدراً خصباً للحياة والقوة وللجمال.<sup>2</sup>

ويذهب بعض الباحثين إلى تعليل كثرة تشبيه الملوك والرؤساء بالقمر عند عرب الجاهلية بالبُعْدِ العقدي وهو الرغبة الملحة عند الإنسان الجاهلي في إيجاد نظير أرضي للإله القمر السماوي.<sup>3</sup>

وأراه تلبية لرغبات الشوق والأنس التي جُبِلَ عليها الإنسان الذي لا يتغذي يقينه إلا بالنظر إلى المحسوس ومحاولة حثيثة لإدراك المعبود واكتشاف الذات الإلهية بتلمس آثارها الروحية في أحد المظاهر الكونية، قبل أن يعلمه الوحي أن هذا من الممنوعات الدنيوية، وأن الابتلاء والاختبار بتزكية يقينه وشقه الروحي بشقه المادي الذي يشهد له بوجود الله.

ورد في التاريخ أن "هبل" كان إلهاً قمرياً أحضره عمرو بن لحي من البتراء<sup>4</sup> (عرب الأنباط) الذين الأنباط) الذين كانوا يعبدون (ذو شرى) ويقدمون له الأضاحي البشرية من الفتيات<sup>5</sup>، وعرب كنانة اتخذوا القمر صنماً، وزعموا أنه يستحق العبادة والتعظيم، وإليه تدبير هذا العالم السفلي واتخذوا له صنماً على شكل عجل يجره أربعة، ويبد الصنم جوهرة، ويعبدونه ويسجدون له، ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشراب، والفرح والسرور، فإذا

<sup>1</sup> علي عبندة، الفلك والأنواء في التراث، (دد، دط، دت)، ص 55

<sup>2</sup> كمال فواز أحمد سلمان، المرجع السابق، ص 198

<sup>3</sup> فؤاد يوسف إسماعيل إشتية، القمر في الشعر الجاهلي، إشراف إحسان الديك، رسالة ماجستير (جامعة النجاح الوطنية، كلية

الدراسات العليا للغة، نابلس، فلسطين، 2010م)، ص 147

<sup>4</sup> البتراء كأنه تأنيث الأبتير: موضعٌ على طريق يَنْزِلُ من المدينة، صفي الدين البغدادي، المرجع السابق، ص 161

<sup>5</sup> علي عبندة، المرجع السابق، ص 59

فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء والعزف بين يديه، كما عبدت العرب النجوم أيضا فيما زعموا أنه ثالوثهم السماوي: الشمس، القمر، الزهرة، وبصنعاء بنى المشركون ثلاث بيوت على إسم الزهرة فخرها عثمان رضي الله عنه.<sup>1</sup>

وسبب عبادتهم لها زعمهم أن الفلك والنجوم تعقل وتسمع لكنها لاتذوق ولا تشم، ولما كنا نحن نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت أولى بالعقل والحياة منا<sup>2</sup>، وسبب هذا الاعتقاد ارتباط معيشتهم بالطبيعة حيث تتوقف سير قوافلهم على النجوم والكواكب السيارة وقد أتقنوا فن الاسترشاد بالنجوم.<sup>3</sup>

وهم يؤمنون بخالق العالم وأنه واحد حكيم مقدس غير أن البشر عاجزون عن الوصول إلى جلال الخالق فلزم التقرب إليه بواسطة مخلوقات مقربين لديه وهي الأرواح المجردات الطاهرة المقدسة التي تسكن الكواكب وتزل إلى النفوس الإنسانية وتتصل بها بمقدار ما تقترب نفوس البشر من طبيعة الروحانيات فعبدوا الكواكب بقصد الاتجاه إلى روحانياتها بالصيام ثلاثين يوما موزعة على أيام السنة، والصلاة ثلاث مرات في اليوم، والصدقة والطيب وألزموا أنفسهم فضائل النفس الأربع الأصيلة (العفة، العدالة، الحكمة، الشجاعة) وتجنب الرذائل.<sup>4</sup>

والطقوس التي يعبد العرب بها هذه الكواكب تكاد تكود غير معروفة لأن الباحثين والمفسرين أنفسهم لم يتفقا على مفهوم واضح لهذه النحلة وهل هي من مرادفات الصابئة، وهم لم يقطعوا بعد برأي متفق عليه في معنى الصابئة فمنهم من قال: الصابئون هم من لا دين لهم، ومنهم من قال الصابئون قوم توسطوا بين الجوس واليهود وبين الجوس والنصارى، ومنهم من قال هم قوم يعبدون الملائكة ويصلون إلى القبلة؛ ولهذا لقب النبي وأصحابه بالصّابِئِ والصّابِئِينَ لأن جد الرسول صلى الله عليه وآله لأنه كان ممن يعبد الكواكب ولهذا أتتهم النبي صلى الله عليه وآله بأن تابع له، ومنهم من قال

<sup>1</sup> شمس الدين بن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان، ص 532، الشهرستاني، المرجع السابق، ص 514-515، أحمد مغنية، تاريخ العربي القديم، (دار الصفوة، بيروت، ط1، 1414هـ، 1997م)، ص 127.

<sup>2</sup> علي بن أحمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ت محمد بن ابراهيم نصر، (دار الجيل، بيروت، دط، دت)، ج 5، ص 147.

<sup>3</sup> علي الدين محي الدين، عبادة القوى الخفية، ص 157، مقال من كتاب الجزيرة العربية قبل الإسلام.

<sup>4</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 2، ص 225-226، محمد بن أبي يعقوب بن النديم، الفهرست، ج 9، ص 383-384.

الصابؤون قوم مُوحِدُونَ ليس لهم عمل ولا كتاب ولا نبي إلا قولهم لا إله الا الله لذلك كان المشركون يقولون للنبي صابئ<sup>1</sup>. ...

وسبب هذا الاختلاط الاشتباه في أحكامهم لتكتمهم في دينهم، وما دخل عليه من التخليط بسبب قهر الأمم لهم فمن قهرته الفرس اختلط دينه بالجوسية ومن قهرته الروم اختلط بالنصرانية.<sup>2</sup> وسعى بعض الباحثين إلى فصل الخطاب في معنى الصابئة فقال: الصابؤون ينقسمون إلى مؤمن وكافر، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ البقرة 62.

إذ ذكّرهم في الأمم الأربعة التي تنقسم كل أمة منهم إلى ناجٍ وهالك.. وهم فرق متعددة، صابئة حنفاء، وصابئة مشركون، وصابئة فلاسفة، وصابئة يأخذون بحسن ما عليه الملل والنحل من غير تقييد ومنهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف في التفصيل، ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلاً ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلاً، وهم يقرون أن للعالم صانعا فاطرا مقدس عن العيوب والنقائص، ولا سبيل للوصول إلى جلاله إلا بالوسائط الروحية الطاهرة.<sup>3</sup>

وأعتقد أن هذا الرأي اعتمد على الجمع بين الأقوال دون ارتكاز على حجة قوية وبيان، ومن الباحثين من توقف عن الخوض في معنى الصابئة واعتبره من مبهمات القرآن التي لا يُقَطَّعُ فيها برأي.<sup>4</sup>

وما نقطع به يقينا أن الشارع حكم بالكفران مجرد نسبة تسيير الكون وتدييره لأحد الكواكب قال ﷺ: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطَرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ

<sup>1</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج2، ص112، ابن عطية الأندلسي، ج4، ص112، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج1، ص534.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج1، ص537.

<sup>3</sup> محمودشكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج2، ص225.

<sup>4</sup> ذهب إلى هذا الرأي عبد الرحمن الحللي في مقال منشور على صفحات الأنترنيت بعنوان "المجتمع العربي قبل الإسلام، دراسة قرآنية، عبد الرحمن الحللي، مجلة التسامح، <http://www.d26112012\Nouveau dossier.htm>.

بالكوكب».<sup>1</sup>

ومعنى النوء سقوط نجم في المغرب من النجوم الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر، وهو مأخوذ من ناء إذا سقط، وقال آخرون بل النوء طلوع نجم منها وهو مأخوذ من ناء إذا نهض، ولا تخالف بين القولين لأن كل نجم منها إذا طلع في المشرق وقع حال طلوعه آخر في المغرب لا يزال ذلك مستمرا إلى أن تنتهي الثمانية والعشرون بانتهاء السنة، وكان أهل الجاهلية يظنون أن نزول الغيث بواسطة النوء، إما بصنعه على زعمهم أو بعلامته فأبطل الشرع قولهم وجعله كفرا.<sup>2</sup>

وأن علم الغيب بيد الله وحده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ﴾ لقمان 34.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «مفتاح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم أحد ما يكون في غد، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وما يدري أحد متى يجيء المطر».<sup>3</sup>

ووجههم إلى الاعتقاد الحق في الكواكب فقال: خلقت الكواكب زينة للسماء ورجوما للشياطين<sup>4</sup> وعلامة لحساب الأيام والسنين<sup>5</sup>، ودلالة على مواقيت العبادات كالصلاة والصوم<sup>6</sup> وعلامة على قيام الساعة وإدبار الدنيا<sup>7</sup>، وقد تستعمل كرمز لتعبير الرؤى<sup>8</sup> وللتفكر في قدرة الله على الخلق، وهي مسخرة للإنس بهذا البيان.<sup>9</sup>

<sup>1</sup> صحيح البخاري، ج 1، ص 326، كتاب الاستسقاء، باب قوله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) الواقعة 82، [رقم 1038]،

صحيح مسلم، ج 1، ص 49 كتاب الإيمان، باب كفر من قال مطرنا بنوء كذا [رقم 71].

<sup>2</sup> ابن حجر العسقلاني، تح الباري شرح صحيح البخاري، ج 3، ص 395 وبشرح ابن بطال، ج 3 ص 28.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب الاستسقاء، ج 1، ص 326، رقم [1039].

<sup>4</sup> الصفات 6-7.

<sup>5</sup> يونس 5/ الأنعام 96.

<sup>6</sup> الإسراء 78.

<sup>7</sup> الإنفطار 2/ القيامة: 8-9-10.

<sup>8</sup> يوسف 4.

<sup>9</sup> الأنعام 76-77-78/ الأعراف 54/ الأنبياء 33/ العنكبوت 61/ فصلت 37.

أما الاستدلال بطالعها ومغارها وحركاتها على سعادة الناس وشقاوتهم وأقدارهم المكتوبة لهم فهو من الشرك، وكذا عبادتها باعتبارها مديرة للكون وبها نزول المطر والغيث، قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ النمل 60.

### ب- عبادة الكوكب الدرّي قال تعالى: ﴿كَانَتْ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ النور 35

هو كوكب الزهرة بالعربية، سمي بذلك لشدة بياضه وصفائه وتوقده وضخامته مندفع بنوره<sup>1</sup> واسمه بالنبطية "بيذخت"، وبالفارسية "أناهد"<sup>2</sup>، أجمل وألع جرم سماوي يرى من الأرض ويمكن رؤيته في منتصف النهار، من الكواكب الداخلية التي يقع مداره ضمن مدار كوكب الأرض لذلك لا يمكن مشاهدته وسط السماء بل يظهر قريباً من الشمس في الجزء الغربي مساءً لذلك يدعى كوكب المساء ويغيب عادة بعد غياب الشمس بفترة أقصاها ثلاث ساعات في فصل الشتاء، أمّا في الصيف فيظهر من الشرق قبل شروق الشمس ويدعى كوكب الصباح.

وذكر "الزهرة" الشاعر الإغريقي "هوميروس" في إلبادته، وهو أكثر الأجرام السماوية تقدسياً عند معظم الحضارات القديمة سمّاها السومريون: "أثينا" وعبدها في بابل باسم "عشتار" وانتقل تقديس الزهرة وعبادتها إلى الإغريق والرومان عن طريق الفينيقيين وسموها: "فينوس" أو "أفروديتا" كما انتقل تقديس الزهرة وعبادتها إلى عرب الجزيرة عن طريق اليهود والصابئة فعبدها العرب وسموها "العزّي"<sup>3</sup>، وذكرت في شعر عرب الجاهلية فقد جاء في ديوان علقمة بن عبدة الفحل<sup>4</sup> قوله:

أوردتها وصدور العيسِ مُسنفةٌ والصُّبحُ بالكوكبِ الدرّيِّ منحور<sup>5</sup> [البيسط]

<sup>1</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 15، ص 258-263، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 11، ص 68-69، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 23، ص 237، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 6، ص 46.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 2، ص 345.

<sup>3</sup> علي عبدة، المرجع السابق، ص 40-41-42.

<sup>4</sup> علقمة بن عبدة: م شاعر جاهلي من بني تميم من أقران امرئ القيس، وقد تناشدا الشعر مرة وتحاكما إلى زوجة امرئ القيس القيس فحكمت بأن علقمة أشعر، فطلقها امرئ القيس وخلفها عليه علقمة فلقب بالفحل، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1 ص 218، عبد السلام الجمحي، المصدر السابق، ج 1، ص 139، عبد القادر البغدادي، المرجع السابق، ج 3، ص 282-284.

<sup>5</sup> علقمة بن عبدة الفحل، ديوان، ت حنانصر حتي، (دار الكتاب العربي، ط 1، 1414هـ-1993م)، ص 79.

وتكرّفي كتب التفسير قصة "الزهرة" وهي المرأة الجميلة التي فتنت الملكين "هاروت وماروت" فمسخها

الله كوكباً، في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرُوتَ ۗ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ﴾ البقرة 102.

ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال: كانت الزهرة امرأة جميلة من أهل فارس، وأنها خاصمت إلى الملكين هاروت وماروت، فراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يُعلماها الكلام الذي إذا تُكلم به يعرج به إلى السماء فعلمهاها، فتكلمت به فعرجت إلى السماء ومسخت كوكبا، ولم تتركهما حتى زنيا وقتلا وأشركا بالله صنما<sup>1</sup>.

وذهب بعض الباحثين إلى أن صنم العزى الذي عبده العرب ليس سوى كوكب الزهرة<sup>2</sup> وهو أحد أسمائها؛ فالعزى من لغة بني طيء<sup>3</sup> سمّوها عوزي، وهي "عشتار" ابنة الآلهة "سين" عند البابليين، ثم الزهرة المعروفة عند عرب الجنوب "بعشتر" وكما كانت عشتار تمثل فصل الشتاء في أسطورة البابليين ثم مثلت الخصب والجمال بنت الإله، ثم أصبحت الزهرة عند الإغريق، وكانت العزى رمزا للشتاء أيضا عند العرب، إذ أثر عن "عمرو بن لحي" قوله فيها: إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ويشتي بالعزى لحر تهامة، ثم أصبحت العزى عند العرب آلهة الخضر، وصعدت إلى السماء في صورة امرأة حسناء وعرفت بالزهرة، وكما كانت عشتار آلهة الحب والعشق الجسدي كان للعزى عند عرب الجاهلية علاقة بالزواج فكانت الفتاة إذا طلبت الزواج نشرت جانبا من شعرها، وكحلت إحدى عينيها، وحجّلت على إحدى رجليها ليلاً، وقالت عبارة معناها أنها تدعو أن تتزوج قبل يطلع نجم الصباح "الزهرة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج2، ص343-345، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج1، ص130-131، وقد ردّ كثير من العلماء هذه الروايات واعتبروها من الإسرائليات مع أن كل كتب التفسير تذكرها.

<sup>2</sup> علي عبدة، المرجع السابق، ص40.

<sup>3</sup> بنو طيء بن أدّض: قبيلة عظيمة من كهّلان من القحطانية، كانت منازلهم باليمن، ثم انتشروا في العراق الحجاز فملؤها، من أصنامهم "الفلس" و"سُهيل"، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج1، ص689-691.

<sup>4</sup> سميح دغيم، المرجع السابق، ص107-108.

### ج-عبادة الشَّعْرَى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ النجم 49.

والشَّعْرَى: النَّجْمُ الوَقَّادُ يقال له "المرزم"، ويقال له "كلب الجبار"<sup>1</sup> وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شعريان، يقال لإحدهما العبور وللأخرى الغميصاء، سميت بذلك لأنها أخفى من الأخرى والمجرة بينهما. وأراد هاهنا "الشَّعْرَى العبور".

والشَّعْرَى ألمع النجوم على الإطلاق تظهر مساء في أيام الشتاء وتبقى ساطعة بضياؤها حيث تغيب معظم النجوم النيرة في آخر الليل، لهذا من السهل التعرف عليها والإهتداء بها حتى بعد طلوع الفجر واعتبروها من النجوم المتحيرة فلا هي من نجوم الليل ولا من نجوم النهار.<sup>2</sup>

وكانت العرب تقول في خرافاتها الأسطورية حول برج الجوزاء والشَّعْرَى اليمانية والشَّعْرَى الشامية وسُهَيْل؛ إن سُهَيْلا النَّجْم تزوج الجوزاء-البرج-وفي أحد الليالي صاح "سُهَيْل" على "الجوزاء" فركلته برجلها فقام "سُهَيْل" وضربها بالسيف فكسر ظهرها وفقارها، ثم فرَّ هاربا نحو الجنوب خوفا من أهل الجوزاء أن يطالبوه بدمها وكان "لسهَيْل" أختانها "الشَّعْرَى اليمانية والشَّعْرَى الشامية" فلحقت الشعريان بأخيها "سُهَيْل"، وتمكنت "الشَّعْرَى اليمانية" من عبور درب التبانة جنوباً واللحاق بأخيها "سُهَيْل" لذلك سميت "بالشَّعْرَى العبور"، أمَّا الأخت الصُّغْرَى (الشَّعْرَى الشامية) فلم تستطع اللحاق بأخيها سهيل وبقيت في مكانها تبكي إلى أن غمصت عينها فسميت "الشَّعْرَى الغميصاء"<sup>3</sup>.

وهذا النَّجْم-الشَّعْرَى- كان يُعْبَد في الجاهلية<sup>4</sup> ومن عبده من القبائل "قبيلة خُزَاعَةَ"، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في خزاعة وكانوا يعبدون الشَّعْرَى<sup>5</sup>، وعبدته قريش ولخم وقضاعة.

وأول من سن لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع

<sup>1</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج5، ص 649.

<sup>2</sup> علي عبندة، المرجع السابق، ص93.

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج20، ص62-63، علي عبندة، المرجع السابق، ص91-92.

<sup>4</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج، ص22 ص85-86.

<sup>5</sup> جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج14، ص55، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج1، ص536، علي الدين

محي، المقال السابق، ص161.



السماء عرضاً والشعري طولاً فهي مخالفة لها، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب في الدين سموه ابن أبي كبشة لخلافه إياهم، كخلاف أبي كبشة في عبادة الشعري.<sup>1</sup> وقال أبو سفيان يوم الفتح وقد وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله ﷺ تمر عليه: "لقد أمر أمر ابن أبي كبشة"، وكان من لا يعبد الشعري من العرب يعظمها ويعتقد تأثيرها في العالم<sup>2</sup>، فهي الجالبة للبخت، وللغنى والفقر لهذا سبق ذكرى الشعري نسبة الرزق إلى الله تعالى حين قال<sup>3</sup>: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ النجم 48، بل وبكل صفات الربوبية في الله من خلق وإحياء وسعادة وشقاوة وغنى وفقر، وإماتة وبعث وجزاء لينفي توهماتهم فيمن اعتقدوه رباً.

### الفرع الثاني: مظاهر الإشراف في عبادة القوى الروحية:

#### 1- عبادة العرب للملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْتُولَاءُ إِنَّا كُنَّا

يَعْبُدُونَ﴾ سبأ 40

- لغة: الملائكُ والملائكة: الرسالة، والكني إلى فلان أبلغه عني، أصله أُلَيْكِي.<sup>4</sup>

والملائكُ واحدُ الملائكة إنما هو تخفيف الملائك، واجتمعوا على حذف همزهم.<sup>5</sup>

- إصطلاحاً: أجسام لطيفة نورانية أختيار ذوو قوة عظيمة، ومن خصائصهم القدرة على التشكل بأشكال مختلفة، والعلم بما تتوقف عليه أعمالهم، ومقرهم السماوات ما لم يرسلوا.<sup>6</sup>

حمل بعض المفسرين معنى الجن في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ الصافات 158 على أن المراد به الملائكة لأنها مُسْتَجَنَّة أي مستترة<sup>7</sup> وأن المقصود بالنسب دعواهم أن الملائكة بنات

بنات الله، قال تعالى متسائلاً سؤال المستنكر: ﴿أَفَأَصْفَقَكُمْ رَبُّكُمُ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا﴾

الإسراء 40.

<sup>1</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج7، ص419، الزمخشري، المصدر السابق، ج5، ص649.

<sup>2</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج20، ص62-63.

<sup>3</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج29، ص23.

<sup>4</sup> الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص952.

<sup>5</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج47، ص4269.

<sup>6</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج22، ص250.

<sup>7</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج5، ص128.

فما الذي جعلهم يطلقون هذا الادعاء؟ وهل عبدت العرب الملائكة حقاً؟

أجابت الملائكة على هذا السؤال بالنفي حين سأهم الله عز وجل: ﴿أَهْتُولَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ سبأ 40، فقالوا: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرَهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ سبأ 41.

يشير القرآن إلى أن من أطلق دعوى أنوثة الملائكة طائفة من المشركين تنكر البعث لعلهم الدهريون، أو الزنادقة الملحدون، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ النجم 27.

وحصرهم ابن عباس في ثلاثة أحياء من قريش اختصت بعبادتهم هم "سليم<sup>1</sup>، خزاعة<sup>2</sup>، جهينة<sup>3</sup> وهو إفك وافتراء قائم على أكاذيب ثلاث:

1- شهادتهم على شيء لم يروه ولم يعرفوه: والحكم على نوعه ونسبه وهو أنوثة الملائكة وأبوة الله لها- تعالى الله عن ذلك- قال تعالى: ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنْتًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ الصافات 150.

2- شهادتهم بأن الله أمر بعبادتهم: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران 80.

3- شهادتهم أن عبادة الملائكة بمشيئة الله ورضاه: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَالَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الزخرف 20.

<sup>1</sup> سليم بن منصور: قبيلة عظيمة من قيس بن عيلان من العدنانية، كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر، خرج إليهم النبي ﷺ سنة 3هـ يريد قتالهم حتى بلغ ماء لهم يقال له الكدر وأقام به ثلاثاً وقيل عشراً ولم يلق أحداً منهم، خرجوا مع النبي ﷺ في فتح مكة، ومع خالد بن الوليد في سرية إلى بني عامر، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ص 543-545.

<sup>2</sup> خزاعة: قبيلة من الأزد من القحطانية وهم بنو عمرو بن ربيعة منازلهم بأحاء مكة في مر الظهران وما يليها من جبال وكانت لهم ولاية البيت قبل قريش، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج 1، ص 338-339.

<sup>3</sup> جهينة بن زيد: حي عظيم من خزاعة من القحطانية مساكنهم ما بين الينبع ويثرب في متسع من برية الحجاز، قاتلوا مع النبي ﷺ في غزوة حنين، ومع خالد في فتح مكة وكانوا على الميمنة، عمر رضا كحالة، ج 1، ص 216.

<sup>4</sup> جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، ص 220.

ويبدو أن طقوس ومراسيم عبادة العرب للملائكة مَسْكُوت عنها، مجهولة لذا عديد من المفسرين وما اطلعت عليه من كتب الباحثين إذ يكتفون بذكرها عنواناً من دون تفصيل، ولعل منشأ هذا الحجب والغموض يرجع إلى:

1- قلة من اعتنقوها قال تعالى مخاطباً الملائكة ﴿أَهْوَلَاءَ بِمَا كُنْتُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ سبأ 40، والإشارة بهؤلاء إلى فريق كانوا عبدوا الملائكة والجن ومن شايعهم على أقوالهم من المشركين، وقد وقع في عبادة الملائكة الصابئة الذين كانوا يقيمون في بلاد الكلدان وتبعهم بعض المشركين من العرب.<sup>2</sup>

2- وسأهم في عدم انتشارها عدم رضى الملائكة عن عبادة الناس لهم، وهو نقيض ما كانت عليه الجن الذين أغروا الناس وزينوا لهم عبادتهم فكثر مُريدوهم لهذا لا يُحمل قول الملائكة ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ سبأ 41، على نفي عبادة الملائكة بل على إقرارها بأنهما لم تكن في ذلك مشاركة.<sup>3</sup>

وسبب عبادة الملائكة ناشيء عن المبالغة في الغلو والتعظيم لصورهم؛ وقد وجدت صور في الكعبة لملائكة ولأنبياء وللنبي إبراهيم وإسماعيل -عليهم السلام- يستسقمان بالأزلام وقد رآها النبي ﷺ عند فتح مكة فأمر بتلك الصور فَطُمِسَتْ<sup>4</sup>، وكانت الجن تقول لهم: هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها، وكانوا يدخلون في أجواف الأصنام إذا عبدت فَيُعْبَدُونَ بعبادتها.<sup>5</sup>

والذي قام برسم هذه الصور في الكعبة جماعة من المسيحيين عهدت إليهم قريش بعملية بناء الكعبة منهم رجل يُدعى "باقوم"، ومن عادة البنائين رسم مثل هذه الصور فيما يقومون ببنائه من المعابد تزييناً لها بما هو ضمن عقيدتهم المسيحية كما هو مشاهد في كنائسهم القديمة والحديثة في

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج22، ص223.

<sup>2</sup> محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، (دار الفكر العربي، دط، دت)، ج1، ص1291.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج4، ص424 و ج15، ص107.

<sup>4</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ت مصطفى السقا، ج2، ص413، عبد الرحمن الخنعمي السهيلي، الروض الأنف، ت. مجدي منصور (دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت)، ج4، ص172، ابن الأثير، المصدر السابق، ج2، ص126، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص569، والحديث عند البخاري، كتاب المغازي، باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم فتح مكة، ج3، ص150 [رقم 4288].

<sup>5</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج22، ص151.

أرجاء الأرض التي بنوا فيها هذه المعابد.<sup>1</sup>

ثم طلب الشفاعة للنسب: ولا أظن أنهم طلبوا نفعهم وشفاعتهم في الآخرة لأنهم غير مؤمنين بها بل طلبوا شفاعتهم في الدنيا طمعاً في مصلحة، أو فزعا وفرارا من مضرة، وتقياً من مفسدة.

### \*\*موقف الشرع من عبادة الملائكة:

الاعتقاد بالملائكة ركن من أركان الدين، وتكرار ذكره في القرآن الكريم يدل على أهميته حيث ذكرت الملائكة بصيغة المفرد في أربع عشرة آية، وبصيغة التثنية في موضعين، وبصيغة الجمع في أربع وستين آية، وذكرت أسماء مفردة لبعضهم "كجبريل" في ثلاث مواضع، و"ميكال" مرة واحدة، و"مالك" مرة واحدة، و"ملك الموت" مرة واحدة، ودعوى النسب مردودة لأن:

1- الله عز وجل نزه نفسه عن اتخاذ الولد قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ الزخرف 15؛ والجزء القطع من الشيء وهو بعض الكل، فكأنهم جعلوا جزءاً من عباده نصيباً له وحظاً، وقال بعض أهل اللغة الجزء الإناث، يقال أجزأت المرأة إذا ولدت أنثى،<sup>2</sup> وهذا يقتضي كون الخالق جسماً محدثاً لمشابهة الولد له فلا يكون لها ولا خالقاً.<sup>3</sup>

2- وعظم الفرية التي أتوا بها، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا \* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا \* أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ مريم 88-91، وقد جمعوا الكفر من وجوه:

- استخفافهم بجعلهم الملائكة إناثاً بغير علم: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنِبُ لَهُمْ يَوْمَ يَسْأَلُونَ﴾ الزخرف 19، والتعبير عنها بالإناث دون البنات، لأن معنى الإناث كل شيء ليس فيه روح مثل الخشب والحجارة.<sup>4</sup>

- توعدهم بيوم النشور الذي ينكرونه بأنهم سيسألون عنها ويجازون عليها، قال تعالى:

<sup>1</sup> عبد القدوس الأنصاري، الكعبة أسماء وعمارات وعبدا لا معبودا وتاريخا قبل الإسلام، عبد القدوس الأنصاري، مقال في كتاب الجزيرة العربية قبل الإسلام (جامعة الملك سعود، إشراف عبد الرحمن الطيب الأنصاري، ط1، 1404هـ-1984م)، ص128.

<sup>2</sup> ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج 5، ص 48.

<sup>3</sup> أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (مكتبة مصطفى الباقي، ط1، 1365هـ-1946م)، ج 25، ص 76-77-78.

<sup>4</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 51، ص 4765.

﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ الزخرف 19، وستتبرأ الملائكة من قولهم و منهم من سيتولى تعذيبهم ثم يستصرخونهم فلا يُصْرِحُوهُمْ قال تعالى: ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُرِضُّ ﴾ النجم 26.

إن الذين ينكرون الإيمان باليوم الآخر مع قيام الأدلة العقلية على وجوده هم المستهزون بالذات الإلهية المنتقصون لها في كل شيء، في التزويه وفي العبادة والنذور والقرايين.

## ٢- عبادة العرب للجن، قال تعالى: ﴿ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴾ سبأ 41

يحيط بعالم الجن عدة خرافات وأساطير وسبب ذلك أنه عالم غير مرئي يجد الخيال فيه سعة، فإذا كان عالم الإنس المشاهد قد اختلف الناس فيه فرقا فما بالك بعالم غيبي تغديه الأفكار والتهيئات الموروثة والمبتدعة؛ والناس مولوعون بالقصص والأخبار ويميلون إلى التصديق دون طلب حجة أو دليل حتى وإن بدى غريبا ولعل ذلك من تزيين الشياطين لأن الحق إذا دُعوا إليه ناقشوا وحاججوا ولا حجوا وقلبوا الأمر يمينا ويسرى، والباطل إذا نبؤا به أسلموا وخضعوا، فمن هم الجن؟، وكيف اتخذتهم العرب واسطة وهم ممن لا يرى ولا يكلم؟.

- لغة: الجن: جَن الشيء يجنه جنا: ستره، وبه سُمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، وهم خلاف الإنس<sup>1</sup> ويقولون "جن" و"جن" بالميم والحاء-<sup>2</sup>.

- اصطلاحا: نوع من الموجودات اللطيفة غير الكثيفة، الخفية عن حاسة البصر والسمع، منتشرة في أمكنة مجهولة ليست على سطح الأرض ولا في السماوات بل هي في أجواء غير محصورة، مخلوقة من عنصر ناري ولها حياة وإرادة وإدراك خاص بها لا يُدرى مداها، وهي مُغيبية عن الأنظار ملحقة بعالم الغيب لا تراها الأبصار ولا تدركها أسماع الناس إلا إذا أوصل الله الشعور

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج 8، ص 70-70 ومن الباحثين من نسب كلمة الجن إلى الحيشية أو الأعجمية، أو قالوا هو صنم كانت العرب تعبد، جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 706.

<sup>2</sup> عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان، ت. عبد السلام موسى هارون، (دار مصطفى الباجي، ط 2، 1384هـ-1965م)، ج 6، ص 193-195.

بحركاتها وإرادتها إلى البشر على وجه المعجزة خرقاً للعادة لأمر قضاءه الله وأرادته.<sup>1</sup>  
والجن من العالم المميز يأكلون ويتناكحون ويتناسلون، وإنما عرفهم الإنس من الكتب الإلهية وما تخيلوه من آثارهم الخفية<sup>2</sup> وتتألف الجن من عشائر وقبائل، تربط بينها رابطة القرب وصلة الرحم تتقاتل فيما بينها، وبينهم عصبية شديدة كعصبية القبيلة عند الجاهليين، وتراعي حرمة الجوار، وتفظ الذمم والعقود وتعقد الألاف، فكأننا أمام حياة جاهلية مستترة غير منظورة هي حياة جن الجاهليين، وهم مثل البشر فيهم الحضر، والمتنقلة وفيهم من يسير بالنهار ومن يسير بالليل وهم<sup>3</sup> (سراة الجن)، قال الشاعر تأبط شر<sup>4</sup>:

أتو ناري فقلت منون قالوا سراة الجن قلت عموا ظلاماً<sup>5</sup> [الوافر]

الجن عند العرب: هي مخلوقات غير مرئية لكنها قد تظهر لبعض الناس وتكلمهم، والسعلاة اسم الواحدة من نساء الجن<sup>6</sup>، وهي على مراتب فإن ذكروا الجني سالما قالوا: جني، فإن أرادوا أنه ممن سكن مع الناس قالوا: "عامر"، وإن كان ممن يعرض للصبيان وصار خيراً فهم "أرواح"، فإن خبث أحدهم وتعرم فهو "شيطان"، فإن زاد على ذلك فهو "مارد"، فإن زاد على ذلك في القوة فهو "عفريت"، فإن طهر الجني ونظف ونقي كله فهو "ملك".<sup>7</sup>

وأهم مواطن الجن في نظر الجاهليين هي المواضع الموحشة، والأماكن المقفرة التي لا تُطرق إلا نادراً والمحلات التي لا تلائم الصحة، والمقابر والأماكن المظلمة والمهجورة<sup>8</sup> ..

وزعموا أن التناكح والتلاقح قد يقع بين الجن والإنس لقوله تعالى: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ الإسراء 64؛ وذلك أن الجنيات إنما تعرض

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 29، ص 218.  
<sup>2</sup> علي بن محمد الماوردي، أعلام النبوة (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 6، 1140هـ-1986م)، ص 133.  
<sup>3</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 195-709.  
<sup>4</sup> تأبط شر: اسمه ثابت بن عمسّل أو ابن جابر وكنيته أبو زهير، وكان أحد لصوص العرب يغزو على رجليه وحده، وكان إذا جاع نظر إلى الظباء، فينتقي على نظره أسمئها ثم يجري خلفه فلا يفوته حتى يأخذه، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص 312، عبد القادر البغدادي، المرجع السابق، ج 1 ص 137-138.  
<sup>5</sup> ثابت بن جابر، ديوان تأبط شر، ت عبد الرحمن المصطاوي، (دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1424هـ-2003م)، ص 67.  
<sup>6</sup> عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ت عبد السلام موسى هارون، (مكتبة الخانجي بالقاهرة ط 5، 1418هـ-1998م)، ج 6، ص 159.  
<sup>7</sup> الجاحظ، الحيوان، ج 6 ص 190-191-193.  
<sup>8</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 71.

لصرع رجا الإنس على جهة التعشق وطلب السفاد وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم<sup>1</sup> ،  
ويزعمون أن عمرو بن يربوع تزوج من الجن<sup>2</sup> ، وذكروا أن جرهم<sup>3</sup> كان من نتاج ما بين الملائكة  
الملائكة وبنات آدم،  
وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه في السماء أهبطه إلى الأرض في صورة رجل وفي طبيعته  
كما صنع "بهاروت وماروت... فتزوج بعض الملائكة" أم جرهم " فولدت له "جرهما"، ولذلك  
قال شاعرهم:

لا هُمَ إن جُرهُمًا عبادكا الناس طرف وهم تلادكا [الرجز]

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب كانت بلقيس ملكة سبأ، وكذلك كان ذو القرنين  
كانت أمه " فيرى "آدمية وأبوه "عبري" من الملائكة. ولذلك لما سمع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- رجلا  
ينادي: يا ذا القرنين، فقال: "أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة"،<sup>4</sup> وفي القرآن ما  
ما يقويه قال تعالى: ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ الرحمن 74.

وأكثر من ذكر الغول في شعره تأبط شر زعم أنه حين راودها فأبت عليه قتلها وقال في  
ذلك شعرا منه:

فأصبحت والغول لي جارةً فيا جارة أنت مأغولا [المتقارب]

وطالبتها بضعها فالتوت فكان من الرأي أن تقتلا

فجللتها مرفها صارما أبان المرافق والمفصلا<sup>5</sup>

ويزعمون أن للجن قوة وسلطة على الإنس وقد تُلحقُ بهم الموت والخنق والمرض والإستهواء

<sup>1</sup> الجاحظ، الحيوان، ج 1، ص 189.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 6، ص 161-162، محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (دار الكتب العلمية- لبنان، دط، دت)، ج 2، ص 340.

<sup>3</sup> جرهم: بطن من القحطانية كانت منازلهم باليمن، ثم انتقلوا إلى الحجاز فترلوها ثم نزلوا بمكة واستوطنوها، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ص 189.

<sup>4</sup> الجاحظ، الحيوان ج 1 ص 188، محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 2، ص 349.

<sup>5</sup> تأبط شر، المصدر السابق، ص 48-49.

والجنون والمس والصرع، وزعموا أن الجن خنقت حرب بن أمية<sup>1</sup>، ومرداس بن أبي عامر<sup>2</sup>، وخنقت العريض<sup>3</sup> المغني، وأنها قتلت سعد بن عباد، واستهوت عمرو بن عدي<sup>4</sup> و عمارة بن الوليد<sup>5</sup>.

والعرب يقولون إستهوته الشياطين إذا اختطف الجن عقله فسيرته كما تريد وذلك قريب من قوله: سحرته، وهم يعتقدون أن الغيلان<sup>6</sup> هي سحرة الجن، ويقولون أيضاً: استهامته الجن إذا طلبت هيامه بطاعتها، وهي حالة يصاحبها التوحش وذهاب الجنون على وجهه في الأرض راكبا رأسه لا ينتصح لأحد، كما وقع لكثير من مجانينهم ومن يزعمون أن الجن اختطفتهم، ومن أشهرهم عمرو بن عدي الأيادي اللخمي ابن أخت جذيمة بن مالك ملك الحيرة<sup>7</sup>؛ لهذا كانوا إذا نزلوا واديا أو مفازة استعاذوا بهم يقولون: "أعوذ بصاحب هذا الوادي، أو بعظيم هذا الوادي" قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ الجن:6.

ومما يروى أن رجلا استعاذ بالجن في وادٍ نزل به فأكل الأسد ولده فقال:

<sup>1</sup> حرب بن أمية بن عبد شمس كنيته أبو عمرو [36ق هـ—588م]، قرشي من سادات قومه وهو جد معاوية بن أبي سفيان، عاصر عبد المطلب بن هاشم، وشهد حرب الفجار ومات بالشام، وترجم العرب أن الجن قتلته بثار حية، علي المسعودي المصدر لسابق، ج2، ص 141، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 2، ص 172.

<sup>2</sup> مرداس: هو أبو عباس بن مرداس السلمي، علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ( دار الأندلس، بيروت، ط1، 1965 م)، ج2، ص141.

<sup>3</sup> العريض: هو عبد الملك مولى العيلات من مولدي البربر [95هـ—714م] كنيته يزيد أو أبو مروان، لقب بالعريض لجماله ونضارة وجهه، سكن مكة وكان من أصدق الناس في الغناء يضرب بالعود، وينقر بالدف، ويوقع بالقضيب، وقتلته الجن حين غنى أبيات من الشعر نمته قبلاً أن يغنيها، علي المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص 141، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج4، ص 156.

<sup>4</sup> عمرو بن عدي بن الحارث بن مرة (الملقب بجذام): من بني يشجب من كهلان، جد جاهلي، بنوه بطون ضخمة منها غطفان وأفصي، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص82.

<sup>5</sup> عمارة بن الوليد بن سويد بن زيد بن حرام من جذام: جدٌ كانت مساكين بنيه بالحوف من شرقية مصر يعرفون ببني عمارة، الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 302، السويدي، المصدر السابق، ص47، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص36-38.

<sup>6</sup> سُميت غيلانا لأنها تغتاهم، أو لتغولها فيالبلاد وتلونها بغرض إضلالهم، محمود شكري الألويسي، بلوغ الأرب، ج2، ص347.

<sup>7</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 7، ص 299-301، الجاحظ، الحيوان، ج1، ص 302.



قد استعدنا بعظيم الوادي من شر ما فيه من الأعادي [الرجز]

فلم يُجرنا هزير عادي

واستعادوا منها ببعض التمام والرقى حين خافوا على صبيانهم منها أن تصيبهم منها الخطفة والنظرة فعلقوا لهم سن ثعلب وسن هرة، ، وعلقوا كعب الأرنب حتى لا تقربه الجان، وإذا ولدت المرأة أخذوا من دم السمر-شجر الطلح-وهو صمغه الذي يسيل منه ينقطنه بين عيني النفساء وخطوا على الصبي خطأ ويسمى هذا السائل "الدودم" وتسمى هذه الأشياء التي تعلق على الصبي "النفرات"، ويعتقدون بالسففة وهي النظرة من الجن وعالجوها بالتمائم والرقى.

واستعادوا منها بتقديم القربان لها: كان الرجل منهم إذا طال مرضه ظنوا أن به مساً من الجن، فيعمدون إلى جمال من طين وملؤها حنطة وشعيرة وتمرًا ويجعلون تلك الجمال في باب حجر إلى جهة من المغرب وقت غروب الشمس ويبيتون ليلتهم فإن وجدوها صباحاً على حالها قالوا لم تقبل الدية فزادوا فيها، وإن رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من الميرة قالوا قبلت الدية واستدلوا بها على شفاء المريض وضربوا الدف فرحاً<sup>1</sup>؛ وكان أحدهم إذا اشترى داراً أو استخرج عينا ذبح للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنضب العين.<sup>2</sup>

وتملك الجن في زعمهم أن تُعيذهم وأن تشفع لهم لنسب بينها وبين الآلهة قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ الصافات 158، وكان كفار قريش يقولون الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر رضي الله عنه فمن أمهاتهم؟ قالوا بنات سُرّة<sup>3</sup> الجن<sup>4</sup>، ثم زعموا أن الله وإبليس أخوان فالله خالق خالق الناس والدواب والأنعام والخيرات، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشورور...، وهذا مذهب الجوس وكانوا يسمون الزنادقة وأصل الكلمة زندي ثم عُربَ زنديق ثم جمع زنادقة ومذهبهم أن كل ما في هذا العالم من خير فهو "يزدان"، وكل ما فيه من الشر فهو من "أهرمن" وهو المسمى إبليس في شريعتنا<sup>5</sup>، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُمُ

<sup>1</sup> محمود شكري الألويسي، بلوغ الأرب، ج 2، ص 325-359.

<sup>2</sup> محمد نعمان الجازم، أديان العرب، (دار السعادة، مصر، ط 1، 1341هـ-1923م)، ص 126.

<sup>3</sup> سُرّة أي شيء أعلاه وهم أشرف الجن، ابن منظور، لسان العرب، مج 3، ج 23، ص 2001-2002.

<sup>4</sup> جلال الدين السيوطي، لباب النقول، ص 220.

<sup>5</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 119-122.

بَيْنَ وَبَنَاتٍ يَغَيِّرُ عِلْمٌ سُبْحَنَهُ، وَتَعَلَّى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١﴾ الأنعام 100.

وتملك الجن أن تعيدهم أيضا لأنها تكمن فيها قوة خفية خارقة تستطيع التأثير في حياة الناس<sup>2</sup>، ومن عاداتهم أنهم إذا أرادوا مدح من وهبَ قوة قالوا: يا لطيم الشيطان، أو يا ظل الشيطان<sup>3</sup>، ولها قدرة على التشكل وسرعة التنقل، ونظم الكلام البليغ وزعموا أن مع كل شاعر جنيا يلقنه الشعر، وهو ما أتهم به الرسول ﷺ - عندما تلى عليهم القرآن الكريم فقالوا له: ﴿ وَيَقُولُونَ آيَاتِنَا لَتَأْرِكُونَ آيَاتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ الصافات 36، ولهم قصص كثيرة تروى في قرين الشعراء من الجن، ولعله من أجل هذا الاعتقاد تحدى الله الإنس والجن معا حين قال: ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء 88.

#### \*موقف الشرع من عبادة الجن:

يأتي ذكر الجن<sup>4</sup> في القرآن غالبا مقرونا بذكر الإنس: عند الامتنان بالخلق والحكمة منه، أو عند أوامر التكليف، و الوعد بالجزاء أو العقوبة، كما عرضت إلى التعريف بهم وبنوعهم وعلّة خلقهم...

والجن: بحسب ما يستخلص من ظواهر القرآن ومن صحاح الأخبار النبوية وحسنها نوع من المجرّدات أعني الموجودات اللطيفة غير الكثيفة، الخفية عن حاسة البصر والسمع، منتشرة في أمكنة مجهولة ليست على سطح الأرض ولا في السماوات بل في أجواء غير محصورة، ولها حياة وإرادة وإدراك خاص بها لا يُدرى مداه.

<sup>1</sup> ذهب النعالي إلى القول أن شراكة الجن بدعوى علمهم الغيب والاستعاذة بهم وخرق البنين هي دعوى النصارى واليهود، ودعوى البنات من العرب وهم الملائكة، عبد الرحمن النعالي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت علي محمد عوض، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ-1997م)، ج 2، ص 501.

<sup>2</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص704.

<sup>3</sup> جمال الدين القاسمي، مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، (دار المقتبس، دمشق، دط، 132هـ)، ص8.

<sup>4</sup> ذكر لفظ الجن في ثلاثين آية، واقترن بذكر الإنس في عشر آيات، وذكرت قصة ابليس مع آدم في سبع مواضع، والشيطان في سبعين موضعاً، والشياطين في ثمان عشرة آية.

عَرَفْنَا الْقُرْآنَ أَنَّ الْجَانَّ سَابِقُونَ لِلْإِنْسِ فِي زَمَنِ الْخَلْقِ مُخْتَلِفُونَ عَنْهُمْ فِي مَادَةِ الْوُجُودِ ، نَتَجَّ عَنْهُ اخْتِلَافُهُمْ فِي الطَّبَائِعِ وَالْقُدْرَاتِ كَالسَّرْعَةِ فِي التَّنْقَلِ الَّتِي تَمَكَّنُهُمْ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ ، فَيَأْتُونَ بِالْخَبْرِ سَرِيعًا قَبْلَ بَلُوغِهِ الْإِنْسَ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ فِي شَيْءٍ لِأَنَّهُ فِي حَقِيقَتِهِ تَجَسُّسٌ وَتَنَصُّتٌ فِي خَفَاءٍ عَلَى خَوْفٍ وَوَجَلٍ ، وَقَدْ يَعْلَمُ الْإِنْسُ الْخَبْرَ قَبْلَ الْجِنِّ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ الجن 10.

ولهم القدرة على التشكل في صورة حيوان، قال النبي ﷺ: «إِن بِالْمَدِينَةِ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ قَدْ أَسْلَمُوا، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعَوَامِرِ فَلْيُؤْذِنْهُ ثَلَاثًا، فَإِنْ بَدَأَ لَهُ بَعْدَ فَلْيَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ»<sup>1</sup>، ولهم تذوق للكلام، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ الجن 1.

وقد يعتدون على الإنس بالمس أو الترغ، وهذه القدرات لا تمنحهم سلطة التحكم في الإنس، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَنٌ إِلَّا مَنْ آتَبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الحجر: 42، بل يذهب القرآن ليروي لنا أن الجن كانت جنداً مسخرة للإنس - للنبي سليمان عليه السلام - وأن سبب وجودهم عبادة الله ، فهم مكلفون كالإنس موعدون بالجنة جزاء إن صنعوا خيراً مُتَوَعَّدُونَ بالنار إن كفروا وعملوا شراً.

أمّا قصص العرب حول قوة الجن والغيلان وتسلطهم عليهم، أو ما يزعمه شعراؤهم وأبطالهم من مناجازاتهم ومحاربتهم لها مردها إلى التوحش والتزول بالفلاة وتشابه الأصوات عليهم، فإذا استوحش الإنسان تمثل له الصغير في صورة الكبير وارتاب ذهنه وتفرق، فرأى ما لا يرى وسمع ما لم يسمع وتوهم على الشيء الصغير الحقيق أنه عظيم جليل، ثم تناشدوا ما تخيلوه شعراً يُروى حتى آمنوا به ونشأ عليه الصغير، وقد يجتمع لبعضهم مع قهياته خلق الكذب والتشنيع فيقول رأيت الغول، وسمعت السَّعْلَةَ، ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول قتلتها، ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول رافقتها ثم يتجاوز ذلك إلى أن يقول تزوجتها.. ويُسمعونها للأعراب والعوام الذين لا يتوقفون ويتثبتون من صدق الحديث وكذبه...<sup>2</sup> فتذيع في الناس وتصبح عقيدة بل من المسلمات.

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، مج2، ص 1065، [رقم 2236].

<sup>2</sup> الجاحظ، الحيوان، ج 6، ص 248-256، علي بن الحسين المسعودي، المصدر السابق، ج 2، ص 139 بتصرف يسير

ج- عبادة العرب للحيوان: ﴿وَأَمْرُهُمْ فَيُبَيِّتُكُمْ أَذَانَكُمُ الْأَنْعَامِ وَلَا مُرْتَبَهُمْ فَيُغَيِّرُكُمْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ النساء 119.

للحيوان في نظر العربي قوة جسمية وروحية تملك التأثير فيه، لأنه موطن لتناسخ الأرواح ووقاية له من العين والجحان الذي قد يكون هو نفسه أحد صورها، فعبداً خوفاً وطمعاً، وقدم قرباناً ونذراً، ولهم مذاهب في تقسيم الأنعام التي يقربونها.

وأصل عبادة الحيوان الاستجابة لداعي القوى الشيطانية، قال تعالى على لسانه: ﴿وَأَمْرُهُمْ فَيُغَيِّرُكُمْ خَلْقَ اللَّهِ﴾ النساء 119، وهذا التغيير في أنعامهم بتحريمهم الانتفاع بها على الوجه التالي:

أولاً: عينوا شيئاً من حرثهم وأنعامهم وقالوا لا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدمة الأوثان والرجال دون النساء.

ثانياً: وأنعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي.

ثالثاً: أنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح إنما يذكرون عليها أسماء الأصنام، وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون.

رابعاً: كانوا يقولون ما في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الإناث، وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والإناث.<sup>1</sup>

كان على الصفة التالية:

- البحيرة: من قول القائل: بَحَرْتُ أُذُنَ الناقةِ إذا شقها؛ كانت الناقة إذا تُبِتَتْ خمسة أبطن إن كان الخامس سقياً- ذكراً- ذُبِحَ فأكله الرجال دون النساء، وإن كانت ميتة اشترك فيه ذكراًهم وإناثهم، وإن كانت حائلاً- أنثى- تُرِكَت فَبِتَكَتْ أُذُنُهَا فلم يُجَز لها وبرٌّ، ولم يُشْرَبْ لَهْل لَبْنٌ ولم يركب لها ظهرٌ، ولم يُذَكَّرْ لله عليها اسم، قال تعالى على لسانهم: ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعِمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حَرَمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا

أَفْتَرَاءٌ عَلَيْهِ﴾ الأنعام 138، فهو صنف محجر على مالكة انتفاعه به، وإنما ينتفع به من يعينه المالك فقد كانوا يعينون من أنعامهم وزرعهم وثمارهم شيئاً يحجرون على أنفسهم الانتفاع به

<sup>1</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 219.

ويعينونه لمن يشاؤون من سدنة بيوت الأصنام وخدمتها فتنحر أو تذبح عندما يرى من عُيّن له ذلك فتكون لحاجة الناس والوافدين على بيوت الأصنام وإضافتهم<sup>1</sup>.

-السائبة: الرجل يسيب من ماله ما شاء على وجه الشكر، إن كثر ماله أو برأ من وجع، أو ركب ناقة فأنجح، فإنه يسمى السائبة، يرسلها فلا يعرض لها أحد من العرب إلا أصابته عقوبة في الدنيا أو قالوا هي الناقة إذا ولدت عشر إناث من الولد ليس بينهن ذكر، سيبت فلم تتركب ولم يُجزر وبرها، ولم يحل لبنها إلا لضيف.

-الوصيلة: كانوا إذا ولدت الناقة الذكر، أكله الذكور دون الإناث، وإذا ولدت ذكراً وأنثى في بطنٍ قالوا وصلت أحاهن فلا يأكلونها، فإذا مات الذكر أكله الذكور و الإناث، قال تعالى على لسانهم ﴿ مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ الأنعام 139.

والوصيلة من الغنم: أن تلد الشاة خمسة أبطن أو سبعة، فالأخير إذا كان ذكراً دجوه لبيوت الطواغيت وإن كانت أنثى استحيوها للطواغيت، وإن أنامت استحيوها جميعاً، وقالوا: وصلت الأنثى أحاهن فمنعته الذبح.

وعن ابن اسحاق: الوصيلة الشاة تنثم قي خمسة أبطن عشرة إناث فما ولدت بعد ذلك فهو للذكور منهم دون النساء إلا أن يموت شيء منها فيشترك في أكله الرجال والنساء.

-الحام: الفحل من الإبل يضرب في الإبل عشر سنين إذا ولد ولده قالوا: حمى هذا ظهره، فلا يحملون عليه شيئاً ولا يجزون له وبراً ولا ينحر أبداً، ولا يمنعونه من حمى رعي، ومن حوض يشرب منه، وإن كان الحوض لغير صاحبه.

وخلاصة أحكامهم الفاسدة أنهم قسموا الأنعام أقساماً:

أولها: عينوا شيئاً من حرثهم وأنعامهم وقالوا إلا يطعمها إلا من نشاء يعنون خدمة الأوثان والرجال دون النساء.

الثاني: وأنعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي.

الثالث: أنعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح إنما يذكرون عليها أسماء الأصنام، وقيل لا

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج8، ص106

يحجون عليها ولا يُلبون .

الرابع: كانوا يقولون ما في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الإناث، وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والإناث.<sup>1</sup>

وقد اختلفوا في معان هذه الأسماء على أقوال شتى ولو استقصيناها لطال الأمر وخرج عن القصد، قال الطبري مُعلّقا بعد أن أحصاها: "وغير ضائر الجهل بذلك إذا كان المراد من علمه المحتاج إليه موصلا إلى حقيقته، وهو أن القوم كانوا يُحرمون من أنعامهم على أنفسهم ما لم يجرمه الله، اتباعاً منهم خُطوات الشيطان فوبخهم الله تعالى ذكره بذلك، وأخبرهم أن كل ذلك حلال، فالحرام عندنا كل ما حرم الله ورسوله بنص أو دليل والحلال منه ما حلله الله ورسوله".<sup>2</sup>

ولم تكتف بعض القبائل بتقديم الأنعام للآلهة كقربان وندور بل تجاوزتها إلى عبادتها والتبرك بها ومنهم "بنو إباد"<sup>2</sup>، و"قبيلة طيء"، وقد جاء وفد منها للنبي ﷺ فنظر إليهم وقال: «إني خير لكم من العزّى ولائها ومن الجمل الأسود الذي تعبدونه من دون الله ومما حازت مناع-جبل طيء- من كل ضار غير نفاع»<sup>3</sup>؛ وسبب عبادتهم الإبل اعتقادهم أن فيها عرقا من سفاد الجن وأن الإبل الوحشية من نسل إبل الجن وسموها "النفار" و"السّعالى" و"العفاريت" و"الغيلان" و"الدواهي" ويزعمون أن الجن ركبتها وأن الحية كانت في صورة جمل فمسخت، ولاعتقادهم أن الجن تتشكل بالحيوان قدسوها بأخذ تعاويذ وتائم من بعض أعضائها وامتنعوا عن قتلها وصيدها.<sup>4</sup>

وزعموا أن الإبل تبعث مع صاحبها في حياة أخرى ليركبها، لهذا إذا مات رجلٌ منهم تُعقلُ ناقةٌ عند القبر فلا تطعم ولا تسقى حتى تموت؛ وكانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس إلى مؤخرها مما يلي ظهرها أو مما يلي كلكلها وبطنها ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة

<sup>1</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 219.

<sup>2</sup> بنو إباد: بطن عظيم من العدنانية من مساكنهم الجزيرة، كندة، الموصل، أنقرة، كانت لهم كعبة بسنداد تدعى كعبة شداد يعبدونها ثم تنصروا ثم أسلموا والعرب تعلمت الخط منهم وله معلم بأخبار طسم وجديس، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج 1، ص 52-55.

<sup>3</sup> عبد الرحمن السهيلي، المصدر السابق، ج 4، ص 359، علي الدين محي الدين، المقال السابق، ص 161، محمد نعمان الجارم، المرجع السابق، ص 124-125.

<sup>4</sup> حليلة خالد رشيد الصالح، الجن في الشعر الجاهلي، إشراف إحسان الديك، رسالة ماجستير، جامع النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2004م، ص 178-191.

ويتركونها حتى تموت عند القبر، ويسمون الناقة "بليّة" والخيط الذي تُشدّ به ولية، ومن مات ولم يبل عليه حُشيراً ماشياً.<sup>1</sup>

-اعتقادهم بأن القوة التي يملكها الحيوان بإمكانها الانتقال للإنسان بأكل فؤاد الأسد مثلاً<sup>2</sup> ليكتسب شجاعته، وبالتسمي بأسماء الحيوانات تفاؤلاً أو تنفيراً-لثلاً يصيبه عين أو مس-فتسمت بطون وعشائر وقبائل بأسماء حيوانات، وأشهر قبيلة عند العرب اسمها "كلب بن وبرة" واسم أحد ملوكهم "كليب"، و"بنو كلب بن ربيعة"، و"بنو يربوع بن حنظلة"، و"عكرمة" وهي أنثى الحمام، والعنيس وهو (الأسد)، و"العنابس" من قريش هم أولاد أمية بن عبد شمس، و"الأوس" وهو الذئب، والثعلب (بنو ثعلب)، وكانوا يفقّون عين الثور إذا بلغت ألفاً دفعا للعين، ويكفون الأنعام الصحيحة لتبرأ العليّة...

-اعتقادهم بتناسخ الأرواح وانتقالها من البشر إلى الحيوانات، كالهامة والصدى وهو أنه إذا مات الإنسان أو قُتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته فاتتصب طيراً هامة فيرجع إلى القبر كل مائة سنة<sup>3</sup>، كما اعتقدوا أن بعض هذه الحيوانات كالديك، والغراب، والحمامة، والورل، والقنفذ، والظبي، واليربوع، والنعام، والحية، هي صور للجن أو مراكب لها.<sup>4</sup>

-وكانوا يعتقدون بالمسخ، وهو تحويل صورة إلى أخرى أقبح منها، كتحويل الإنسان إلى حيوان أو حجر، ولهم اعتقاد في مسخ الأطفال، وتبديل الجن لها بأولاد من ذوي العاهات.<sup>5</sup>

يظهر مما سبق أن الباعث على عبادة الحيوان كان الخوف الممزوج بالاعجاب والرهبة من قوة المخلوق العجيبة ثم تطورت الفكرة في الحيوان، فصار يمثل المعبود والصورة المادية للصفات المقدسة، فكان من ذلك أن صار الثور والكبش بما لهما من مقدرة عظيمة على الإنتاج يمثلان بعض آلهة الطيبة والبعث من كل عام، ولم يكن في مقدرة المعبودات أن تحتفظ بالحياة الدائمة إلا بانتقال الأرواح من جسد إلى جسد.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> الشهرستاني، المصدر السابق، ص 500، محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 2، ص 307.

<sup>2</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 2، ص 323.

<sup>3</sup> الشهرستاني، المصدر السابق، ص 462.

<sup>4</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 2، ص 360.

<sup>5</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 6، ص 817.

<sup>6</sup> علي الدين محي، المقال السابق، ص 154.

**\*\*موقف الشرع من عبادة العرب للحيوان:**

- جاء موقف القرآن مُستتكرًا لهذه الفرية ذامًا لأصحابها، حاكمًا عليهم بالخسران والضلال  
قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ ءَآلَهُ أَذِنَ  
لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ يونس 59.

- ومُستأثلاً عن أصل هذا التشريع أهو الله وبلغ به من؟ قال تعالى ﴿ قُلْ ءَالِدُكَرِينَ حَرَّمَ  
أَمْ الْإِنْسِيَيْنِ أَمْآ أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإِنْسِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا  
فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ  
﴾ الأنعام 144.

- ومُعَلِّناً أنه: صاحب الحق في التحليل والتحریم، ناسخاً ما كان عليه العرب من تشريعات  
باطلة تُسبب إليه افتراء عليه، وأنه لا اعتبار للنية ولو شرفت الغاية فقد همَّ بعض أصحاب رسول  
الله ﷺ أن يجرموا على أنفسهم ما أحل الله لهم، وإنما كان قصدهم بذلك الانقطاع إلى الله عن  
الدنيا وأسبابها وشواغلها، فأنزل الله: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا  
تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ المائدة 87.

وهو دليل على أن تحريم ما أحل الله وإن كان بقصد سلوك طريق الآخرومهي عنه، فما  
ظنك به إذا قصد به التغيير والتبديل كما فعل الكفار، أو قصد به الابتداء في الشريعة، وتمهيد  
سبيل الضلالة، وسواء كان الغرض منه التقرب لله أو ارضاء للبشر فالحرمة فيه سواء، قال تعالى  
مُعَاتَبًا لِنَبِيهِ حِينَ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ عَسَلًا ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ﴾  
التحریم 1.

- ولا تنكر الشريعة أن الله منح الحيوان قدرة على رؤية أشياء لا يراها الإنسان، ولها لغة  
تتحدث بها، لا يستطيع الإنسان فهمها إلا من خصه الله من نبي أو مرسل، كما قص علينا ما  
كان من بعض أخبار سيدنا سليمان ﷺ - مع الهدهد والنمل، ورؤيته للجان وتسخيره لهم.  
والنبي ﷺ يخبرنا أن من الحيوان من يرى الجان ومنهم من يرى الملائكة، قال ﷺ: « إذا سمعتم



صياح الديكة فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكا، وإذا سمعتم نقيق الحمام، فتعودوا بالله من الشيطان، فإنها رأت شيطانا»<sup>1</sup>.

-ولا ينكر أن بعض الحيوان صور للجان كالثعابين مثلا، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ:

«إن بالمدينة نفرا من الجن أسلموا فمن رأى شيئا من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له فليقتله فإنه شيطان»<sup>2</sup>.

-وجوب التوقف عند حدود النصوص الشرعية، وعدم مجاوزتها بالاجتهاد في محاولة لترجمة لغة الحيوان وربطها بحياة الناس لأنها تؤدي إلى الشرك بالله، والنظر إليها على أنها مُسَخَّرَةٌ للإنس.

الفرع الثالث: مظاهر الإشراك في عبادة القوى البشرية: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ الشورى 21.

١- عبادة العرب للبشر: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ الأحزاب 67.

مما ألفتها الناس وجبلت عليه النفوس توقير الكبير وتسويده لأنه مظنة الحكمة وسداد الرأي، ولا يسود الرجل في قومه حتى يجمع من الصفات ما به يُحْرَزُ التقدم وتجب له الطاعة، التي قد تصل إلى درجة التعظيم أحيانا كما كان عليه العرب في الجاهلية من تقديس سيد القوم في جميع أحواله حياً وميتاً، صحيحاً وعليلاً، حُرّاً و أسيراً الشرف في ذاته يَرِثُهُ كما يزعمون ولفضل منه يكسبه بصنيعه في الناس وما يشهدون.

فمن الأول اعتقادهم في الرجل المسن أنه مُجَاب الدَّعْوَة<sup>3</sup>، وأن دم رئيس القبيلة يشفي من عضة كلب الكلب لشرف دمه، قال الكُمَيْت<sup>4</sup>:

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الدعاء عند صياح الديك، مج 2، ص 1253، [رقم 2729].

<sup>2</sup> صحيح مسلم، كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها، ج 2، ص 1065، [رقم 2236].

<sup>3</sup> محمد إبراهيم فيومي، في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام، ص 223.

<sup>4</sup> هو الكُمَيْت بن زيد بن الأحنس [160-226هـ] المضري، شاعر أموي مقدم عالم بلغات العرب خبير بأيامها، شديد التكلف في الشعر كثير السرقة، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 581-582، الكُمَيْت بن زيد الأسدي، ديوان، ت محمد نبيل طريفي، (دار صادر، بيروت، ط 1، 2000م)، ص 7-8.

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب<sup>1</sup> [البيسط]

وإن أُسِرَ - سيدهم - فديته ألف بعير لا يتساوى مع غيره، وإن أُصِيب بمرض حمله الرجال على أكتافهم يتعاقبونه لأنه عندهم أوطأ من الأرض.<sup>2</sup>

فإن مات بقي له من كرامته زعمهم أن المرأة المقلات (التي لا يعيش لها ولد) إذا وطئت قتيلا شريفا عاش أولادها، قال بشر بن أبي حازم:<sup>3</sup>

تَظَلُّ مَقَالِيْتُ النِّسَاءِ يَطَانُهُ يَقْلُنَ أَلَا يُلْقَى عَلَى الْمَرْءِ مِثْرُهُ<sup>4</sup> [الطويل]

وفي قريش ساد "عمرو بن لحي" على قومه فجعلته العرب ربا لا يتدع بدعة إلا اتخذوها شرعة، وزعموا أن له الحق في ما يأمر وينهى بنفسه وليس فوقه سلطة قاهرة يحتاج إلى الرجوع والاستناد إليها.

وهو أول من بدل دين قريش ومال بهم من الحنفية إلى الشرك وعبادة الأوثان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ: «يقول لأكنتم بن الجون الخزاعي: يا أكنتم، رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار، فما رأيت رجلا أشبهه برجل منك به، ولا بك منه فقال أكنتم: عسى أن يضربني شبهه يا رسول الله؟ قال: لا، إنك مؤمن وهو كافر، إنه كان أول من غير دين اسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة، وحَمَى الحامي».

وذلك أن عمرو بن لحي خرج من مكة إلى الشام في بعض أموره، وكان قد مرض مرضا شديدا فقبل له إن بالبقاء بالشام حمة إن أتيتها برأت، فأتاها فاستحم بها فبرأ وبها يومئذ العماليق رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فطمطرننا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم أفلا تُعْطُونِي مِنْهَا صنما، فأسير به إلى أرض العرب فيعبده؟ فأعطوه صنما يقال له "هبل" فقدم به مكة، فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه.

<sup>1</sup> الكميت بن زيد الأسدي، المصدر السابق، ص 19.

<sup>2</sup> محمود شكري الألويسي، بلوغ الأرب، ج 3، ص 20.

<sup>3</sup> بشر بن أبي حازم: شاعر جاهلي قدم من بني أسد، شهد حرب أسد وطيء، كان يهجو "أوس بن حارثة"، فأسرته بنو نبهان فاستوهبه "أوس" منهم وكان نذر ليحرقنه إن قدر عليه، فقالت له أمه، قبح الله رأيك أكرم الرجل وخل عنه فإنه لا يحجو ما قال غير لسانه ففعل، فجعل "بشر" مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص 270-271.

<sup>4</sup> بشر بن أبي حازم، ديوان، ت عزة حسن، (دار إحياء التراث، دمشق، دط، 1379هـ-1960م)، ص 88.

يظهر مما تقدم أن أول منشأ الشرك ليس عبادة الأصنام، بل عبادة الأسياد، وطاعته في تشريعه ما ليس من صلاحيته واتباع الناس له، وقد كان "عمرو بن لحي" واثقا من استحابة القوم له حين قال تعبدوا العرب ولم يقل "أعبدوا العرب" بالرغم من أنه مستورد لثقافة دينية جديدة والأصل في الجديد غالبا أن ينقسم فيه الناس بين مؤيد ومعارض، بين مُحافظ مُنكرومُدبر، وبين مرحب مُقبل، وما بينها رجل محجم، مُتفكر لم يحسم أمره من أي الفريقين هو، لكن العرب أطاعته ولم يختلفوا عليه.

لأنه رجل جمع بين الشرف والمكانة وبين الغنى القوة: وبلغ في مكة وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله ولا بعده في الجاهلية وهو الذي قسم بين العرب في حطمة<sup>1</sup> حطموها عشرة آلاف ناقة وقد كان أعور عشرين فحلاً، وكان أول من أطعم الحاج بمكة سدائف<sup>2</sup> الإبل ولحماتها على الثريد وعم في تلك السنة جميع حاج العرب بثلاثة أثواب من بروداليمن وكان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب وكان قوله فيهم دينا متبعا لا يخالف وهو الذي بحر البحيرة ووصل الوصيلة وحمل الحام وسيب السايبة ونصب الأصنام حول الكعبة، وجاء بهبل من هيت بأرض الجزيرة فنصبه في بطن مكة فكانت قريش العرب تستقسم عنده بالأزلام.

ولم يسُدْ آخِراً في ماله حتى سادَ أولاً بقوته فهو الذي حارب جُرْهُماً فظفر بهم وأجلاهم عن الكعبة، ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة البيت بعدهم.

فإن لم يفتنهم برأيه فتنهم بقوته وماله ولسان حالهم لو لم يكن له عند الله حظوة لما كان هذا حاله "إنه لذو حظ عظيم"؛ وهذا مردّه إلى ضعف في التعليل و عدم القدرة على فهم الارتباط بين العلة والمعلول.. لذا لا يرى عقله بأسا من أن يعتقد أن دم الرئيس يشفي الكلب.. ولا يستنكر شيئا لأن القبيلة تفعل، لأن منشأ الاستنكار دقة النظر وهذه الدرجة لا يصل إليها العقل في طوره الأول<sup>3</sup>.

### \*\*موقف القرآن من عبادة العرب للبشر :

قد عرفنا سبب طاعة القوم لعمرو بن لحي فما هو دافعه لتغيير دين التوحيد والإقبال على

<sup>1</sup> الحُطمة: السَّنة الشَّديدة الجذب لأنها تحطم كل شيء تكسره، ابن منظور، لسان العرب، مج 2، ج 11، ص 916.

<sup>2</sup> السديف لحم السنام، ابن منظور، لسان العرب، مج 3، ج 22، ص 1974.

<sup>3</sup> إبراهيم شمس الدين، موسوعة قصص العرب (دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1423هـ-2002م)، ج3، ص250.

الشرك؟، لعلّه هو الآخر مرّ بضعف تعليل علاجه من مرضه بأرض رضي الله عنها لأنها تعبد فيها الأصنام فكان شكره لله أن قدم بها الى العرب ليعبدوها، أو بضعف تعليل شهوة السلطان والملك بابتداع ما لم يكن فيعلو ذكره وتزهو به بنفسه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ الأنعام 119، وقد قيل إنه كان له رأي من الجن فتمثلت له وأمرته بهذا.

٢- عبادة العرب للكهان، قال تعالى: ﴿فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ الطور 29.

- لغة: الكاهن أو العراف أو المنجم أو الحازي الذي يدعي علم الغيب الذي استأثر الله بعلمه.<sup>1</sup>

- إصطلاحاً: الكاهن هو الذي يتحل معرفة ما سيحدث وما خفي مما هو كائن ويخبر به بكلام ذي أسجاع قصيرة<sup>2</sup> وهي الصفة الملازمة لهم، وإنما كره في هذا الموضع دون غيره لأنهم يروجون أفاويلهم الباطلة بأسجاع تروق السامعين ويستميلون بها قلوبهم، ويستصغنون إليها أسماءهم.<sup>3</sup>

ومصدر تكهنهم:

أ- استراق الشياطين السمع لهم ثم إخبارهم، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ \* تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ \* يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْتُرُهُمْ كَذِبًا﴾ الشعراء 221-223، فلا يقوي الكاهن على الكمال في إدراك المعقولات لأن وحيه من الشيطان، وأرفع أحوال هذا الصنف أن يستعين بالكلام الذي فيه السجع والموازنة ليشغل به عن الحواس فربما صدق ووافق بعض الحق وربما كذب لأنه يتمم نقصه بأمر أجنبي عن ذاته المدركة ومباين لها غير ملائم فيعرض له الصدق والكذب جميعاً، وربما يفزع الى الظنون والتخمينات حرصاً على الظفر بالإدراك بزعمه وتوحيها

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج4، ج32، ص 2898.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 27، ص 60.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج5، ج 40، ص 3590.

على السائلين.<sup>1</sup>

ب- حديث النفس وتوهماتهما: سأل رجال النبي ﷺ عن الكهان فقال: «ليسوا بشيء»، فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثوننا أحيانا بشيء فيكون حقاً، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنُّ فيقرأها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة».<sup>2</sup>

ج- ومنهم من كان يزعم أنه يعرفُ الأمور بمقدمات أسبابٍ يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله، وهذا يخصونه باسم العراف كالذي يدعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة.<sup>3</sup>

د- وأربطه بين حركات الكواكب والأنواء وحياة الناس وما تعتريه من سعادة أو تعاسة، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «بينما نحن جلوس ليلة مع رسول الله إذ رُمي بنجم فاستنار فقال لهم رسول الله: ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رمي بمثل هذا؟ قالوا الله ورسوله أعلم كنا نقول: ولد الليلة رجل عظيم ومات رجل عظيم فقال رسول الله ﷺ: فإنها لا يُرَمَى بها لموت أحدٍ ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اسمه إذا قضى أمراً سبَّح حَمَلَةُ العرشِ، ثم سبَّح أهلُ السماء الدنيا، ثم قال الذين يُلَوْن حَمَلَةَ العرشِ لحملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال فَيَسْتَخْبِرُ بَعْضُ أهلِ السماوات بعضاً حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا، فتخطفُ الجن السَّمْعَ فيَقْدِفُونَ إلى أوليائهم، ويرمون به، فما جاؤوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يقرؤون فيه ويزيدون».<sup>4</sup>

وكان العرب يأتون الكهان والعراف ويتحاكمون إليهم ويرضون بقضائهم، كما في قصة "عبد المطلب" عندما أراد ذبح ولده "عبد الله" فمنعته العرب وأمره أن يتحاكم إلى عرّاف بالحجاز تدعى "قطبة أو سجاح"، فأتاها فلقبها بخبير وقص عليه نذره أن يذبح أحد ولده إن رزقه الله عشر ذكور، فقالت له انتظر حتى يأتيني تابعي فأسأله، فأشارت عليه بافتدائه بالإبل حتى

<sup>1</sup> عبد الرحمن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ت خليل شحادة، (دار الفكر، بيروت، دط، 1421هـ-2001م)، ج1، ص 126.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الكهانة، ج4، ص47، [رقم 5762]، صحيح مسلم، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، مج2، ص1061، [رقم 2228].

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج5، ج43، ص3950.

<sup>4</sup> صحيح مسلم، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، مج2، ص1062، [رقم 2229].

ترضى الآلهة ففعل<sup>1</sup>، وكقصّة "هند بن عتبة" عندما أُثِمت في عرضها من زوجها "الفاكهة" فاتوا كاهناً من اليمن ليقضي بينهم فبرأها من الزّنى وتبأ لها بأها ستلدُ ملكاً، فقال لها: "أهضي غير رَسْحَاءٍ ولا زانية وتلدن ملكاً".<sup>3</sup>

أو طلبا للاستشفاء بفضل ما يملكون من قوة سحرية<sup>4</sup>: وقد كان في العرب قبل البعثة عدة كهنة تعتمد العرب كلامهم، اشتهر من الرجال منهم "شيق وسطيح"<sup>5</sup> وومن أكهن العرب وأسجعهم "سلمة بن أبي حيّة"، وهو الذي يقال له عُزى سلمة<sup>6</sup> و"صاف بن صياد"، و"خَطْرُ بن مالك"، ومن النساء: "العَيْطَلَّة" الكاهنة من بني مرة بن عبد مناة، و"فاطمة بنت النعمان التجّارية" وكان لها تابع.<sup>7</sup>

اتهم العرب النبي ﷺ بأنه كاهن يأتيه الخبر من السماء بإلقائه السمع للشياطين، فكان الردُّ مُفْجِماً لهُم ومبهما من عدة وجوه، وكانت المقابلة التي جاء بها الله عزوجل في سورة الشعراء في التفرقة بين خبر الكُهّان و خبر الوحي:

-المصدر والواسطة: خبر النبي ﷺ من الله بواسطة الملك كجبريل - السّكّيت - ﴿وَلَئِنَّهُ لَنَزِيلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

\* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ \* ﴿الشعراء 192.

<sup>1</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص 154-155، ابن سعد، المصدر السابق، ج 1، ص 69.

<sup>2</sup> الرَّسْحُ: خفة الأليتين ولصوفهما، رجل أرسح قليل لحم العجز والفخذين وأمرأة رَسْحَاءُ، ابن منظور، لسان العرب، مج 3، ج 19، ص 1640.

<sup>3</sup> صبح الأعشى، ج 1، ص 397، الطبري، التاريخ، ج 2، ص 525-526، و مما قال حسان بن ثابت يهجو به هنداً: ونسيت فاحشة أتيت بها ياهندُ ويحك سبّة الدّهر

زَعَمَ الْوَالِدُ أَنَّمَا وَكَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عَهْر

<sup>4</sup>، علي الدين محي الدين، المقال السابق، ص 153.

<sup>5</sup> شق: وكان شق نصف إنسان ولذلك قيل له شق، له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة هو ابن خالة سطيح الكاهن، أما سطيح فكان جسداً ملقى لا جوارح له، وكان وجهه في صدره، ولم يكن له رأس ولا عنق، ولا يقدر على الجلوس إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس وكانا من أعاجيب الدنيا وفتح عليهما في الكهانة ما هو مشهور عنهما وكانت ولادتهما في يوم واحد، في اليوم الذي ماتت فيه الكاهنة "طريفة ابنة الخير الحميرية" بعد دَعَتْ بِمَا وَتَفَلَّتْ فِي فِيهِمَا وزعمت أنهما سيخلفانها في علمها وكهانتها، شمس الدين أحمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، دط، دت) ج 2، ص 230، 231.

<sup>6</sup> عمر بن بحر بن الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 358.

<sup>7</sup> عبد الرحمن السهيلي، ج 1، ص 360-361.

أما خبّر الكاهن فبواسطة استراق الشيطان للسمع، وتدل كلمة الإستراق نفسها على عدم التيقن من صحة الخبر، فالذي يسترق السمع يكون على سرعة ووجل خصوصا إذا كان هناك خوف متوقع من رجم، مع وجود عازل يمنع من توثق الخبر، لا يستوي هذا مع من يُلقى إليه السمع ويُكلفُ بحملها.

-الفصاحة والبيان في القول، قال تعالى: ﴿يَلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ الشعراء 195، وخبير الكاهن متكلف للسمع، كقول أخطر: والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا في خلقه هيش، يكون في جيش، وأي جيش، من آل قحطان وآل أيش..<sup>1</sup>

-صدق الوحي أصالة وواقعا، قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ الشعراء 197، وكذب الكاهن، قال تعالى: ﴿هَلْ أَنْبَأَكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ \* تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ \* يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ الشعراء 221-223.

-علاقة النبي ﷺ بالشيطان قائمة على العداوة واللّعن: لأنه سبّه وشتمه، فلا يمكن أن يكون بإلهامهم، ولكنهم لما لم يستطيعوا فهم أسرار نظمه قالوا إنه من كلام الكهان.<sup>2</sup>

-الهدف من هذا العلم: الخبر من القرآن فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما الخبر من الشياطين فمن أجل الإضلال والإفساد<sup>3</sup>، ومن الكاهن من أجل كسب المال والجاه.

### \*\*موقف الشرع من عبادة العرب للكهان:

حرم الكهانة وكسب الكاهن وأعلم الناس أن السماء ملئت حرساً ومنع الشياطين من إستراق السمع قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ﴾ الشعراء 212، وإن زعم بعضهم أن هذه الكهانة انقطعت في زمن النبوة بما وقع من شأن رجم الشياطين، وأهم مُنعوا من أخبار البعثة ولم يمنعوا من سوى ذلك، ثم عادت إلى ما كانت عليه.<sup>4</sup>

ولكن معنى الآية (وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع) ... ومعلوم أنه قبل بعثة

<sup>1</sup> عبد الرحمن السهيلي، المصدر نفسه، ج 1، ص 363.

<sup>2</sup> أحمد مصطفى المراغي، المرجع السابق، ج 29، ص 61.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 19، ص 104.

<sup>4</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المصدر المرجع، ج 1، ص 127.

النبي ﷺ لم يكن هناك قرآن ولا وحي يتلى فدل على أنهم منعوا من مطلق السمع، وقد قال بعض كهانهم وهو أخطر بن مالك:

يا معشر بني قحطان      أخبركم بالحق والبيان  
أقسمت بالكعبة والأركان      والبلد المؤمن السُدَّان  
لقد مُنِعَ السمع عتاة الجان      بثاقب بكُف ذي سلطان  
من أجل مبعوث عظيم الشأن      يبعث بالتريل والقرآن

وردها عقلا: ادعاء علم الغيب باطل من وجهين:

-المشاهدة توجب أن فيما يخبروننا به تقع بعض المخالفات فيه والأخطاء، ولو كانت غيباً حقا ما أمكن خلافها.

-وعلم الغيب لا يقوم على دليل من خط أو زجر أو تطير، وإنما الغيب وعلمه أن يخبر المرء بالخبر دون صناعة من شيء مما ذكرنا فيصيب في الجزء والكل، ولا يكون هذا إلا لني<sup>1</sup>.

### ٣- عقيدتهم في التطير، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَيَمْنُ مَعَكَ﴾ النمل 47.

-لغة الطائر: الحظ من الخير والشر؛ وهو ما تيمنت به أو تشاءمت، وأصله في ذي الجناح، وهو ما يتشاءم به من الفأل الرديء.

وقيل للشؤم: طائرٌ وطيرٌ وطيرةٌ لأن العرب كان من شأنها عيافة الطير وزجرها والتطير ببارحها وتعيق غرابها وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها فسموا الشؤم طيرا وطائرا وطيرة لتشاؤمهم به<sup>2</sup>.

-إصطلاحا: الطيرة مشتقة من أحد أمرين:

- 1- إما من الطيران فكأن الذي يرى ما يكره أو يسمع يطير.
- 2- وإما من الطير: إذ كانت العرب تزجر الطير والوحش، أي تُنفِرُها وترسلها وتتفائل

<sup>1</sup> علي بن أحمد بن حزم، المصدر السابق، ج 5، ص 150.

<sup>2</sup> ابن منظور، مج 4، ج 31، ص 2736-2737، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14، ص 224.



أو تتشامم بها<sup>1</sup>.

ثم أطلق على كل ما يتوهم أنه سبب في لحاق الشر، سواء كان مسموعاً أو مرئياً، وسواء كان طيراً أو حيواناً أو جماداً، أو زماناً أو مكاناً أو شخصاً أو نباتاً، أو عددًا أو نحو ذلك...

والزجر والطيرة: بمعنى واحد، وأصله أنهم كانوا إذا أرادوا فعل أمر أو تركه زجروا الطير حتى يطير؛ وكانت العرب تتيمن بالسانح: وهو الذي يأتي من ناحية اليمين، وتتشامم بالبارح وهو الذي يأتي من ناحية الشمال، وكانوا يستدلون بمجاوبات الطيور بعضها على أمور، وبأصواتها في غير أوقاتها المعهودة على مثل ذلك<sup>2</sup>، ومن ثم سُميت الطيرة أخذًا من اسم الطير، وأكثر ما عولوا عليه الغراب وهو المقدم في الشؤم عندهم، والعامّة تتطير منه إذا صاح صيحة واحدة، فإذا ثنى تفاءلت به ويسمونه غراب البين لأنه لا يعترى المنازل إلا إذا بانوا منها، ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والاعتراب والغريب،<sup>3</sup> قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ المائدة 31، وإنما اختير الغراب لأن الدفن حيلة فيه، ولمناسبة ما يعترى الناظر إلى سواد لونه من انقباض النفس ثم تعدوه إلى غير الطير من الحيوان<sup>4</sup>، ثم جاوزوا ذلك إلى ما يحدث في الجمادات من كسر أو صدع أو نحو ذلك، وربما انتهى بعض الزجر إلى حدّ الكهانة.<sup>5</sup>

ومن تشاءموا منه - من الطير - أيضا البومة والعقاب (العجاء) إذا وقعت على بيت أحدهم يقولون نعت إلي نفسي أو أحدا من أهل داري، قال طرفة بن العبد<sup>6</sup>:

وعَجْزَاءُ دَفَّتْ بِالْجَنَاحِ كَأَنَّهَا      مع الصبح شيخ في بجاد مُفْنَعٌ<sup>7</sup>

<sup>1</sup> محمد بن ابراهيم الحمد، الطيرة، (دت، دط) ص 7-8.

<sup>2</sup> أبو بكر القرطي، المصدر السابق، ج 9، ص 305.

<sup>3</sup> الجاحظ، الحيوان، ج 2، ص 315-316، و ج 3، ص 431، و ج 4، ص 443-457.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ج 6، ص 173.

<sup>5</sup> أحمد القلقشندي، المصدر السابق، ج 1، ص 397.

<sup>6</sup> طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ بْنِ سَفِيَانَ، أحدث الشعراء سناً وأقلهم عُمرًا، قتل وهو ابن ست وعشرين سنة، عبد القادر البغدادي، المرجع السابق، ج 2، ص 419-423، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص 185-188، محمد بن سلام الجُمَحي، لمصدر السابق، ج 1، ص 138.

<sup>7</sup> طرفة بن العبد، ديوان، ت الأعلم الشنتمري، (دار الثقافة والفنون، بيروت، ط2، 2000 م)، ص 171.

وطير الهامة: يقولون إذا مات الإنسان أو قتل اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيته-أو عظامه - فانتصب طيرا هامة وسموه" الصدى" فيرجع إلى رأس القبر كل مائة سنة، فإن كان من أهل الخير كان روحه من صالح الطير وإلا فبالعكس.<sup>1</sup>

وللتطير صلة بعقيدة استحالة الأرواح طيوراً بعد مفارقتها الأجساد، فقد كان من المتعارف عليه عند كثير من الشعوب القديمة أن بعض فصائل الطيور هي أرواح الموتى بعد مفارقتها الأجساد، وأما لذلك تعي وتفهم، وأن في استطاعة بعض الناس فهم منطقتها وتكليمها؛ وما من ملة من الملل إلا وللتناسخ فيها قدم، وهو أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار أخرى لا عمل فيها والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية<sup>2</sup>، فالفاسق تنتقل روحه إلى أجساد البهائم المسخرة للأعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو المرتظمة في الأقدار، والثانية تمنع انتقال الروح لجسد يُغايّر نوع الجسد الذي فارقه لأن النوع الذي أوجب لها طبعها الأشراف عليه والتعلق به لا يجوز أن تتعلق بغيره<sup>3</sup> ..

-وتشاءموا من العطاس: وسبب تطيرهم منها دابة يتشاءمون منها يقال لها العاطوس<sup>4</sup>، قال امرئ القيس متطيراً من العطاس:

وقد أعتدي قبل العطاس بهيكل شديد مشك الجنب فعم المنطق<sup>5</sup> [الطويل]

أراد أنه ينتبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم لثلا يسمع عطاسهم فيتشاءم منه، وكانوا إذا عطس من يجونه قالوا: "عُمراً وشباباً" وإذا عطس من يكرهونه قالوا: "ورياً وقحاًباً" والوري داء يصيب الكبد فيفسدها والقحاب كالسعال وزنا ومعنى<sup>6</sup>.

-و تشاءموا من بعض النبات: كالريحان، تُطير منه لأن طعمه مُر، وإن كان في العين والأنف مقبولاً، قال الشاعر:

<sup>1</sup> محمود الألويسي، بلوغ الأرب، ج 2، ص 311، أحمد القلقشندي، المرجع السابق، ج 1، ص 402.

<sup>2</sup> الشهرستاني، المصدر السابق، ص 309-511.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 115-116، ابن حزم، المرجع السابق، ج 1، ص 166.

<sup>4</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج 33، ص 2995.

<sup>5</sup> امرؤ القيس، ديوان، ت عبد الرحمن المصطاوي(دار المعرفة بيروت، ط 2، 1425هـ-2004م)، ص 130.

<sup>6</sup> محمود الألويسي، بلوغ الأرب، ج 2، ص 332.

أهدى له أحبأبه أترجةً فبكى وأشفق من عيافة زاجرٍ  
متطيراً مما أتاه، فطعمه لونان باطنه خلاف الظاهر<sup>1</sup>

- ومن الأيام شهر صفر: وكان أهل الجاهلية يُجلون صفر، عاماً ويُحرمونه عاماً يستثنون منه<sup>2</sup> وتشاءموا من يوم الأربعاء، ويسمون الأربعاء التي في آخر الشهر الأربعاء التي لا تدور أي لا تعود، وهي من عقائد الجوس قال الشاعر:

لقاؤك للمبكر فآل سوء ووجهك أربعاء لا تدور<sup>3</sup>

ومن الأيام الحسوم الثمانية؛ وأصل القصة عندهم أن عجوزاً كانت في الجاهلية لها ثمانية بنون، فسألتهم أن يزوجوها وألحت عليهم، فتأمروا بينهم وقالوا إن قتلناها لم نأمن عشيرتها ولكن نكلفها البروز للهواء ثمان ليال، لكل واحد منا ليلة فقالوا لها: إن كنت تزعمين أنك شابة فابري للهواء ثمان ليال، فإننا نزوجك بعدها، فوعدت بذلك وتعرت تلك الليلة والزمان شتاء وبرزت للهواء، وفعلت مثل ذلك في الليل الآخر، فلما كانت الليلة السابعة ماتت، ونسب العرب إليها برد الأيام الثمانية وأسماؤها: الصن، والصنبر، والوبر، وأمر، ومؤتمر، ومعلل، ومطفىء الجمر، ومكفيء الظعن.<sup>4</sup>

-ومن الأشخاص: أصحاب العاهات كالأعور والأعضب<sup>5</sup> والأبتر<sup>6</sup>، والمرأة والدار وقد جاء في الأثر قوله ﷺ: «إنما الشؤم في ثلاثة: في الفرس والمرأة، والدار»<sup>7</sup> يقصد به ما كان يعتقده

<sup>1</sup> الجاحظ، الحيوان، ج 3، ص 457-458.

<sup>2</sup> شمس الدين بن قيم الجوزية، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ت عبد الرحمن محمد عثمان، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2، 1388 هـ-1969م)، ج10، ص 412-414.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 27، ص 193.

<sup>4</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج6، ص 815.

<sup>5</sup> الأعور: ذهاب حس إحدى العينين، والأبتر: الذي لا عقب له أو هو القصير كأنه بتر عن التمام/الأعضب: مأخوذ من العضب بمعنى القطع وهو الشلل والعرج والحبل، ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج3 ص 204-205 ومج4، ج 33، ص 2982 ومج4، ج36، ص 3164.

<sup>6</sup> الجاحظ، الحيوان، ج 4، ص 438.

<sup>7</sup> صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة، ج4، ص46، [رقم 5753]، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من التشاؤم، مج2، ص 1059-1060، [رقم 2225]، سنن الترمذي، ت بشار عواد معروف، (دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1996م)، باب ما جاء في الشؤم، ج4، ص 513، [رقم 2824].

أهل الجاهلية.

على أن من العلماء من حمل الحديث على ظاهره وعمومه لكل زمان لأن هذه الأمور الثلاث مما ينقدح في النفوس التشاؤم منها وفسروه بأن شؤم المرأة إذا كانت غير ولود، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه، وشؤم الدار جار السوء.<sup>1</sup>

ومدار الحياة على هذه الأشياء الثلاث فإما أن يُتَّيَمَّنَ بها أو يُتَشَاءَمَ منها قال ﷺ فيما يرويه عنه حكيم بن معاوية: « لا شؤم، وقد يكون اليُمنُ في الدارِ والمرأةِ والفرسِ ».<sup>2</sup>

-وتشاءموا من اللون الأسود الذي يرمز عندهم للموت والهدم فعبروا عليه بالأخضر من باب التفاؤل<sup>3</sup>، لأن من عادتهم التكنية فيكنون عن العزّة والشرف مثلاً بالبياض قال عمرو بن كلثوم مفتخراً:

بأننا نُورد الرّايات بيضاً ونُصدرهنَّ حمراً قد رويناً<sup>4</sup> [الوافر]

-وتشاءموا من أصحاب الرسالات كالأنبياء والمؤمنين والصالحين، فقد كان التطير منهم تهمة سنّه الكُفّار والمشركون<sup>5</sup>، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الأعراف 131.

وقالها العرب للنبي محمد ﷺ ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النساء 78.

وقالها اليهود للنبي ﷺ لما جاء محمد المدينة قَلَّتِ الثمار، وغلت الأسعار فجعلوا كون الرسول بالمدينة هو المؤثر في حدوث السيئات، وأنه لولاها لكانت الحوادث جارية على ما يلائمهم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 7، ص 131.

<sup>2</sup> الترمذي، السنن، ت بشار عواد معروف، باب ما جاء في الشؤم، ج 4، ص 515، [رقم 2824].

<sup>3</sup> منال يعقوب عبد الرحيم، تجليات الثقافة الجاهلية في لغة السور المكية، (إشراف، يحي عبد الرؤوف جبر، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012م)، ص 111-121.

<sup>4</sup> عمرو بن كلثوم، ديوان، ت اميل يعقوب، (دار الكتاب العربي، ط 2، 1416هـ-1996م)، ص 71.

<sup>5</sup> وقالها قوم ثمود لنبيهم صالح - ﷺ - في سورة (النمل 47)، وقالها أصحاب القرية لرسلهم في سورة (يس 18)....

<sup>6</sup> علي بن أحمد الواحددي، أسباب النزول، ص 307.

ولم تكن الطيرة سبباً للشرك والنفور من الإسلام فحسب، بل كانت سبباً للارتداد عنه عند من يدين بها؛ كان الرجل يقدم المدينة فإن ولدت امرأته غلاماً وتنجت خيله قال هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولدا ذكراً ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء فتزلت ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴾<sup>1</sup> الحج 11

والأزلام: ضرب من الطيرة، كان أحدهم إذا أراد سفراً أو غزواً أجال القداح -وهي الأزلام- وكانت قداحاً مكتوباً على بعضها: فهاني ربي، وعلى بعضها: أمري ربي، فإن خرج القدح الذي هو مكتوبٌ عليه أمري ربي مضى لما أراد من سفراً أو غزواً أو تزويجاً أو غير ذلك، وإن خرج الذي عليه مكتوب: فهاني ربي كف عن المضي لذلك وأمسك، وإذا شكوا في نسب رجل أجالوا القداح وفي بعضها مكتوبٌ صريح، وفي بعضها مكتوبٌ ملحق، فإن خرج الصريح أثبتوا نسبه، وإن خرج الملحق نفوه، وإن كان بين اثنين اختلاف في حق سمي كل منهما له سهماً وأجالوا القداح فمن خرج سهمه فالحق له.

### \*\*موقف الشرع من الطيرة:

أبطل الشرع الطيرة ونهى عنها حين قال النبي ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفْرَ، وَعَدَّةُ شِرْكَاءَ فَعَنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ «الطَيْرَةُ شِرْكُ الطَيْرَةِ شِرْكُ ثَلَاثًا»<sup>3</sup>، ووجه كونها شركاً أن فيها:

- إشراك بالربوبية: لما فيها من ادعاء علم الغيب ولما فيها من اعتقاد جلب النفع ودفع الضرر.
- إشراك بالألوهية: لما فيها من تعلق القلب بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، فأكثر الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب المحسوسة ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وقدره، وملاحظة الأسباب في الجملة شرك خفي فكيف إذا انضم إليها جهالة وسوء اعتقاد.

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، لباب النقول، ص176، ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج10، ص370-371.  
<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لاهامة، ج4، ص47، [رقم5757]، كتاب الطب، باب لاهامة، أحمد، المسند، ج2، ص258، [رقم1554]، المعجم الأوسط، الطبراني، ج1، ص201، [رقم204]، ج7، ص346، [رقم7684].  
<sup>3</sup> الترمذي، المصدر السابق، ت ابراهيم عطوة عوض(دد، ط1، 196م)، ج4، ص161 405، أبو داود، السنن، كتاب الطب باب الطيرة، ج4، ص148، [رقم3910]، عون المعبود أبو داود، ج10، باب الطيرة ص405، [رقم3892].

- أهما تضعف قلب الإنسان وتفتح عليه باب الخوف من غير الله وتقوده إلى الدجل والخرافة.

- أن فيها اعتمادا على ما ليس سببا شرعا ولا قدرا.<sup>1</sup>

- وحرَم الأَزلَام واعتبرها رجساً قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ

الشَّيْطَانِ فَأَجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ المائدة 90.

- وأبدلها الفأل: وأصل الفأل الكلمة الحسنة يسمعها عليل فيتأول منها ما يدل على برئه - كأن يسمع مناديا نادى رجلا اسمه "سالم" وهو عليل فأوهمه سلامته من علته، كذلك المضيلُ يسمعُ رجلا يقول "يا واجدٌ" فيجد ضالته؛<sup>2</sup> فأثبت النبي الفأل واستحسنه فقال: «لاعدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة»<sup>3</sup> لأن الفأل:

\* باب من الرجاء: فالنَّاس إذا أملوا فائدة الله ورَجَوْا عائدته عند كُل سبب ضعيف أو قوي فهم على خيرٍ وإن غلطوا في جهة الرجاء فإن الرجاء لهم خير، وأما الطيرة فإن فيها سوء الظن بالله وتوقُّع البلاءِ ويجب للإنسان أن يكون له تعالى راجياً، وأن يكون حسن الظن بربه لأنه به تشرح النفس، وتستبشر بقضاء الحاجة وبلوغ الأمل<sup>4</sup>، وفي الأثر: «أنا عند ظن عبدي بي .<sup>5</sup>»

\* باب من التوكل: أن الإنسان إذا استعمل الطيرة وامتنع عما عزم عليه قرع باب الشرك وبريء من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله فيفسد عليه إيمانه، بخلاف الفأل الصالح المسكن للقلوب الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه المفضي إلى الطاعة والتوحيد والطيرة تفضي إلى المعصية والشرك.

\* التحفيز: لأن الفأل مُقوٍ للعزائم حاضٌ علي البغية فاتحُ أبواب الخير بخلاف الطيرة فهي تكسر

<sup>1</sup> محمد إبراهيم الحمد، المرجع السابق، ص 10-11.

<sup>2</sup> ابن منظور لسان العرب، مج 4، ج 31، ص 2737.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة، ج 4، ص 46 [رقم 5754-5758]، صحيح مسلم كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيم من الشؤم، مج 2، ص 1059 [رقم 2223-2224-2225]، الترمذي، السنن، ت إبراهيم عطوة عوض، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة، ج 4، ص 161، [رقم الحديث 1615].

<sup>4</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 7، ص 290.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، ج 4، ص 384، رواية عن أبي هريرة، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى ويجذركم الله نفسه، [رقم 7405]، صحيح مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله مج 2، ص 1234، [رقم 2675] أحمد، المسند، ج 9، ص 98، [رقم 9053].

النية وتصد عن الوجهة وتفتح أبواب الشر بل هي نقص في العقل وانحراف عن المعتقد.<sup>1</sup>  
 فإن قال قائل إن كل من الطير والبشر يحدثان إثر صوت أو حركة يُتفاعل بها أو يُتشاءم منها،  
 فلما اختلف حكم الشارع فيهما فأجازت الفأل من البشر واستبشّرت به وبشّرت، وأنكرته من  
 الطير والحيوان ونفرت منه وحرّمته بل وعدته شيركا؟  
 وإن كان لكل إنسان حظ من التطير لا يملك دفعه وإن اجتهد كما زعم ابن مسعود رضي الله عنه حين  
 قال: "وما منا إلا" ويصدق حديثه رضي الله عنه «ثلاثة لا يسلم منها أحد الطيرة والحسد والظن»<sup>2</sup> فلِمَ أنالُم  
 عليه؟ والجواب من وجوه:

\*أولا: إن الشريعة أقرت الفأل الصالح-الكلمة الحسنة- من الإنسان وأنكرت التشاؤم  
 والتطير سواء أكان كلام بشر أو صوتاً وحركة طير؛ ذلك لأن الأرواح الإنسانية أصفى وأقوى من  
 الأرواح البهيمية والطيرية، فالكلمة التي تجري على لسان الإنسان يمكن الاستدلال بها بخلاف  
 طيران الطير، وحركات البهائم، فإن أرواحها ضعيفة فلا يمكن الاستدلال بها على شيء من  
 الأحوال.<sup>3</sup>

وأما أقوال الطير فلا تعلق لها بما يُجعل دلالةً عليه ولا لها علمٌ بكائنٍ فضلا عن مستقبلٍ فتخبر  
 به، ولا في الناس من يعلم منطق الطير، إلا ما كان الله تعالى خص به سليمان من ذلك فالتحق  
 التطيرُ بجملة الباطل.<sup>4</sup>

\*ثانيا: النفوس وإن جبلت على التشاؤم فلا تؤاخذ عليه لأنه حديث نفس قلّ من يسلم منه،  
 وإنما تؤاخذُ بآثره وعمل الإنسان فيه، من أجل ذلك فرق العلماء بين الطيرة والتطير أن التطير هو  
 الظن السيء الذي في القلب، والطيرة هو الفعل المرتب على الظن السيء، قال رضي الله عنه للسائل عن  
 التطير: «ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم».<sup>5</sup>

وجعل الطيرة ذنب يُكفر عنه قولاً وعملاً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ردته الطيرة من حاجة فقد  
 أشرك»، قالوا يارسول الله وما كفارة ذلك؟ قال: «أن يقول أحدهم: اللهم لا خير إلا خيرك و

<sup>1</sup> محمد إبراهيم الحمد، المرجع السابق، ص 10.

<sup>2</sup> علي بن خلف بن عبد الملك بن بطل، شرح صحيح البخاري، ت ياسر بن إبراهيم، (مكتبة الرشد، الرياض، دط، دت)،  
 ج 9، ص 437.

<sup>3</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 14، ص 225.

<sup>4</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 9، ص 307.

<sup>5</sup> صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، مج 2، ص 1061 [رقم 537].

لا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، ولا إله غيرُكَ»<sup>1</sup>، ثم يُصدِّقُه بالعمل «إذا تطيرت فامض»<sup>2</sup>، ويَدْفَعُه بالتوكل.  
\*ثالثاً: فرَّق العلماء بين الفأل والطيرة بأن الطيرة تُقصد والفأل يأتي من غير قصد<sup>3</sup> لهذا وردت  
السنة بإبطال حكم الزجر والطيرة بقوله ﷺ: «أقروا الطير على مكنائهما»<sup>4</sup>.

\*رابعاً: وكان النبي ﷺ يحب الأسماء الحسنة ويستبشر بالرُّسُول يبعث إليه حسن الاسم والمظهر،  
وغير الأسماء المنفرة إلى أسماء حميدة فغير اسم حَزَنٌ إلى سَهْلٍ<sup>5</sup>، وعاصية إلى جميلة<sup>6</sup>، وأصْرَمَ إلى  
زُرْعَة، وشهاب إلى هشام، وحرب إلى سَلْم، والمضطجع إلى المنبعث، وشعب الضلالة إلى شعب  
الهدى، وبنو الزنية إلى بنو الرشدة، وغير اسم يثرب إلى طيبة<sup>7</sup> ذلك لأن الله جعل في فطر الناس  
محبة الكلمة الطيبة والأنس بها كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي وإن كان لا  
يملكه ولا يشربه.<sup>8</sup>

وكما كان العرب يشتقون من اسم الشيء ما يتشاءمون منه أو يتفاءلون به، كذلك<sup>9</sup> فعل  
النبي ﷺ فقد أُرْعِنَ قوله ﷺ: «أَسْلَمَ سالمها الله، وغفار غفر الله لها»،<sup>10</sup> إلا أنه كان يغير اسم  
الشؤم إلى حُسْن.

-وعلة إنكار الطيرة توقع الشؤم والبلاء والاستسلام لأوهام التشاؤم الذي يقعد عن العمل

<sup>1</sup> مسند أحمد، ج 6، ص 471-472 من حديث عبد الله بن عمر، [رقم 7045].

<sup>2</sup> ابن بطال، المصدر السابق، ج 9، ص 437.

<sup>3</sup> أحمد القلقشندي، لمصدر السابق، ج 1، ص 398.

<sup>4</sup> مسند أحمد، ج 18، ص 445، [رقم 27018]، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تقريب البغية بترتيب أحاديث الحلية،  
ت محمد حسن إسماعيل، (دار الكتب العلمية، ط 1، 1420هـ-1999م)، ج 2، ص 314.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب اسم الحزن، ج 4، ص 126، [رقم 6190].

<sup>6</sup> الترمذي، السنن، ت ابراهيم عطوة عوض، باب تغيير الأسماء، ج 5، ص 134، [رقم 2838].

<sup>7</sup> كراهية التثريب وهو اللوم والتعير، مالك، الموطأ، ت، مصطفى الأعظمي، (مؤسسة زايد بن سلطان، أبو ظبي، ط 1،  
1425هـ-2004م)، ج 1، ص 19.

<sup>8</sup> علي بن خلف بن بطال، شرح صحيح البخاري، ت ياسر بن إبراهيم، (مكتبة الرشد، الرياض، دط، دت)، ج 9، ص 437.

<sup>9</sup> والعربي إن شاء اشتق من الكلمة وتوهم فيها الخير، وإن شاء اشتق منها الشر الجاحظ، الحيوان، ج 3، ص 444 و ج 4،  
ص 440.

<sup>10</sup> صحيح البخاري، ج 2، ص 507، [رقم 3514]، صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي ﷺ لغفار  
وأسلم مج 2، ص 1172، [رقم 2514].



والاجتهاد في طلب الخير<sup>1</sup>، وهو إن كان فمن الغيب الذي استأثر الله بعلمه.

أما وسم الشيء بالشؤم بعد وقوعه فوارد في القرآن قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ فصلت 16، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحِسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ القمر 19 والنَّحْسُ سوء الحال، وليس في الأيام يوم يوصف بنحس أو بسعد لأن كل يوم تحدث فيه نحوس لقوم وسعود لآخرين<sup>2</sup>؛ فالنحس يعرض من سوء الخلق والمزاج أو التفريط أو لفساد البيئة والقوم، أو من أمور اتفافية وربما كان بعضها جزاء من الله على عمل خير أو شر من عباده<sup>3</sup> فاستحق الجزاء قال ﷺ فيما ترويه عنه عائشة -رضي الله عنها-: «الشؤم سوء الخلق»<sup>4</sup>.

وكذلك فعل بعض العرب فقد كان لهما مذهبان إما أن يسموا أولادهم بأسماء مُنْفَرَة تدل على القوة وتدفع عنهم الحسد، وإما أن يسموا ما يخافون ويتشاءمون منه بما يبعد عنهم الشؤم، من أجل ذلك سمو المنهوش بالسليم، والبرية بالمفازة، وكنوا الأعمى أبا بصير، والأسود أبا البيضاء، وسموا الغراب بجاتم ..

وليس كل العرب على مذهب الطيرة فقد أنكرها بعضهم كسلامة بن جندل، الحارث بن حلزة، النظام، والمرقش من بني سدوس حيث قال:

إِنِّي غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَلَا حَاتِمٍ  
فَإِذَا الْأَشَائِمُ كَالْأَيَّامِ وَالْأَيَّامُ كَالْأَشَائِمِ  
فَكَذَاكَ لَا خَيْرٌ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمٍ<sup>5</sup>

\*حامسا: وأبدلهم الشرع عند التردد والتحير، بطلب الإستخارة، وحثهم على الاستشارة، وجعل لهم الرؤيا الصالحة<sup>6</sup> من المبشرات التي يُستأنس بها قال تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ

<sup>1</sup> أمين محمد الفضاة، التفاؤل والتشاؤم في الحديث النبوي، (مجلة الديار، قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة الإسلامية، جامعة الكويت، دعدد ولا تاريخ).

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع الشائق، ج 27، ص 192-193.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 24، ص 259.

<sup>4</sup> أحمد، المسند، ج 17، ص 364، [رقم 24428].

<sup>5</sup> الجاحظ، الحيوان، ج 3، ص 449-453.

<sup>6</sup> أحمد، المسند، ج 6، ص 714، [رقم 7044].

## الدُّنْيَا وَفِي الْأَخْرَةِ ﴿يونس 64﴾

وفتح لهم باب الدعاء واللجوء إلى الله مع الرضى بالقضاء والقدر بعد المضى فيه سواء كان خيراً أو شراً وفي كل أجر وحكمة فصار للإنسان صدق التوكل وبرد اليقين .

-وعَدَّ الدعاء على العاطس ظلماً وبغياً وأحبه وأبدله دعاءً بالرحمة والهداية<sup>1</sup>، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب»<sup>2</sup>.

وربط عقيدة انتقال الأرواح إلى الطيور بالجنة، قال صلى الله عليه وسلم: «إنما نسمة المؤمن طائر يُعلَق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثه»<sup>3</sup>.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه<sup>4</sup> قال: «أرواحهم - الشهداء - في جوف طيرٍ خضرها قناديلٌ مُعلقة بالعرش تُسرح من الجنة حيث شاءت...»<sup>5</sup>.

### الفرع الرابع: مظاهر الإشراف في طقوسهم الدينية:

إذا أردنا تلخيص الأسباب التي دفعت العرب للإشراف بالله حصرناها في:

#### 1- حب البيت وتعظيمه والتبرك به: قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ

#### مُبَارَكًا وَهَدَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿آل عمران 96﴾

للمن قيمة ذاتية معتبرة، وقيمة في الأشياء مؤثرة، والبيت الحرام كان أول بيت يبني في الأرض فاستحق أن يكون علماً وأثراً مباركاً، يقصد الناس زيارته شوقاً وتبركاً ويتعلق به قاطنوه

<sup>1</sup> محمودشكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج2، ص 33.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يُستحبُّ من العطاس وما يُكره من التثاؤب، ج4، ص 133 [رقم 6223]، الترمذي، السنن، ت إبراهيم عطوة عوض، باب ما جاء أن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب، ج 5، ص 86، [رقم 2746].

<sup>3</sup> أحمد بن حنبل، المسند، ج 12، ص 308-309-314، [رقم 15716-15717-15718-15720]، مالك بن أنس، الموطأ،

ت بشار عواد معروف، (دار القرب الاسلامي، ط2، 1417هـ-1997م)، ج 1، ص 328، [رقم 643].

<sup>4</sup> عبد الله بن مسعود بن عاقل بن حبيب بن شمع بن مخزوم بن صاهلة، من بني زهرة وأمه: "أم عبد" سادس الإسلام سبقاً وإيماناً ومقريء القرآن شهد بدرًا والمشاهد كلها، روى نيفاً وثلاثاً مائة حديث توفي سنة اثنتين وثلاثين بالمدينة، وهو ابن بضع وستين سنة، ابن سعد، المصدر السابق، ج 3، ص 139، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج2، ص 1766-1767، شمس الدين

الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 1، ص 461.

<sup>5</sup> صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، مج، ص 912، [رقم 1887].

أصالةً وفخراً، البُعد عنه يبعث في القلب لوعة وحسرة يسكن بعض لهيب أشواقها بالنظر إلى أثرٍ منها لهذا اتخذوا بعض الحجارة تبركا وتيمناً بل وسعوا إلى الطواف حولها كما بالبيت العتيق ليعيشوا اللحظة حقيقة. وهو أحد الأسباب التي أدت بهم إلى عبادة الأوثان.

فقد جاءت الأخبار بأنه كان لا يظعن من مكة ظاعن إلا احتمل معه حجراً من حجارة الحرم وقد ينحته على صورة أصنام، تعظيماً للحرم وصبايةً بمكة فحيثما حلوا، وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمناً منهم وصبايةً بالحرم وحُباً له وهم بعدُ يُعظمون الكعبة ومكة، ويحجون ويعتَمرون على إرث إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- ثم سلخ ذلك بهم إلى أن عبَدُوا ما استَحَبُّوا، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم من قَبْلهم، انتَجَتْهُوا ما كان يعبدُ قوم نوح -عليه السلام- منها على إرث ما بقي فيهم.<sup>1</sup>

وهذه مبالغة جاهلية في التماس البركة، حتى يداخل المتبرك به تعظيم يُخرج به عن الحد والاعتقاد في المتبرك به ما ليس فيه، ولأجله قطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشجرة التي بويع تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## 2- عبادتهم هذه الأصنام باعتبارها موطناً ومحلاً للقوى الروحية:

سواءً كانت هذه الأرواح قوى خيرة كالملائكة وهم -عندهم بنات الله- فيعبدونها رجاء النفع والشفاعة، ولهذا أعقب الله تعالى كلامه بعد ذكرهم مستنكراً أن يكون المستحسن المحبوب موجود عندهم والمذموم عند الله،<sup>2</sup> قال تعالى: ﴿أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى \* تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ النجم 21-22، أو كانت تسكنها قوى شريرة كأرواح الجن والشياطين فيعبدونها خوفاً أن يلحقهم ضررها، لأن العربي إذا خاف شيئاً خلع عليه أثراً من آثاره النفسية وهو التقديس فتسهل قيادته<sup>3</sup> أو تبركاً وحبا لاعتقادهم حلول روح الأسلاف فيها.

<sup>1</sup> محمد الأزرقى، أخبار مكة، ج1 ص92-93، ابن سحاق، المصدر السابق، ص 60-61، محمود شكري الألوسي، بلوغ، ج1، ص245.

<sup>2</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 5، ص 201.

<sup>3</sup> محمد إبراهيم الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، (دار المعارف، مصر، القاهرة، دط، دت)، ص19.

### 3- اعتقاد الوسيط والشفيع:

منشأ هذا الادعاء قياس عالم الغيب على عالم الشهادة، واعتقاد التجسيم في الله - تعالى الله عن ذلك - واعتباره كالملوك البشر له مساعدون وحُجَاب، ولا يمكن الوصول إليه إلا بأسباب، لذلك عُلِّقوا عبادتهم بأنه ليس المعبود الحجر والصنم إنما جعلناه قبله لنا لأنه تكمن فيه روح الملائكة والشياطين التي تجلب الشفاعة والخير، أو توقع بنا البلاء والشر بأمرٍ من الله تعالى، وليس لنا أهلية لعبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته<sup>1</sup>، ولتَقْصِينَا واستحالة وُصُولِ النفس مباشرة إلى الله فعبدناها لتُقَرِّبَنَا إليه قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ الزمر 3، وللملائكة والجن شفاعة ووساطة ترتجى عند الله للنسب بينهم، فاعتقدوا أن الملائكة والأنفس الإنسانية المقدسة والسيارات السماوية دخيلة بوجه من الوجوه في صلاحيات الحكم القائم فوق نظام العلل والأسباب،<sup>2</sup> وبالجملة وضع الأصنام على ما قدره إنما هو على معبود غائب حتى يكون الصنم المعمول على صورته وشكله وهيأته نائباً مَنْابَهُ وقائماً مقامه، وإلا فعلم قطعاً أن عاقلاً ما لا ينحت جسماً بيده ويصوره ثم يعتقد أنه إلهه وخالقه.<sup>3</sup>

### 4- تسلط الأغنياء والأقوياء على الضعفاء وفتنتهم عن دينهم:

قال تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَدَنَا اللَّهُ هَدَىٰ لَكُم سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرٌ عَلَيْنَا أَمْ صَبْرًا مَا لَنَا مِنْ مَّحِصٍ﴾ إبراهيم 21.

وقد اتبع العرب "عمرو بن لحي" حين ابتدع لهم عبادة الأصنام، ومن عارضه من قومه من الحنفاء نفاهم من مكة، وكما كان يفعل عم عمرو بن زيد بن نفيل - وكان من الحنفاء فارق دين قومه - فأذاه وعذبه ومنعه من دخول مكة ومن الهجرة...

وكانوا يخافون المسبّة وأقوال الناس فقد أثير عن زهير بن أبي سلمى قوله عندما كان يمر بعضة أورقت بعد ييس: "لولا أن تسبني العرب لآمنت أن الذي أحياك بعد ييس سيحي العظام وهي

<sup>1</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج2، ص 197-198.

<sup>2</sup> أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة، ص 83.

<sup>3</sup> شمس الدين بن قيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ص 533-534، الشهرستاني، المصدر السابق، ص 515.

رميم<sup>1</sup>.

5- تزيين الشياطين وإغوائهم للإنس، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الحشر 16.

أقسم الشيطان أن يفتن ذرية آدم<sup>2</sup> كما فتن أبوهم من قبل في الجنة واتخذ لذلك كل الأسباب والوسائل<sup>3</sup>، وما أشرك قوم بالله شيئاً إلا وللشيطان حظ من الإغواء فزين لهم عبادة الأصنام، وجعلهم يعتقدون أن بها قوة سحرية وقوى غير مرئية ملتصقة بها على الدوام فهي عبارة عن مساكن ومستقرات لتلك القوى الخفية والمقصود من التقرب إليها عبادة تلك الروح<sup>4</sup>.

وطائفة دعاهم إلى عبادتهما من جهة تعظيم الموتى، الذين صور تلك الأصنام على صورهم... وهذا السبب هو الغالب على عوام المشركين، أما خواصهم فإنهم اتخذوها بزعمهم على صور الكواكب المؤثرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتا وسدنة وحجابا وحجاً وقربانا<sup>5</sup>، وزين لهم عبادة الكواكب والأنواء، قال تعالى: ﴿وَجَدُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ النمل 24، وزين لهم عبادة دين الآباء وتقليد الأسلاف وأنه السبيل لنيل رضوان الله، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَّا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ الزخرف 20.

وزين لهم إفساد طقوسهم الدينية في شعائر الحج وختمها بصبغة شركية فأفسدت تعاليمها، وقد ذكرها القرآن الكريم وسجّل اعتراضاته على كل شعائر الحج الجاهلي وسنذكرها مختصرة:

## 1- موافيت الحج وتلبيته: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ﴾ البقرة 197.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص 499.

<sup>2</sup> قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَا تَخْذَنْ مِن عِبَادِكِ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ النساء 118.

<sup>3</sup> (وَاسْتَفْزِرْ مِنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْنِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ مَّا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا) الإسراء 64.

<sup>4</sup> علي محي الدين، المقال السابق، ص 154.

<sup>5</sup> شمس الدين بن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان، ص 532.

الحج أشهر معلومات عند العرب لا تحتاج إلى بيان لهذا لم تذكرهم الآية، وهم شوال، ذو القعدة، وذو الحجة، ورجب، جعلهم الله للحج وسائر الشهور للعمرة فلا يصلح أن يحرم أحد بالحج إلاّ في أشهر الحج، والعمرة يُحْرَمُ بها في كل شهر، وكانوا يجرمون فيها القتل ويضعون السلاح ليأمن الحجاج على أنفسهم وأهليهم وكان من شريعتهم النسيء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ التوبة 37.

وهو مشتق من نساءه وأنساءه إذا أخّر من قولك: نسأت الشيء فهو منسوء إذا أخرته، وكانوا يجرمون القتال في المحرم فإذا احتاجوا إلى ذلك حرموا صفرا بدله وقتلوا في المحرم، وسبب ذلك أن العرب كانت أصحاب حروب وغارات فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها، وقالوا: لئن توالى علينا ثلاثة أشهر لا نصيب فيها شيئا لنهلكن، فكانوا إذا صدروا عن منى يقوم من بني كنانة، ثم من بني فقيم منهم رجل يقال له "القلمس"، فيقول أنا الذي لا يُرَدُّ لِي قضاء، فيقولون: أنستنا شهرا، أي أخّر عتّا حرمة المحرم واجعلها في صفر، فيحل لهم المحرم، فكانوا كذلك شهرا فشهرها حتى استدار التحريم على السنة كلها<sup>1</sup>.

وذكروا أن أول من نَسَأَ حُدَيْفَةَ بن عبد بن فُقَيْم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ثم أبناؤه بعده توارثوه أولهم "قَلْعُ بن حديفة" وآخرهم "جُنَادَةُ بن أمية بن قَلْعُ بن نَسَأُ حتى جاء الإسلام وهم القلامس وكانوا يَحْسُبُونَ ما بين السنة الشمسية والقمرية فيكون عشرة أيام وعشرين ساعة فيجعلون النسيء بقدر ذلك فلا تختلف سنوهم<sup>2</sup>.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال في تفسيره للنسيء بأن "جُنَادَةُ بن عوف بن أمية الكناني"، كان يوافي الموسم كل عام، كان يُكْنَى "أبا ثُمَامَةَ" فينادي: "ألا إن أبا ثُمَامَةَ لا يُحَابُّ ولا يُعَابُّ، ألا وإن صَفَرَ العامِ الأوَّلِ العامِ حلالٌ" فيحله الناس، فيحرم صَفَرَ عامًا ويحرم المحرم عامًا، فذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج10، ص 201-202، محمد بن حبيب، المحبر، ص 157.

<sup>2</sup> أبو علي القالي، سمط الآلي، ت عبد العزيز الميمني، (دار الكتب العلمية، دب دط، دت)، ج 1، ص 10.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج11، ص452.

وكانوا لا يقرون الحج بالعمرة ويعتبرون ذلك من المحرمات، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانوا يرون أنّ العمرة في أشهر الحجّ من أفجر الفجور، ويجعلون محرم صفراً يقولون: إذا برأ الدبر، وعفا الأثر، وانسلخ صفر حلّت العمرة لمن اعتمر، قدم النبي وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحجّ، فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاضم ذلك عندهم، فقالوا: يا رسول الله أيّ الحلّ؟ قال: الحلّ كله<sup>1</sup>، وكانوا يشركون في تلبيتهم فيقولون: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، فقال: فأتموهما ولا تخلطوهما بشيء آخر، فأمرهم بالإتمام قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ البقرة 196.

2- الطواف والصلاة والسعي، قال تعالى: ﴿يَبْنَیْ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ الأعراف 31.

كان المشركون الرجال يطوفون بالبيت بالنهار عراً، والنساء بالليل عراً يقولون: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْنَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهِ أَمْرَانَا بِهَا﴾ الأعراف 28، ويزعمون أنهم يفعلون ذلك تعظيماً للحرم، يقولون لا تطوف في ثياب أذنبنا فيها فيضعونها، فإن دخل رجلٌ وعليه ثيابه يضربُ وتُنزَعُ منه ثيابه<sup>3</sup>، إلا أن يجدوا قرشياً يعيرهم مئزراً يطوفون به، فإن فرغوا من الطواف أخذوا ثيابهم التي كانوا وضعوها،<sup>4</sup> وهو ماجأت به الأخبار فقد روي عن عائشة-رضي الله عنها-: «كان النَّاسُ يطوفون في الجاهلية عراً إلا الحمسَ، والحمسُ قريش وما ولدت وكان الحمسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يطُوفُ فِيهَا وَتُعْطِي الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ تَطُوفُ فِيهَا فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الْحُمْسُ طَافَ بِالْبَيْتِ عُرْيَاناً»<sup>5</sup>.

أما صفة صلاة الجاهلية بالبيت فهي كما وصفتها الآية الكريمة: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ الأنفال 35.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التمتع والقِرْلان والإفراد بالحج وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي، ج 1، ص 483، [رقم 1564].

<sup>2</sup> أبو بكر القرطي، المصدر السابق، ج 3، ص 264.

<sup>3</sup> جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 6، ص 356-361-363.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج 6، ص 350.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة، ج 1، ص 510، [رقم 1665].

المكء هو الصفير، وقيل هو أن يجمع الرجل يديه ثم يُدخِلهما في فيه ثم يصيح على نحو طير أبيض يقال له المكء يكون بأرض الحجاز، أما التصديّة فمعناها: التصفيق يقال منه صدّي يُصدّي تصديّةً، وصدّق وصدّق بمعنى واحد،<sup>1</sup> وهذه الحركات ترجمة لشعور بالفرح والزهو، وشدة الإنبساط والرّاحة والرضى التي كانوا يشعرون بها اتجاه مناسكهم.

ثم السّعي بين الصفا والمروة: وهو السعي بين صنمين والتمسح بهما أحدهما على جبل الصفا والآخر على جبل المروة، ويزعمون أنّهما صنمي "إساف" و"نائلة" أو صنم "مطعم الطير" وصنم "مجاور الريح" كما ذكره الأزرقى<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة 158.

4- الوقوف بعرفة والحُمس: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ \* ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة 198-199

سميت تلك البقعة عرفات لأن الناس يتعارفون بها، وقيل لأن آدم لما هبط وقع بالهند وحواء بجدة، اجتمعا بعد طول الطلب بعرفات يوم عرفة وتعارفا، فسمي اليوم عرفة والموضع عرفات، وقيل: بل مأخوذة من العرف وهو الطيب، وقيل من الصبر، يقال: رجل عارف إذا كان صابرا.<sup>3</sup>

والحُمسُ ملة قريش وهو التّشدّد في الدين وهم المشركون ومن ولدت قريش من خزاعة، وكنانة، وثقيف، وجشم، وبنو عامر بن صعصعة، وبنو نصر بن معاوية، كانوا لا يدفعون من عرفة إنّما كانوا يدفعون من المزدلفة وهو المشعر الحرام، والعرب كلها كانت تُفيض من عرفات إلا الحُمس، يقولون إنّما نحن أهل حرم الله فلا نخرج من حرمه هذا مع معرفتهم وإقرارهم أن عرفة

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 161-162-166، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 9، ص 498-499.

<sup>2</sup> وقد مر معنا السعي بين الصفا والمروة عند الحديث عن الأصنام التي كان يعبدها العرب في الفصل الثاني.

<sup>3</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 1، ص 228، الطبري، جامع البيان، ج 3، ص 525-526، ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص 223، عبد الرحمن السهيلي، المصدر السابق، ج 1، ص 348-349.



موقف إبراهيم - ﷺ - <sup>1</sup>.

عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمرزْدَلْفَة وكانوا يُسمّون "الحُمس" وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي "عَرَفَاتٍ" ثم يقف بها ثم يفيض منها <sup>2</sup> فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾.

5- الهدى والقائد: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ المائدة: 2.

الهدْيُ: ما أهداه المرء من بعير أو بقرة أو شاة أو غير ذلك إلى بيت الله تقريباً به إلى الله عزوجل، والعرب تقول: كم هدي بني فلان، أي كم إبلهم، قال أبو بكر: سميت هدياً لأن منها ما يهدي إلى بيت الله، فسميت بما يلحق بعضها.

وكان الرجل في الجاهلية إذا خرّج من بيته يريد الحجّ تقلّد من السّمُرِ فلم يعرض له أحد، وإذا رجع تقلّد قِلَادَةَ شَعْرٍ وقلّد ناقته من لحاء الشجر، فيأمن حتى يأتي أهله. <sup>3</sup>

وقد أبقت الشريعة على هذه السنة، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعْبِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ المائدة: 2، أي لا تتركوا الإهداء إلى البيت؛ فإن فيه تعظيماً لشعائر الله ولا تتركوا تقليدها في أعناقها لتمييز به عما عداها من الأنعام، وليعلم أنها هدي إلى الكعبة فيجتنبها من يريد بها بسوء، وتبعث من يراها على الإتيان بمتلها.

وكانوا يذبحون للهدى للأصنام بذكر أسماءها عليها، قال تعالى: ﴿أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾ الأنعام 145، فإذا ذبحوها وضعوا على آهنتهم من لحومها ونضحوا عليها من دمائها فعن ابن جريج قال: كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها، فقال أصحاب رسول الله ﷺ فنحن أحق أن ننضح، فأنزل الله: ﴿لَنْ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَكِنْ بِنَآئِهِ النُّقُوءِ مِنْكُمْ﴾ الحج 37،

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج3، ص 527، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج1، ص 229.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى (ثم افيضوا من حيث أفاض الناس)، ج3، ص 200، رقم [4520].

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 8، ص 26- 27- 28.

أي: يتقبل ذلك ويجزي عليه.<sup>1</sup>

وكان العرب يأكلون الدّم الذي يسيل من أوداج الذبيح أو من منحَر المنحورة ويجمعونه في مَصِيرٍ أو جلد ويجففونه ثم يشوونه، وربما فَصَدُوا<sup>2</sup> من قوائم الإبل مَفَصدا فأخذوا ما يحتاجون من الدّم بدون أن يهلك البعير، وربما خلطوا الدّم بالوبر ويسمونه(العَلْهَز) وذلك في الجماعات<sup>3</sup>، قال تعالى: ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ الأنعام 145.

ولا يقتصر شرب الدماء على أيام الجذب فقط بل كان شرب دم العدو وتلطّيح السيوف به تيركاو شرفا للفارس وإرضاءً منه للآلهة<sup>4</sup>، قال عنترة:

وإني قد شربت دم الأعادي بأقحاف الرؤوس وما رويت<sup>5</sup> [الوافر]

كما كانوا يتقربون للآلهة بالنذور وهي وعد على شرط وعقد مقدس بين الناذر والآلهة بحيث يعمد مقدم القربان إلى الذبيحة ويأخذ من دمها ويسكبه على رأس الصنم وقد تكون ذبيحة أو زرعاً أو أرضاً أو قرباناً بشرياً كالتقرب بدم الأعداء الذين يقتلون إرضاءً للآلهة<sup>6</sup>، وقد يكون القربان أحد المقربين كأولاد قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ يَقْتُرُونَ﴾ الأنعام 137، فلفظ الذكور هنا عام يشمل الذكور والبنات وإن شاع في الإناث أكثر والعربي كان يند ابنته بعد تزيينه لتقديمها للآلهة قرباناً معتبراً هذا الفعل

<sup>1</sup> المصدر السابق، ج 16، ص 514.

<sup>2</sup> فصدا: الفَصْدُ شَقُّ العِرْقِ، وَفَصَدَ النَّاقَةَ: شَقَّ عِرْقَهَا لِيَسْتَجِرَ دَمَهُ فَيَشْرِبُهُ، ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ج 39، ص 3420.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 8، ص 138.

<sup>4</sup> نهييل توفيق العارضة، الدم في الشعر الجاهلي، إشراف إحسان الديك، رسالة ماجستير، (جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس-فلسطين-)، ص 94، وأوردت الباحثة في رسالتها عدة أبيات شعرية جاهلية تدعم فكرتها، وراودتني فكرة أنه قد يكون من باب التشبيه أو التمثيل فما كل كلام الشعراء صدق، إلى أن تذكرت قصة هند وأنها توعدت أن تشرب من دم حمزة، وأنها لاكت كبده فقد يكون طريق لطلب الثأر وشفاء الصدر، ولقوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم)، وقد عرف عنهم أكل العلهز وهو مزيج من دم ووبر.

<sup>5</sup> الأقحاف: ج القحف، وهو ما انفلق من الجمجمة فانفصل، ديوان عنترة، ت مجيد طراد، (ط 1، 1412هـ-1992م)، ص 3.

<sup>6</sup> نهييل توفيق العارضة، المرجع السابق، ص 91-92.

من المكرمات<sup>1</sup>.

## 6- التفاخر والتنازير: قال تعالى: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ البقرة 197.

كانت عادة العرب إذا قضت حجّها تقف عند الجمرة، فتفاخر بالآباء وتذكر أيام أسلافها من بسالة وكرم وغير ذلك، حتى أن الواحد منهم ليقول: اللهم إن أبي كان عظيم القبة، عظيم الجفنة، كثير المال، فأعطني مثل ما أعطيته فلا يذكر غير أبيه، فتزلت الآية قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ البقرة 200، ليلزموا أنفسهم ذكر الله أكثر من التزامهم ذكر آبائهم أيام الجاهلية هذا قول جمهور المفسرين<sup>2</sup>.

وكانوا إذا دعوا طلبوا بخير الدنيا فقط يقولون: "اللهم ارزقنا إبلاً"، "اللهم ارزقنا غنماً" أو يطوفون بالبيت عراة يقولون اللهم اسقنا المطر، وأعطنا على عدونا الظفر وردنا صالحين إلى صالحين،<sup>3</sup> وهو معنى قوله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آئِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ البقرة 200.

## 7- ومن طقوسهم الدينية الصوم عن الكلام في الحج فقد ورد في صحيح البخاري عن قيس بن أبي حازم قال: «دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرأها لا تكلم، فقال: ما لها لا تكلم؟ قالوا حجّت مُصمتة، قال لها تكلمي فإن هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية»<sup>4</sup>.

## 8- المتاجرة والأسواق في الحج: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رِّبِّكُمْ﴾ البقرة 198.

كانت العرب تقصد الحج للاجتماع والتظاهر والتنازل والتناظر وقضاء الحاجة وحضور

<sup>1</sup> المرجع السابق، ص 34، إلا أنني لا أميل إلى هذا الرأي لأسباب وأد البنات معروفة ودعوى قتل الذكور لم تزكها الأخبار إلا ما كان من تفسير الزمخشري للتزيين بالوآد والنحر للآلهة كفعل عبد المطلب، الكشاف، ج 2 ص 400-401، أو قد يكون من تلبس السدنة على الناس في قصة إبراهيم - عليه السلام - و ذبح ولده فاعتبروها أعظم قرابة تقدم للآلهة.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 3، ص 538-540، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 1، ص 231.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 3، ص 542.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب أيام الجاهلية، ج 3، ص 51، [رقم 3834].

الأسواق، وكل ذلك ليس لله فيه طاعة ولا حظٌ يُقصد ولا قُرْبَةٌ بمعتمد، فأمر الله سبحانه بالقصد إليه لأداء فرضه قضاء حقه ثم سامح في التجارة.<sup>1</sup>

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم فتزلت: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} في مواسم الحج».<sup>2</sup>

**9- إتيان البيوت من ظهورها قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ البقرة 189.**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم رجل منهم بالحج فإن كان من أهل المدر-يعني من أهل البيوت-نقب في ظهر بيته فممنه يدخل ومنه يخرج، أو يضع سلماً فيصعد منه وينحدر عليه، وإن كان من أهل الوبر-يعني أهل الخيام-يدخل من خلف الخيام الخيمة، إلا ما كان من الحُمس.<sup>3</sup>

وجاء الشرع وألغى هذه العادة، عن البراء قال:... كانت الأنصار إذا حجوا لم يدخلوا من قِبَلِ أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قبل بابه فكأنه غيرَ بذلك فتزلت<sup>4</sup> (ليس البر) إلى قوله تعالى (وأتوا البيوت من أبوابها).

**ب- في القرابين والنذور: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ البقرة 270.**

التَّذْرُ ما أوجبه المرء على نفسه تبررا في طاعة الله وتقربا به إليه من صدقة أو عمل خير<sup>5</sup>، وعرفه الإمام القرطبي بقوله التَّذْرُ: ما أوجبه المكلف على نفسه من العبادات مما لو لم يوجبه لم يلزمه، ويكثر عند العرب<sup>6</sup> وهو قسمان نذر في الطاعة ونذر في المعصية<sup>7</sup>؛ وأصله من الخوف لأن

<sup>1</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 3، ص 270.

<sup>2</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 1، ص 228.

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 3، ص 234-235، الحسين بن علي البغوي، المصدر السابق، ج 1، ص 212.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قوله تعالى: (وأتوا البيوت من أبوابها)، ج 1، ص 545، [رقم 1803].

<sup>5</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 4، ص 13.

<sup>6</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 4، ص 358-359.

<sup>7</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 1، ص 500.

الإنسان إنما يعقد على نفسه خوف التقصير في الأمر المهم عنده.<sup>1</sup>

والقرايين التي تقدم من أجل النذر أنواع وغالبا تكون من المهم المعتد به كتقديم الأولاد، أو المال أو الحيوان، أو إلزام النفس بعبادة معينة كالصوم والإعتكاف...

فمن الأول: نذر "عبد المطلب" في الجاهلية إن رزقه الله عشرة أولاد ليدجن عاشرهم قربانا للكعبة، وكان ابنه العاشر هو عبد الله.<sup>2</sup>

ومن الثاني نذر "ثبيلة" زوج عبد المطلب لما افتقدت ابنها "العباس" وهو صغير أنها إن وجدته لتكسون الكعبة الديباج ففعلت.<sup>3</sup>

ومن الثالث: النذر الذي كان شائعا في الجاهلية وهو السائبة وهو الوصيلة والحام، قال تعالى: ﴿

مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ يَعْقِلُونَ﴾ المائدة 103.

عن سعيد بن المسيب<sup>4</sup> قال: البحيرة: التي يُمنعُ ذرّها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: والسائبة: كانوا يسيبونها لأهنتهم لا يحمل عليها شيء، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يُجرّ قصبه في النار، كان أول من سيب السوائب».

والوصيلة: الناقة البكر، تُبكر في أول نتاج الإبل، ثم تُثنّى بعد أنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.

والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه عن الحمل، فلم يُحمل عليه شيء وسّموه الحامي.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> الفخر الرازي، المصدر السابق، ج7، ص75.

<sup>2</sup> عبد الرحمن السهيلي، المصدر السابق، ج1، ص271، وفعل "عبد المطلب" أشكل عليّ فإنه لم يكن فيهم ودليله أن قريشا منعتة وقالت له لو فعلت تتخذة العرب سنة، وإن لم يكن معروفا عندهم فمن أين أتى "عبد المطلب بهذا النذر؟

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج4 ص65، عبد الرحمن السهيلي، المصدر السابق، ج1، ص181.

<sup>4</sup> سعيد بن المسيب: بن حزن بن أبي وهب بن عمرو الإمام العَلَم، القرشي المخزومي عالم أهل المدينة وسيد التابعين في زمانه، وُلد لستين مضتا من خلافة عمر رضي الله عنه ومات سنة أربع وتسعين ص245، ابن سعد، المصدر السابق، ج7، ص119-120.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام)، ج3، ص22، [رقم 4623]، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، ص1307-1308 [رقم 2856].

كما ظهرت هذه القرابين في التّسمي بأسماء الآلهة أفراداً وقبائل مجاهرة بالعبودية لها والتبرك بها، كعبد شمس، عبد مناف، عبد ود، زيد اللّات، تيم اللّات، وعُطارد -حي من سعد وقيل بطن من تميم رهطُ أبي رجاءِ العطاردِيّ<sup>1</sup> -...

وكالحلف بأسماء الآلهة تعظيماً لها واللّات والعزى وتقدّم النذور والقرابين لها واستخارتها في كل أمر مما مر معنا في الجانب العقدي...

---

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج 33، ص 2995.

## المبحث الثاني: صورة الحياة الأخلاقية للمجتمع العربي قبل الإسلام من القرآن الكريم

### المطلب الأول الصورة الخلقية المحمودة للعرب:

#### الفرع الأول: الجود والكرم

إكرام الضيف القريب أو الغريب خُلِقَ دَانَتْ به العرب في الجاهلية وتغنت به، وهو بعض ميراث أبيهم ابراهيم -عليه السلام- قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ \* إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلِّمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ \* فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ \* قَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ الذَّرَايَاتِ 24 - 27.

المفسرون على أن هذه الآيات انتظمت آداب الضيافة؛ فإبراهيم -عليه السلام- جاء بأفضل ما وجد من طعام وهو عجل فتى سمين مشوي من حيث لا يشعرون وبسرعة، ولم يمتن عليهم أولاً فقال: "نأتيكم بطعام؟" ثم قرَّبَهُ إليهم، ووَضَعَهُ بين أيديهم، وتلطف في دعوتهم<sup>1</sup> فقال: ﴿ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ وكان وزوجه القائمين على خدمتهم قال تعالى: ﴿ وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ ﴾ هود 71، مع أنه لا معرفة له بهم ولا اختبرهم ولا يعلم سبب حضورهم لخير يصيبه أو لشر يمسّه. والعرب أيضاً أحبّت دخول الضيوف عليهم حتى إنهم أوقدوا ناراً تسمى "نار القري"<sup>2</sup> أو الضيافة توقد ليلاً ليستدل بها المسافرين ويأتونها، ويُرْوَى أَنَّ "حاتماً الطائي"<sup>3</sup> في الجاهلية وهو من أحوذ الناس وأكرمهم للضياف، إذا اشتد البرد أمر غلامه أن يُوقِدَ ناراً لينظر إليها من أضلّ الطريق فيأتيه ويخاطب غلامه قائلاً:

أوقد فإن الليل ليل قر  
والريح يا موقد ريح صر [الزجر]  
عل يرى نارك من يمر  
إن جلبت ضيفاً فأنت حر<sup>4</sup>

<sup>1</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 13، ص 218.

<sup>2</sup> محمد أمين البغدادي، المصدر السابق، ص 119.

<sup>3</sup> حاتم الطائي [46ق هـ - 578م]: هو ابن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، وأمه "عنبه بنت عفيف من طيء، شاعر جواد جاهلي، من أهل نجد، زار الشام فتزوج "ماوية بنت حجر" الغسانية، مات في السنة الثامنة من مولد النبي ﷺ، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج 1، ص 241، البغدادي، ج 3، ص 127.

<sup>4</sup> حاتم الطائي، ديوان، ت أحمد رشاد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1401 هـ - 1981 م)، ص 29، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ت مفيد محمد قميحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1983 م)، ج 2، ص 242.

و"حاتم" إنما ورث هذا الجود والسخاء عن والدته، واسمها "غنيبة بنت عفيف بن عمرو بن امرؤ القيس" امرأة موسرة لا تمسك شيئاً سخاءً وجوداً وكان إخوتها يمنعونها فتأبى فحبسوها في بيت سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عمّا تصنع ثم أخرجوها ودفَعوا إليها صرمة<sup>1</sup> من مالها وقالوا استمتعي بما فأتتها امرأة تسألها فقالت لها: دونك هذه الصرمة فقد والله مسني من الجوع ما آليت أن لا أمتع سائلاً شيئاً.<sup>2</sup>

وكانوا يؤخرون العشاء رغبة في ورود الأضياف واجتماع الأكلة بعد انقضاء حاجاتهم وعودهم من مسارحهم وغاراتهم، ولأن بلادهم حارة الهواء فكلما ذهب من شدة برد الليل كان الطعام أمرى، والشاهية أدهى<sup>3</sup>، ثم يُقدّمون قري الضيف على محادثته لأن الغالب على المسافر الجوع والتعب فيروح عنه بالطعام ثم يروّح عنه بالحديث، وهو دليل على ذوق سليم عند العرب.<sup>4</sup>

وكان شرب الخمر ولعب الميسر من العادات المحمودة التي يفتخرون بها لأنهما سبيلان لإطعام المساكين والمحتاجين، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ البقرة 219، ولهذا سمو الخمر "كرماً" و"راحاً" لأن شاربها يرتاح للبقاء ويخف به<sup>5</sup>، قال عنترة بن شداد:

فإذا شربتُ فإني مُستهلكٌ مالي وعرضي وأفرُّ لَمْ يُكَلِّمْ<sup>6</sup> [الكامل]

وصفة الميسر هي عشرة أقداح وهي الأزلام، الأرقام، الفذ، التوأم، الرقيب، المجلس، النفس، المسيل، المعلى، المنيح، السفيح، الوغد، لكل واحد منهما نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤها عشرة أجزاء، وقيل ثمانية وعشرين جزءاً إلا لثلاثة وهي المنيح، السفيح، الوغد، ويجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن

<sup>1</sup> الصرمة: القطعة من النخل أو الإبل، ابن منظور، لسان العرب، مج4، ج28، ص 2439.

<sup>2</sup> إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص262-263.

<sup>3</sup> محمود شكري الألويسي، بلوغ الأرب، ج1، ص371.

<sup>4</sup> أحمد كاشم، الأمثال العربية القديمة قيمتها ودورها في تصوير الحياة الاجتماعية، إشراف الأخضر عيكوس، رسالة ماجستير،

(جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، 1425هـ-2004م)، ص205.

<sup>5</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج 42، ص 3861-3863.

<sup>6</sup> عنترة بن شداد، ديوان، ت مجيد طراد، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م)، ص169.



خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيئاً وغُرم ثمن الجزور كله، وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه "البرم".<sup>1</sup>

ومن كرمهم إطعام الحجيج وسقايتهم وتكليف وفادتهم من حرّ أموالهم، كان "قصي" أوّل من أحدث وقيد النار بالمزدلفة ليهتدي إليها من يأتي من عرفات، وهو أيضاً أوّل من أحدث الرّفاة وهي إطعام الحجيج أيام الموسم إلى أن يخرجوا راجعين إلى بلادهم، وفرضه على قريش حين خاطبهم قائلاً: إن الحاج ضيف الله وزوّار بيته وهم أحق بالضيافة فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدّروا عنكم فكانوا في كل عام يخرجون من أموالهم فيدفعونه إليه فيصنع طعاماً للناس أيام منى وجرى العرب على هذا زمن الجاهلية حتى الإسلام<sup>2</sup>، وعدّوا هذا أفضل أعمالهم وكانوا يفخرون<sup>3</sup> به قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ التوبة 19.

ودواعي الكرم مختلفة فمنهم من كان يسعى إلى:

أ- تحقيق التوازن الاجتماعي بين الموهوبين والمحرومين ويظهر في اقتسام بعضهم للمال المغصوب مع الآخرين كما كان يفعل الصعاليك.

ب- إثبات النفس وتحقيق الوجود: حيث كانوا يشتركون أحاديث المجد والبقاء بالبدل ليمتدحوا بالأشعار، قال طرفة:

فإن ميتٌ فأنعني بما أنا أهلٌ وشقّي عليّ الجيبُ يا ابنةَ مَعْبَدٍ<sup>4</sup> [ الطويل ]

ومن أمثالهم: "ادفع الشر بعود أو بعمود" أي: إذا أتاك السائل فلا ترده بعطية قليلة أو كثيرة تقطع بها لسانه فلا يذمك.<sup>5</sup>

ولعله من أجل هذا يكثر في الرجال دون النساء اللاتي اتصفن بالحرص، قال حاتم لزوجه وقد لامته على جوده:

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج1، ص428.

<sup>2</sup> إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج3، ص23-239.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج11، ص378-381.

<sup>4</sup> طرفة بن العبد، المصدر السابق، ص37.

<sup>5</sup> أحمد كاشم، المرجع السابق، ص145.

أماويّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ وَيَقِي من المالِ الأحاديثُ والذِّكرُ<sup>1</sup> [الطويل]

ج- تأمين المستقبل: وتحقيق الأمان الاجتماعي؛ فإن اشتهر الفرد بالكرم وقت الرخاء، بُدِّلتْ له المعونة زمن الحاجة والفقْر<sup>2</sup>.

د- طريق لنيل السؤدد والرياسة وشَرْطُهَا، قال حاتم الطائي:

يقولون لي أهلكت مالك فاقصد وما كنت لولا ما تقولون سيّدا<sup>3</sup> [الطويل]

والبخل صفة يُعَيَّرُونَ بِهَا قال حاتم الطائي مخاطباً زوجته:

إذا ما صنعت الزّاد فالتسمي لهُ أَكِيلاً فإني لستُ أَكِلُهُ وحمدي [الطويل]

أخاً طارقاً أو جَارَ بيتِ فإني أَخافُ مَذَمَاتِ الأحاديثِ من بعدي<sup>4</sup>

الفرع الثاني الوفاء بالعهود: قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾ البقرة 177.

إذا كان العرب ورثوا عن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- الجود مع الأضياف كما مر معنا سابقاً

فقد ورثوا عن ولده إسماعيل -عليه السلام- صدق الوعد والوفاء بالعهد والميثاق، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُنِي

الْكَتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ مريم 54، وهو خُلِقَ والده أيضا قال تعالى: ﴿

وَابْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ النجم 37.

والوفاء تصديق القول بالعمل عند التعاقد بين طرفين وأن يصبر على كل ما يصيبه لإنفاد

هذا الوعد حتى لو كان فيه هلاكه، و ضد الوفاء الغدر والخيانة وهو إبطال نقض ما وقع عليه

تعاقد من دون إعلان بذلك النقض<sup>5</sup>، وهي مَذَمَةٌ يجتهدون في اجتنابها خوفاً من الفضيحة والمسببة

والمسببة بين الناس، فقد روي أنه كان يُعَقِّدُ لكل غادر لواءً بسوق عُكاظٍ للتشهير به.

وإذا غدر الرجل بجاره أوقدوا النَّارَ بمِئَةِ أيام الحج على أحد الأخشبيين وتسمى "نار الغدر"،

<sup>1</sup> حاتم الطائي، ديوان، دت، (دار صادر، بيروت، دط، 1401هـ-1981م)، ص 23.

<sup>2</sup> صالح مفقودة، القيم الأخلاقية للعربي من خلال الشعر الجاهلي، (جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، العدد الأول، نوفمبر 2001، ص 189-190 بتصرف.

<sup>3</sup> حاتم الطائي، ديوان، ت أحمد رشاد، المصدر السابق، ص 18.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 19.

<sup>5</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ج 9، ص 322.

وربما نصبوا له مثال من طين ويصيحون هذه غدره فلان ليحذره الناس.<sup>1</sup>

وقصص الوفاء عند العرب كثيرة منها قصة "السّمؤال بن عاديّ الغساني" <sup>2</sup> وكان من وفائه أن "امرئ القيس" لما أراد الخروج إلى قيصر استودع السّمؤال دروعاً، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام فتحرز منه السّمؤال، فأخذ الملك ابناً له وكان خارجاً من الحصن فصاح الملك بالسّمؤال فأشرف عليه فقال هذا ابنك في يدي وقد علمت أن امرؤ القيس ابن عمي ومن عشيرتي وأنا أحق بميراثه فإن دفعت إليّ الدروع وإلا ذبحت ابنك، قال أجّلني فأجله فجمع أهل بيته ونساءه فشاورهم فكلُّ أشار عليه أن يدفع الدروع ويستنقذ ابنه، فلما أصبح أشرف فقال ليس إلى دفع الدروع سبيل فاصنع ما أنت صانع فذبح الملك ابنه وهو ينظر إليه ثم انصرف الملك خائباً، فوآق السّمؤال بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثة امرئ القيس.<sup>3</sup>

ومن الوفاء بالعهد الوفاء بالأحلاف التي كانت تعقد بين القبائل طلباً للنصرة وتوسيعاً للقوة وحماية للضعيف وللمصالح المشتركة كغزو قبيلة مثلاً أو دفاعاً من خطر محقق بها<sup>4</sup>، ومن الأحلاف التي عقدت في قريش قبل البعثة "حلف لعقة الدم"، وحلف "المطييين" على إثر تحاصم قريش حول تولي المناصب الدينية التي ورثها أبناء "عبد الدار" دون أولاد "عبد مناف"، فلما استعدوا للقتال قرّبت "بنو عبد الدار" حفنة مملوءة دمًا، ثم تعاقدوا هم و"بنو عدي بن كعب بن لؤي" على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا بلعقة الدم. وفي معلقة الحارث بن حلزة اليشكري<sup>5</sup>:

<sup>1</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج2، ص162، وج3، ص28.

<sup>2</sup> السّمؤال بن غريض بن عاديّ الأزدي، [65ق هـ—560م] شاعر جاهلي حكيم من سكان خيبر، مان ينتقل بينها وبين حصن له سمّا "الأبلق"، أشهر شعره لاميته: إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج3، ص140.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج1، ص136.

<sup>4</sup> حواد علي، المرجع السابق، ج4، ص374 بتصرف.

<sup>5</sup> هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن بُدَيْد بن عبد الله من بني بكر بن وائل، كان أبرص ومعنى الحلزة اختلفوا فيه أهي دوية أو أو نبتة أو صفة ذميمة تعني القصر أو البخل، قال عنه أبو عبيدة: أجود الشعراء قصيدةً واحدةً طويلةً ثلاثة نفر: عمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة وطرفة بن العبد، ابن قتيبة، الشعر والشعراء ج1، ص197، محمد بن سلام الجمحي، المصدر السابق، ج1، ص151، عبد القادر البغدادي، مرجع، ج1، ص325.

وَأذْكَرُوا حِلْفَ ذِي الْمَجَازِ وَمَا قُدَّ دِمَّ فِيهِ الْعُهُودُ وَالْكَتَفَاءُ [الخنيف]  
حَدَرَ الْجَوْرَ وَالتَّعَدَّى وَهَلْ يَنْقُضُ مَا فِي الْمَهَارِقِ الْأَهْوَاءُ<sup>1</sup>

وذو المجاز موضع جمع به عمرو بن هند "بكرا وتغلب" وأصلح بينهما، وأخذ الوثائق والرّهون فيذكر الشاعر بهذا العهد الذي كان منّا بهذا الموضع، وتقديم الكُفلاء فيه حتى لا تتعدى إحدى القبيلتين على الأخرى ولا يُنقض ما كتب في المهاريق، وهي خرقة تُطلى ثم تُصقل ويُكتب عليها.<sup>2</sup>

وكقول زهير بن أبي سلمى<sup>3</sup> في معلقته:

ألا أبلغ الأَخلاف عَنِّي رسالةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْسَمٍ<sup>4</sup> [الطويل]

<sup>1</sup> الحارث بن حلزة، ديوان، ت. اميل بديع يعقوب، (دار الكتاب العربي، ط1، 1411هـ-1991م)، ص36، حسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ت عمر حافظ، (دار القدس، القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م)، ص236.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص236.

<sup>3</sup> زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني: شاعر جاهلي كان يتأله ويتعفف في شعره مؤمناً بالبعث، ويروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: أنشدوني لأشعر شعراتكم، قيل: ومن هو قال زهير، قيل: ولم صار كذلك؟ قال: كان لا يعاظم بين القول، ولا يتبع حوشي الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه، ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص137-138-141.

<sup>4</sup> الحسين بن أحمد الزوزني، المصدر السابق، ص130، زهير بن أبي سلمى، ديوان، ت محمد طماس، (دار المعرفة، بيروت، ط2، 1426هـ-2005م)، ص67.

### الفرع الثالث: الجوار والنصرة قال تعالى: ﴿وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾

التوبة<sup>6</sup>

ومن تمام الوفاء بالعهود نصرّة المظلوم والأخذ على يد الظالم وتأمين الخائف وهو ما عُرفَ عند العرب بالجوار.

والجوار لغة: مشتق من "الجار" وهو الحليف والتّاصر، والمرأة جارة زوجها لأنّه يُجيرها ويمنعها ولا يعتدي عليها، والجار والمجير والمعيد واحد، ويقال للذي يستجير بك: جار، وللذي يجير جاراً، والجار: الذي أجرته من أن يظلمه ظالم<sup>1</sup>.

-إصطلاحاً: والاستجارة طلب الجوار، وهو الكون بالقرب، وقد استعمل مجازاً شائعاً في الأمن لأن المرء لا يستقر في مكان إلا إذا كان آمناً.<sup>2</sup>

ورد ذكر الجوار في القرآن الكريم في سورة الأنفال 48، التوبة 06، المؤمنون 88، الملك 28، الجن 22 بالصيغ التالية: يُجير، يُجيرني، جاراً، استجارك، ومعنى يجير يغيث ويمنع من يشاء من الأذى، ومصدره الإجارة فيفيد معنى الغلبة.<sup>3</sup>

وللجوار صلة كبيرة بالنسب والعصية عند العرب فقد يتوثق الجوار وتتقوى أواصره فيصير نسباً، وهو من السنن التي حافظ عليها الجاهليون، فإذا استجار شخص بآخر، أو استجارت قبيلة بأخرى، اكتسب هذا الجواز صيغة قانونية، ووجب على المجير المحافظة على حق الجوار وإلا نزلت السبة بالمجير، وازدراه الناس ويكتسب الجوار حكمه باعلان الطرفين قبولهم له على الملأ في أماكن الاجتماع في الغالب في مثل المواسم من حج أو سوق فإذا أعلن ذلك وعلم الناس الخير صار المجر في ذمة المجير وترتب على المجير أن يكون مسؤولاً عن كل ما يقع على المجير وما يصدر منه.<sup>4</sup>

وكان الجوار في الجاهلية سبباً للعديد من الحروب كحرب الفجار التي وقعت حين كان عمر النبي ﷺ عشرين سنة، بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان، وسببها أن رجلاً يدعى

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص 723.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج10، ص 118.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج18، ص 111.

<sup>4</sup> حواد على المرجع السابق، ج4، ص 360.

"عروة الرِّحَال" أجاز لطيمة للنعمان بن المنذر فقال له "البرّاض بن قيس من كنانة" أجيروها على كنانة؟ قال نعم وعلى الخلق، فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى وثب عليه فقتله في الشهر الحرام فلذلك سمي الفجار، فأتى آت قريشاً، فقال: إن البرّاض قد قتل عروة وهم في الشهر الحرام بعكاظ، وبلغ هوازن الخبر فتبعوهم فأدر كوههم قبل أن يدخلوا الحرام فاقتلوا<sup>1</sup>.

وأثر الجوار بعض المعاهدات كحلف الفضول: ومضمونه نُصرةُ المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه، وكان سبب إنشائه أن رجلاً من "زُبَيْد" قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاص بن وائل<sup>2</sup>، وكان من أشرف قريش، فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف فأبوا نصرته وإعانتته، فصعد إلى أبي قبيس وصاح بأعلى صوته:

يا أهل فِهرٍ لمظلومٍ بضاعه      بطن مكة نائي الدار والنفر  
ومُحرمٍ أشعث لم يقض عمرته      يا للرجال وبين الحجر الحجر  
إن الحرام لمن تمت كرامته      ولا حرام لثوب الفاجر العُدر

فاجتمع: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة، في دار "عبد الله بن جدعان" لشرفه وسنه فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد له عليه مظلّمته وسموه "حلف الفضول"<sup>3</sup>.

وليس شرطُ الجوار والنصرة اتحاد الآراء وتقاطع المصالح بل هو استجابة لداعي المروءة وإغاثة للمستجير طورا عند لجوء المحتاج إليه، وصلة للأرحام والقربى طورا آخر، فقد نصّر أبو طالب "النبي ﷺ" وهو ليس على دينه، ونصّره بنو هاشم وبنو المطلب حين دعاهم "أبو طالب" لذلك مكثوا في الشعب ثلاث سنين مسلمهم وكافرهم، وأجاز المطعم بن عدي - وهو كافر - النبي

<sup>1</sup> ابن هشام، ت عمر عبد السلام تدمري، المصدر السابق، ج 1، ص 209-210.

<sup>2</sup> العاص بن وائل بن هاشم السهمي القرشي [ نحو 3ق.هـ - 620م ] أحد الحكام في الجاهلية، كان على رأس بني سهم في حرب الفجار [ 33ق.هـ - 551م ] والذ الصحابي عمرو بن العاص، أدرك الإسلام لكنه أشرك ومات على ذلك سنة 620م، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 3، ص 247.

<sup>3</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص 153، عبد الرحمن السهيلي، المصدر السابق، ج 2، ص 63.

ﷺ عند رجوعه من الطائف ورغبته في دخول مكة.

والنصرة قد تتعرّى عن بُعدها الإنساني الممدوح إلى العصبية والحمية المذمومة، قال تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ﴾ الفتح 26، وأثر عن العرب قولهم "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"، أي كن معه نصيراً وحليفاً سواء كان على الحق أو الباطل وهو عندهم من الفضائل التي يفتخرون بها، قال قريظ بن أنيف<sup>1</sup>:

قوم إذا هتف الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهرة أو سافع

لا يسألون أحاهم حين يندبهم في النَّائباتِ على ما قال بُرهاناً<sup>2</sup>

**\*\*موقف الشرع من أخلاق عرب الجاهلية الحمودة:**

صدّق العربي إذ كان كرمه مع الأضياف شائع ولا ينكره إلا جاحد، تناقلته الأخبار وتناشده الشعراء وهو خلق نبيل يدل على صفاء النفس وطيبتها عندما تتخلى عن أنانيتها وتقدم الآخرين على نفسها مع أن الظروف مؤذنة بملاكتها، هكذا أرادنا العربي أن نتصوره وبهذا الأخلاق أرادنا أن نتذكره، ولكن هل تنطبق هذه المواصفات مع شهادة القرآن فيهم؟.

لقد كان العربي جواداً، قال تعالى: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بَدَأَ﴾ البلد6، يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يُسمونها مكارم، ويدعوها معالي ومفاخر<sup>3</sup>، وكان يصارع الغريزة النفسية التي جُبلت على حب المال، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبَّ جَمًّا﴾ الفجر 20، ليس لصلاح طوية، ولا لآثرة حُلُقية بل طلباً لمترلة اجتماعية، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ البلد7، حين كان ينفق رثاء الناس<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> قُرَيْظُ بْنُ أُنَيْفِ بْنِ الْعَنْبَرِيِّ التَّمِيمِيِّ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ فِي حَيَاتِهِ غَمُوضٌ، وَمِنْ أَحْبَابِهِ أَنْ بَعْضُ شَيْبَانَ "أَغَارُوا عَلَيْهِ وَأَخَذُوا ثَلَاثِينَ بَعِيرًا لَهُ وَخَذَلَهُ قَوْمُهُ فَاسْتَنْجَدَ بِنَبِيِّ مَازَنَ، فَنَهَبُوا مِنْ بَنِي شَيْبَانَ مِئَةَ بَعِيرٍ وَدَفَعُواهَا إِلَيْهِ، خَيْرَ الدِّينِ الزُّرْكَلِيِّ، الْمَرْجِعِ السَّابِقِ، ج 5، ص 195.

<sup>2</sup> والمعنى أنهم إذا دعوا إلى الحرب أسرعوا غير سائلين من دعاهم وفيهم، والسَّافِعُ: الأَخَذُ بِنَاصِيَةِ فَرَسِهِ، أَبُو تَمَّامٍ، شَرَحَ دِيْوَانَ الْحَمَّاسَةِ، شِجِّي بْنِ عَلِيِّ التَّرِيزِيِّ، (دَارُ عَالَمِ الْكُتُبِ، بَيْرُوتَ، دَط، 2008م)، ج 1، ص 9.

<sup>3</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 6، ص 376-377.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ج 6، ص 376-377.

القرآن الكريم عندما يتحدث عن العرب وأخلاقهم المالية يسميهم بالبخلاء وبسوء الأخلاق، وينفي عنهم الكرم الذي ادّعوه بل يخبرنا بأنهم كانوا يتواصون بخلافه، قال تعالى: ﴿مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٌ \* عَتِلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ القلم 12-13، والعُتْلُ هو الفظ الغليظ المتنوع<sup>1</sup>، ولننظر إلى طبقتين من المجتمع العربي وكيف عوملت عندما سألت وعندما سكت:

\* اليتيم: فمن معاملتهم لليتامى ما وصفه الله تعالى بقوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ الفجر 17، وترك إكرام اليتيم على وجوه أحدها ترك برّه وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْضُونَهُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الفجر 18، والثاني دفعه عن حقه الثابت له من الميراث وأكل ماله وإليه الإشارة في قوله تعالى ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ أَكْلًا لَمَّا فَجَرَ 19﴾، والثالث أخذ ماله منه وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ الفجر 20، أي تأخذون أموال اليتامى وتضمونها إلى أموالكم<sup>3</sup>.

ومن معاملتهم لليتامى القسوة والغلظة، قال تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ الماعون 2، والدَّعُ: الدَّفْعُ دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى والرُّدُّ رداً قبيحاً بزجر وحشونة<sup>4</sup> وما يطلبه اليتامى هو بعض ما لهم الموصى به إليهم لكنهم يستولون عليه، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ النساء 2.

وإن كان اليتيم أنثى اجتهد وليها الموصى بها في التحايل للاستيلاء على مالها ومنعها من الانتفاع به، ثم يتزوجها طمعاً ويجمع معه عدم إيفائها مهرها، قال تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَّرِيئًا﴾ النساء 4.

وإن تزوج الرجل منهم امرأة شريفة فلم يتفق معها أبي أن يطلقها حتى تتنازل له عن مهرها، فإن كانت ذات مال وألحت في المطالبة بالتفريق أعطها بعضاً من حريتها على أن يملك التصرف

<sup>1</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 14، ص 90.

<sup>2</sup> وقال تعالى: (وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ) الحاقة 34، (فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ \* وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ)

الماعون 2-3

<sup>3</sup> الفجر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 31، ص 173.

<sup>4</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 6، ص 440 و ج 32، ص 122.



في شؤونها فلا تتزوج إلا برضاه ويكتب عهدا بينهما ويُشهدُ عليه، فإن أعطته مالها حلّى سبيلها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذَهَبُوا بِبَعْضِ ءَأْتِيَتُهُنَّ﴾ النساء 19، أي لا تضاروهنّ في العشرة لتترك لك ما أصدقتهن أو بعضه.<sup>1</sup>

وكانت معاملتهن للمساكين تتسم بالبخل والغلظة قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الحاقة 34، وقال: ﴿وَلَمْ تَكُ نَظْمِ الْمَسْكِينِ﴾ المذثر 44، وقال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الماعون 7، وسواء كان المقصود بالماعون مالا، أو ملحاً وماءً وناراً، أو ما يستعان به على عمل البيت كالآنية وآلات الطبخ كالقدر وآلات الشدّ والحفر كالفأس والدلو ونحو ذلك مما لا حسارة على صاحبه في إعارته وإعطائه فقد دلّ على ذمّ لهم بمنتهى البخل؛ لأن البخل بها نهاية في السدانة والركاكة وسوء الخلق ولؤم الطبيعة.<sup>2</sup>

وأسوء منه أن يكون البخل مع الأهل وعند وليهم سعة، فهذا أبو سفيان بن حرب كان من الأشراف الأثرياء على بخل فيه في النفقة على أهل بيته حتى كانت زوجته هند تحتلس من ماله، ولما أُسِرَ ولده "عمرو" في غزوة بدر رفض افتدائه وقال: أجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة وأفدي عمرا دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم".<sup>3</sup>

وطوى دعوى تغنيهم بفك العاني والأسير والإحسان إلى القريب والمسكين في يوم الضيق طي الكتاب حين قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَمِ الْعُقَبَةَ﴾<sup>4</sup> وَمَا أَدْرَكَ مَا الْعُقَبَةُ \* فَكُ رِقَبَةٍ \* أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ<sup>5</sup> \* يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ \* أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ<sup>6</sup> \* البلد 11-16.

<sup>1</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص399

<sup>2</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 32 ص115-116، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج30، ص 568.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص466.

<sup>4</sup> القحمة: المهلكة والسنة الشديدة، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج22، ص297.

<sup>5</sup> المسغبة: السعْبُ الجوع أي في يوم عزيز فيه الطعام، المصدر نفسه، ج22، ص303.

<sup>6</sup> متربة: أي لا شيء له، حتى كأنه قد لصق بالتراب من الفقر، المصدر نفسه، ج 22، ص304.

الإنسان أفعال وأقوال تطلب المحبة في قلوب الناس والذكر الخالد الذي ، وإن كان الموت يقطع الذكر فإن الأعمال غير الاعتيادية والجهة عمراً صرمدياً، ليرضي غريزته في حب البقاء والإمتلاك، فأخذ كل واحد يحتط لنفسه طريق عظمة يُذكرُ بها دون غيره فمنهم من ضرب به المثل في الجود والكرم، ومنهم من ضرب به المثل في الوفاء وآخر في الشجاعة....

والبروز والعظمة إنما تكون بالمخالفة، لذا فتعميم خلق الكرم على العرب جميعاً مغالطة، وإلاً لما انتهى الجود إلى ثلاثة منهم دون غيرهم<sup>1</sup> ، كما أن تعميم البخل والشح فيهم مغالطة تاريخية وطبيعية فمجرد تغلب الإنسان على حبه للمال وبدله له إبطالاً لصفة البخل والشح التي قُذِفَ بها، وإن كانت نيته مذمومة شرعاً.

لقد كان عند العربي ازدواجية خلقية يُقَلِّبُها كيف يشاء بحسب الحال والمصلحة يكرم الأضياف ومن يرجى نفعه ويخشى ضرره، ويحتقر الفقراء والمساكين ويمنعهم من أيسر الأشياء بل ومن بعض حقوقهم، وإن حدث وأعانوهم فلا يتم ذلك إلا بتحقيق لذة وتسلية كشرب خمرة ولعب ميسر، وأي فضل للإنسان وهو لا ينفق ماله إلا عند ذهاب عقله، أو بعد تحصيل متعته من اللهو، وهل يكون الدفع جبراً نتيجة لقرعة وقداح يتداولونها فضيلة، وهل يمدح الإنسان إلا بالعمل الذي يدركه وترضاه نفسه ومروءته ويكابدُ فيها شهوته، ويخالف هواه ويؤثرُ بها من بُدِلَتْ له عن اختيار وتفضُّل؟.

فإن قيل إن حب النفس والمال والذكر غريزة في النفس فلا يؤاخذ الإنسان بها، ويحق للعربي أن يمدح نفسه لأنه خالف هواه وآثر غيره به ولو كان الهدف من هذه الأعمال هو إرضاء لذاته التي تطالب بالبروز والظهور فلا يُلام لأنه لا شريعة له تؤسس له الخطأ من الصواب.

قلنا إن في النفس إحساساً بالخير وبالشر ألهمها الله إياها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الشمس 7-8، وزوَّدَ الإنسان ببصيرة أخلاقية، قال تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ\* وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَاذِرَهُ﴾ القيامة 14-15، وقد هُدي التمييز بين طريق الفضيلة والرذيلة، قال تعالى: ﴿وَهَدَيْتُهُ التَّجْدِينَ﴾ لهذا يُحسُّ كلما قصر في واجبه أنه هبط إلى مستوى غير خالق به

<sup>1</sup> وهم "حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهرم بن سنان المرّي، وكعب بن مامة الإيادي"، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ت مُفيد محمد قمحية، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1404هـ-1983م) ج2، ص 241-242.

معترفاً ضمناً بأنه مخلوق نبيل قد زلَّ، ولم يفعل القرآن سوى إيقاظ هذا الشعور.<sup>1</sup>

ولم تكن هذه المشاعر والأحاسيس الإنسانية لتطراً على قلب العربي لأنه طمسها، كان الشعور الوحيد الذي يسعى لحفظه أن لا يهبط مستواه في عيون الحكام الاجتماعيين، أمّا الرأفة والرحمة بالمسكين فلا كان خلقاً تحلوا به ولا تناصحوا به ولا عيّر مرتكبه؛ فجمعوا بين بخل المال والأخلاق، وفضح طويتهم المنتكسة سلوك القهر والجفاء، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ \* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ الضحى 9-10، وسلوك الخيانة ونبد العهود والمواثيق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ النحل 91 الأيمان هنا هي العهود<sup>2</sup>، وسبب الغدر الميل إلى الحليف الأكثر قوة وعدداً، قال تعالى: ﴿نَتَّخِذُوكَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمُ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ النحل 92، لأن هذه الآية نزلت في العرب الذين كانت القبيلة منهم إذا حالفتم أخرى، ثم جاءت إحداهما قبيلة كثيرة قوية وعزيزة فداخلتها-الخدیعة والغش- غدرت الأولى ونقضت عهدها ورجعت إلى هذه الكبرى، فنهاهم عن الغدر.<sup>3</sup>

حارب الشُّحَّ والبخل وهو في النفس غريزة<sup>4</sup> بالتدريب على البذل والعطاء، ثم اختبارها ببذل أحب ما لديها، قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ آل عمران 92.

أثنى على الجود والكرم وجعل أعلى مراتبه الإيثار، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر 9، وإنما الثناء للنية الخالصة في مجاهدة النفس الشحيحة والانتصار على هواها ببذل مالها التي تملكه لا كما كان يفعل

<sup>1</sup> محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، ت عبد الصبور شاهين، (دار الرسالة، ط6، 1405هـ-1985م)، ص28 بتصرف.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج14، ص340.

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، لمصدر السابق، ج12، ص419-420، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص349.

<sup>4</sup> استخرجها العلماء من قوله تعالى ﴿وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ النساء128 {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} الحشر9، ومن قوله: (إن الانسان لربه لكنود) العاديات، الكشاف، المصدر السابق، ج6 ص81، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج28، ص94.

الصعاليك من سرقة مال غيرهم ودفعه للمحتاجين لتضييق الدائرة الطبقية ومحاربة الإكتناز الاجتماعي.

أعظم العقاب على الاستيلاء على أموال اليتامى قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ النساء 10، وفي نصه على البطون التشنيع عليهم بصد مكارم الأخلاق من التهافت بسبب البطن.<sup>1</sup>

وبجهم الله تعالى ذكره لافتخارهم بالسقاية وسدانة البيت، وأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهد في سبيله، لا في الذي افتخروا به من السدانة والسقاية.<sup>2</sup>

أما الجوار ونصرة المظلوم اللاجئ مأذون فيه بين الناس، بل يجير المؤمن المشرك إن جاءه مستأمناً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوبة 6.

-أمر بالتثبت في الخبر بقوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصِحُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ الحجرات 6، فالنصرة للحق لا للقرابة والعشيرة.

-أبطل العصبية الضالة ووسمها بالتنانة، وعدل في مفهوم النصرة بقوله ﷺ «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا يا رسول الله هذا نصرة مظلوماً، فكيف نصرة ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه»<sup>3</sup>.

الأخلاق لا تتجزأ و القيم لا تتغير بتغير الأشخاص والظروف، فالكريم يجب أن يكون مع كل الناس وإلا فهي صفة منتحلة لغرض محمود أو مذموم، فلا يأكل مال يتيم ولا يطفف في الكيل والميزان ليحرز أجنس رزق، ولا يسيء إلى النساء ويتحايل في استعمال الحق من أجل اقتطاع مال امرأة، والوفي يجب أن يكون مؤتمناً مع كل البشر وفي جميع الظروف، ولأجل ذلك عقدت المواثيق، فإن غدر وقت الحاجة إليه ونزع يده، فقد خلع ثياب الشرف والمروءة.

<sup>1</sup> ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج2، ص 14.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج11، ص377.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً، ج 2، ص 190، [رقم 2444].

المطلب الثاني الصفات الخلقية المذمومة لعرب الجاهلية :

الفرع الأول: الظلم والجور: قال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الروم 29  
الظلم وَضَعُ الشَّيْءِ فِي غير موضعه، وأصله الجورُ ومُجَاوِزَةُ الحَدِّ<sup>1</sup>، وللظلم في حياتهم صورٌ كثيرة منها:

أ- ظلمهم أنفسهم: بتغييرهم دين ابراهيم -عليه السلام- وإشراكهم مع الله ما ارتضوه من عبادة الأوثان وفيه تسفيه لعقولهم وامتهان لكرامتهم أن يعبدوا حجراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان 13، وبتغييرهم لسنن وشرائع العبادات، كالطواف بالكعبة عراً، يُصَفِرُونَ يصفقون واعتبار فعلهم هذا صلاةً، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ الأنفال 35.

ب- ظلمهم للحق وشهادتهم بالزور؛ فقد ادَّعُوا أَنَّ إتيانهم للفواحش التي كانوا عليها إنما هو استجابة لأمر رباني خضع له الآباء وتبعهم الأبناء قال تعالى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف 28، ومن الفواحش التي أتوها الزنى، قال ابن عباس رضي الله عنه: كانوا في الجاهلية لا يروون بالزنى بأساً في السرِّ، ويستقبحونه في العلانية.<sup>2</sup>

ج- ظلمهم للأنفس بالإعتداء عليها قتلاً واعتبار ذلك كرامةً وفخراً ومنها: قتلهم أولادهم، فعند ولادة الأنثى يَسْوَدُ وجه الرجل غَضَباً وَحَنَقاً على امرأته ويختفي عن أنظار الناس باعتبارها مذمة يُعَيَّرُ بها، فإما أن يستحييها بذلٍ وهوانٍ أو يئدُّها؛ والوَأْدُ من الرجل دفن البنت في التراب حية حتى تموت بعمته، وهو عندهم من المحاميد إذ أثير عنهم قولهم: "وأد البنات من المكرمات"، "ونعم الصهر القبر".

والوَأْدُ من المرأة الرضى والسكوت عمّا يصنع الرجل أو بالإجهاض وهو ما يفسر به نسبة القتل إلى النساء في قوله تعالى في سورة الصف عند أخذ البيعة منهم ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾ الممتحنة 12.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج 31، ص 2756.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، المصدر السابق، ج 9، ص 660.

وقد يُؤخَّرُ الوأدُ أحياناً حتى إذا مَشَتْ البنت وتكلمت وراها الناس قتلها<sup>1</sup>، كأنَّ الوأدَ تنازعه نَفْسُهُ بين غريزة الأبوة وما يُصاحِبُها من العطف والحنان وبين الضغط الاجتماعي والعقدي الذي تُملِيه الأعراف والتقاليد، فإمَّا أن يستجيب لداعي الفطرة فيستحييها أو يستجيب لداعي الشيطان فيعدها، من أجل ذلك نجد القرآن الكريم تارة يُعبرُ عنه بالوَأد، وتارة بالقتل، باعتبار سنِّ المؤؤودة فعند الولادة تُدَسُّ في التراب وعند الكبر تُقتل، وما يؤيد ما ذهبنا إليه أنه جاء عن بعض الصحابة ممَّا حَدَّثُوا به من أمور جاهليتهم أنهم كانوا يقتلون بناتهم بالقائهنَّ في البئر أو الجُبِّ وهو غير الدَسِّ في التراب، أو كانوا يتدوئنَّ بعد ظهور عيب فيهن، كالزرقاء والبرشاء، والشيماء والكشحاء<sup>2</sup> تشاؤماً منهم بهذه الصفات.

وهل كان القتل خاصاً بالبنات أم عمَّ الذكور أيضاً قوله تعالى في: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتُرُونَ﴾<sup>3</sup> الأنعام 137.

لم تأتِ الأخبار بعموم القتل للذكور<sup>4</sup> إلا ما كان من عبد المطلب في التذر الذي أوجبه على نفسه بذبح ولده لله شكراً إن رزقه من الذكور عشراً، وقامت قريش لتمنعه مُحْتَجَّةً عليه بأنه إن فعل صار سُنَّةً وديناً للعرب<sup>5</sup> ما يفهم منه أن هذه العادة لم تكن فيهم.

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 8، ص 98-99-100-104، وج 14، ص 184، وج 28، ص 164 بتصرف يسير.

<sup>2</sup> الزرقاء: العمياء، والبرشاء: من كان بوجهها نقط حمراء وأخرى سوداء و الشيماء من كثرت بها الشامات والكشحاء، السهيلي، المصدر السابق، ج 1، ص 384.

<sup>3</sup> ورد ذكر قتل الأولاد أيضاً في سورة: الأنعام الآية 137-140-151، وفي سورة الاسراء الآية 31، وفي سورة النحل الآية 58-59، وفي سورة الممتحنة الآية 12، وفي سورة التكويد 8-9.

<sup>4</sup> الولد يعم الذكر والأنثى والمقصود به عند الجمهور وأد البنات، وخالف جماعة فقالوا المقصود به جنس الذكور منهم القرطي في تفسيره، ج 9، ص 39 وابن كثير في تفسيره، ج 6، ص 211...

<sup>5</sup> وذلك حين قالوا: لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا؟، ابن هشام، المصدر السابق، ت عمر عبد السلام تدمري، ج 1، ص 176.

والذنب الذي به استَحَقَّتْ البنت القتل هو الإملاق الحاصل<sup>1</sup> لهم أو الفقر المتَّوَقَّعُ حُصُولُهُ، وأنه لا نفع يرتجى منها؛ فهي مَحْلَبَةٌ للعار بالسبي أو الافتِضَاح بالحاجة والفاقة إذا مات والدها فتتهوي إلى الزنى مع حرمانهم لها من الميراث، ولضعفهن عن القتال، وهنَّ مَجْبَنَةٌ للآباء عند لقاء العدو، قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ النعابن 14، وَيُؤْتِرْنَ أَرْوَاجَهُنَّ عَلَى آبَائِهِنَّ، وكان أول من وأد من البنات من القبائل "ربيعة"، و"كندة"، وبنو تميم" وسببه أن بني تميم منعت الإتاوة "النعمان بن المنذر" فوجه إليها أخاه، فاستاق النعم وسى الدراري فوفدت إليه بنو تميم وسألوه النساء فقال النعمان: "كل امرأة اختارت أباه ردت إليه وإن اختارت صاحبها-الذي سبها-تُركت عليه" فكلهنَّ اختارت أباه إلا ابنة "قيس بن عاصم" اختارت صاحبها: "عمرو بن المشمرج"، فنذر "قيس" أن لا تولد له بنت إلا قتلها.<sup>2</sup>

ودافعهم لقتل الأولاد قرينة الله، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ الأنعام 137؛ وإنما كان هذا كله من شرع الشياطين تزينه لهم، وسمي الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله فأشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم.<sup>3</sup>

\* ومن الظلم قتلهم غير القاتل والإسراف في الثأر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ الإسراء 33؛ وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا قتل رجل رجلاً عمداً وليُّ القتل إلى الشريف من قبيلة القاتل فقتله بوليه، وترك القاتل، أو كان الرجل يُقتل فيقول وليه: لا أرضى حتى أقتل به فلانا وفلانا من أشرف قبيلته.<sup>4</sup>

\* من ظلمهم أكل أموال بالباطل كأموال اليتامى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ النساء 10...

<sup>1</sup> الإملاق: فناء الزاد وذهاب المال بالإفلاس، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 658 وح 14، ص 578.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 8، ص 100.

اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 211، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 9، ص 39، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 13، ص 216-217.

<sup>4</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 14، ص 58-587.

كان الظلم فاشيا في المجتمع ويعتبر وسيلة شرعية لإثبات الوجود وأسلوبا دفاعيا، تعبر عنه  
حكمة الشاعر زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يزد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يُظلم [الطويل]<sup>1</sup>

### الفرع الثاني: التفاخر والكبر

التفاخر: هو التَّمَدُّحُ بالخصالِ وعدُّ القدم، والتَّفَاخُرُ التَّعَاظُمُ، والتَّفَخُّرُ التَّعَظُّمُ والتَّكَبُّرُ<sup>2</sup>،  
ويطلق على المفاخرة المباهاة والمساجلة والمنافرة من قولهم "أينا أعزُّ نفرا"؟ والتفأر التحاكم<sup>3</sup>.  
وموضوع مفاخرتهم: هو كل النعم التي منحهم الله إياها في الحياة ليتمتعوا بها ويشكروا الله  
عليها، فقلِّبوا الشكر كُفْرًا والتحدث بالنعمة مُبَاهَاةً وكِبْرًا، ومما تفاخروا به:

\* الإعتداد بالنسب: فلكل قبيلة جد تنتمي إليه وتفخر بمآثره قال تعالى: ﴿أَلَهْمُكُمُ التَّكَاثُرُ﴾\*

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿التكاثر 1-2﴾، وهذه السورة نزلت في بني عبد مناف وبني سهم من قريش  
تفاخروا فتعادوا السادة والأشراف من أيهم أكثر عدداً فكثرت عبد مناف بني سهم، ثم قالوا نعدُّ  
موتانا حتى زاروا القبور فعادوا القبور فكثرتهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا أكثر عدداً في  
الجاهلية.<sup>4</sup>

واشتهرت بعض القبائل والعشائر والبيوت بنعوت لازمتها في الجاهلية وامتدت إلى الإسلام فقد  
عرف "بنو مخزوم" و"بنو جعفر بن كلاب" بالتيه والكبر، واشتهرت "طيء" بالجدود،  
وعرفت "باهلة" باللؤم، واشتهر "بنو ثعل" بالرمي "وبنو مذلب" بالقيافة، "وبنو لهب" بالعيافة، "وإياد"  
بالخطابة، "وخزاعة" بالجوع والأحاديث<sup>5</sup>...

\* الطعن في الأنساب: قال تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هَمْزٍ لَمَزَةٍ﴾<sup>1</sup>؛ والهمز وهو أن يعيب  
أحدًا أحدًا بالإشارة بالعين أو بالرأس بحضرته أو عند توليه، واللمز: المواجهة بالعيب كالإشارة إلى

<sup>1</sup> زهير بن أبي سلمى، المصدر السابق، ص70.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج38، ص3361.

<sup>3</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج1، ص288.

<sup>4</sup> علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ص464.

<sup>5</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج4، ص339.



نقيصة أو التلفظ بها<sup>1</sup>، وتعبير الإنسان بأبويه أو بأحدهما إذا كان بهما أو بأحدهما مثلية ومنقصة يؤاخذ عليها كأن يكون "ابن أمة" أو "ابن سبي" يبيع في السوق، أو كان والده "قينا" صاحب حرفة كالحداد<sup>2</sup> فيعيرون العبد ويدعونه "الزّينم" قال تعالى: ﴿عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْنِمٍ﴾ القلم 13 والزّينم اللّصيق؛ وهو من يكون دعيّاً في قومه ليس من صريح نسيهم، إما بمغمز في نسبه، أو بكونه حليف في قوم أو مولى أو في نسبه غضاضة من قبل الأمهات ومن ذلك قول حسان بن ثابت في هجائه لأبي سفيان وكانت أمه مولاة :

وأنت زينم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرذ

وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ووالدك العبد<sup>3</sup> [الطويل]

\*الإعتداد بكثرة المال والولد: قال تعالى ﴿أَلَهْنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ التكاثر 1

والتكاثر: التباري في الكثرة والتباهي بما بأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر<sup>4</sup>، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا\* وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ المدثر 13.

تفاخروا بكثرة الولد لأن فيه عزّة ومنعة لوالده: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَدِّيْنَ﴾ سبأ 35، وامتداد لذكّره، ولهذا سمّوا من لاعتقب له -ذكر- "الأبتر: وأصل البتر القطع وشاع في قطع الذنب وأطلق على من لاولد له على سبيل الاستعارة شبه الولد والأثر الباقي بالذنب لكونه خلفه فكأنه بعده وعدمه بعدمه<sup>5</sup>.

\*والإعتداد بالمال، قال تعالى: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ الهمزة 2، والتفاخر ببذله كرمّاً وتفضلاً، دعى "عبد المطلب" بناته التسع حين أحس بدنو أجله وطلب منهن إسماعه شعرا يرثينه به بعد موته فأنشدت كل واحدة منهن شعرا تبكيه وتذكر فضائل أعماله، ومما رثته به ابنته أروى<sup>6</sup>:

<sup>1</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 230، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 30، ص 537.

<sup>2</sup> حواد علي، المرجع السابق، ج 4، ص 594-596.

<sup>3</sup> حسان بن ثابت، ديوان، ت عبد مهنا (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1414هـ-1994م)، ص 99-100 تفسير

ابن عاشور، المرجع السابق، ج 29، ص 75.

<sup>4</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 223.

<sup>5</sup> المصدر نفسه، ج 30، ص 247.

أَرَوَى<sup>1</sup>:

بكت عيني وحقّ لها البكاءُ      على سَمَحِ سَجِيَّتِهِ الحياءُ  
على سهلِ الخليقةِ أبطحي      كريمِ الخِيَمِ نَيْتَهُ العَلاءُ  
على الفياضِ شبيبةِ ذي المعالي      أيكُ الخَيْرِ ليس لك كِفاءُ  
فأشار برأسه أن هكذا فابكيني<sup>2</sup>

\*الإعتداد بالفروسية والشجاعة والصدق عند اللقاء، وبالجوار والمنعة، وبالكرم والسخاء وسائر مكارم الأخلاق، ويفتخرون بالجمال في الجسد وحدة البصر، وبالفصاحة في البيان وتقسي الأثر..

المبالغة في حب النفس أو ما يسمى بالنرجسية هو الذي يدفع الإنسان للمفاخرة، يريد طلب المكانة في قلوب الناس لينقادوا له، كلما كثر الأتباع أَرْضَى عَظَمَتَهُ واغتروا بأن لهم الحظوة والمتزلة عند الله ولهذا رضي عنهم فمَنَحَهُم ما هم عليه.

الفرع الثالث: الجحود والعناد: قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ

اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ الأنعام 33.

-لغة: الجحود: الإنكار مع العلم، والجحود: قلة الخير.<sup>3</sup>

العناد: العنيد الجائر عن القصد الباغي الذي يردُّ الحقَّ مع العلم به.<sup>4</sup>

-إصطلاحاً: الجاحد هو المنكر بلسانه لهوى في نفسه مع علمه بأن ما أنكره حقٌّ وهو

بخلاف المكذب الذي يعتقد ما يقول.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> أَرَوَى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، تزوجها في الجاهلية عُمَيْر بن وهب، ثم خلف عليها "أرطاة بن شريحيل، ثم أسلمت وهاجرت إلى المدينة، ابن سعد، المصدر السابق، ج 10، ص 42، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 2، ص 272.

<sup>2</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ت مصطفى السقا، ج 1، ص 173.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 1 ج 7، ص 547.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، مج 4، ج 35، ص 3124.

<sup>5</sup> عبد الرحمن حسن حبنك الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسهها، (دارالقلم، دمشق، ط 5، 1420 هـ-1999م)، ص 496.

العناد يكون بعد المجادلة والمحاورة مع المخالف، وما كانوا يتحاورون طلباً للحق والصواب بل طلب للتمايز والظهور يعلمون أن الرسول ﷺ غير كاذب في دعوته ويعتقدون صدقه لشبهة الضعف والنقص التي تلحقهم والاعتراف ضمناً بفضلهم عليهم، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ المدثر 16.

قيل إن من معاني العربي التي لأجله سمي العربي بهذا الاسم لأنه مفصح مبين عما في داخله لا يجيد المراوغة، وإن سئل صدق، روي أن الأحنس بن شريق - من بني زهرة - حلاً بأبي جهل فقال: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحدٌ غيري وغيرك يسمع كلامنا فقال أبو جهل: ويحك والله إن محمداً لصادقٌ وما كذب محمدٌ قطُّ ولكن إذا ذهب بنو قُصيِّ باللواء والحِجَابِ والسَّقَايَةِ والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟<sup>1</sup>

يقول ابن عاشور: هو إيماء لرجاحة عقول العرب على عقول من سبقوهم من الأمم فإن الأمم كذبت رسلها باعتقاد<sup>2</sup> ونُطِقَ ألسنتها، والعرب كذبوا باللسان وأيقنوا بصدق الرسول ﷺ بعقولهم التي لا يروج عندها الزيف.<sup>3</sup>

والعرب تقول أكذبت الرجل إذا أخبرت أنه جاء بالكذب ورواه، ويقولون: كذبتته إذا أخبرت أنه كاذب<sup>4</sup> وإنما هو تكذيب بهت وعناد.<sup>5</sup>

وأراه شقوة العاقل الذي يعلم ويُنكر، لأنه يودُّ لو كان هذا الحق على يديه فيجمع بين شقاء الجسد والقلب، فليس أسوأ من الحمق إلا غمط الحق بسبب الكبر وشهوة التقدم، ولا يتوقف المعاند عن حرب المكابرة والمدافعة تارة مع نفسه فيتمرد على أحكامها، وتارة مع محيطه فيبالغ في المعارضة ويترجمها في الفضاضة والتكذيب والظلم والتعذيب، ومجادلة الآخرين ليعطي لحربه شرعية متناسياً القضية الأصلية محل الاتفاق، ويسنُّ من الصدمات اليومية مع أصحاب الحق أعدارا لاعتراضاته المتوهمة، وهذه هي عين العصبية الجاهلية القائمة على الحسد الاجتماعي، قال

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج9، ص 222، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص26.

<sup>2</sup> لا أتوافق معه في هذه النقطة فقد قال تعالى (وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلْمِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ) لقمان32.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج7، ص 201.

<sup>4</sup> مد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج9، ص 219.

<sup>5</sup> علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، ج2، ص107.

تعالى: ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَنَمَةٍ أَلَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ النحل 71.

هذه المفارحات أو رثتهم كبرا، والكبر من الاستكبار: وهو الإمتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا<sup>1</sup>، وإنما منعهم عن قبول الإسلام جهلهم والجاهل هو من يعتقد قضية تحالف الواقع ويتعصب لها، بخلاف الأمي الذي يصدق أي قضية تحدته عنها خصوصا إن وافقت الفطرة.<sup>2</sup>

- كتكبرهم عن النبي ﷺ أن يخص بالرسالة دونهم: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ ﴾ الزخرف 31.

- وتكبرهم أنفتهم من أن يُجالسوا الضعفاء والفقراء، واحتقارهم المستضعفين لاعتقاد النقص فيهم و الكمال والحكمة في أنفسهم، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴾ الأحقاف 11.

ومن تكبرهم على الناس امتناعهم عن مشاركتهم في شعائرهم الدينية وعدم الاختلاط بهم بابتداعهم "الحمس"؛ إذ كانت العرب تقف في عرفة، وقريش تُعظم أن تقف معهم فتقف بمزدلفة يقولون: نحن بنو إبراهيم، وأهل الحرمه وولاية البيت، وقطان مكة وساكنها، فليس لأحد من العرب مثل حقا ولا مثل مترلنا، عن عائشة-رضي الله عنها- قالت: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، كانوا يُسمون الحمس، كان سائر العرب يقفون بعرفات.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج5، ج 42، ص 3808.

<sup>2</sup> محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج 8، ص 22.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج3، ص525-528، عبد الرحمن السهيلي، المصدر السابق، ج1، ص 348.

**\*\*موقف الشرع من الأخلاق المدمومة لعرب الجاهلية:**

حرم الإسلام الظلم بكل صورته العقدي منه أو الاجتماعي والأخلاقي، وأخذ على كل مسلم البيعة للتبرأ من خصال الجاهلية المقيتة والتحلي بأخلاق الإسلام الوضيئة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المتحنة 12.

وفي السنة: عن عبد الله قال: سألت النبي ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل الله نداً وهو خلقك، قلت ثم أي؟ قال: وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك، قلت ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك»<sup>1</sup>.

ذمّ التفاخر مطلقاً لأن ما يتبارون فيه ويتفاخرون به إلى زوال ولن يغني عنهم إلا العمل الصالح، قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ فِيهَا مَتَاعٌ وَهُمْ فِيهَا يَفْتَرُونَ وَتَفَاخُرُ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ الحديد 20.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)، ج3 ص190-191، [رقم 4477].

# الفصل الثالث:

صورة الحياة الثقافية والاجتماعية

للعرب قبل الإسلام

من خلال القرآن الكريم

## المبحث الأول صورة الحياة الثقافية للعرب قبل الإسلام من القرآن الكريم:

السياسة مُدارة الناس ومراعاتهم بحسب طبقاتهم وقدراتهم وغايتها الفصل في النزاعات الأسرية والقبلية، والتي يرجع معظمها إلى التدافع حول مورد اقتصادي أو مكانة اجتماعية، أو إرساء لقواعد تنظيمية.

والوظيفة السياسية مرتبة اجتماعية ترفع الرجل تارة ويرفعها أخرى، وقد يقاتل من أجل الحصول عليها بحق الميراث والنسب، فلوالد أن يوصي لمن يشاء من ولده بمنصبه، أو يتنازل له عنه في حياته ويقدمه كما تنازل الخطاب لولده عمر رضي الله عنه - وهو قليل فيهم-.

ولكل قبيلة رجل يتولّى حكمها وينوب عنها في مجلس الندوة، والتي لا يحضرها إلا من تجاوز الأربعين سنة، لأنه مظنة الحكمة والعلم لحفظه للأخبار والأحداث التاريخية القبيلة، ولتمسكه بمانشؤوا عليه من قيم ومبادئ، وهو ما نعبر عنه نحن اليوم بالزاد الثقافي.

والثقافة كما يُعرفها مالك بن نبي<sup>1</sup>: "هي مجموعة الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتلقاها الفرد منذ ولادته كرأس مال أولي في الوسط الذي ولد فيه وهي المحيط الذي يشكل الفرد طباعه وشخصيته"<sup>2</sup>.

وتقلد وظيفة سياسية تزكية لمن استعمل فيها وإقرار بأحقيته لها، فلا فرق إذن بين الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية. بمعناها العربي القديم على الأقل، لهذا أدمجت هذه المجالات الثلاث ببعضها لأنها في الأصل مزيج واحد ومن العبث محاولة فصلها.

<sup>1</sup> مالك بن نبي (1905-1973م): مفكر عربي جزائري، ولد بقسنطينة وأنهى دراسته الثانوية في تيسة، وتخرج مهندساً كهربائياً من جامعة باريس، نشر أكثر كتبه بالفرنسية منها "مشكلة الثقافة" و"في مهب المعركة".

<sup>2</sup> الطاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، ط1 (دار الهدى، بيروت، ط1، 1427هـ-2006م)، ص 212.

المطلب الأول: علوم العرب اللسانية (البيانية):

الفرع الأول: علم الشعر: قال تعالى ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ الرحمن 3-4

التخاطب والتحاوور بين الناس هو العادة الأكثر ممارسة؛ وتكرارها يوميا يؤدي إلى السامة والملل خصوصا في جو بدائي لا جديد فيه، لكن العربي لم تقابله هذه المشكلة بل كان التفنن في الكلام هوايته وعشقه<sup>1</sup>، قال النبي ﷺ: «إن من البيان لسحرا وإن من الشعر لحكمة»<sup>2</sup>، فالكلام إذن صنفان نثر وشعر فمن الأول اشتقوا اسم الخطيب، ومن الثاني اشتقوا اسم الشاعر.

- لغة: الشُّعْرُ: شَعَرَ بِهِ وَشَعَرَ يَشْعُرُ شِعْرًا وَشِعْرًا وَشُعُورَةً وَشِعْرَى .. كَلِمَةٌ عَلِمَ وَأَشْعَرَهُ الْأَمْرَ وَأَشْعَرَبِهِ: أَعْلَمَهُ إِيَّاهُ، "وليت شعري": ليت علمي حاضر، وقائله شاعر لأنه يشعر ما لا يشعر غيره لِفِطْنَتِهِ.<sup>3</sup>

- إصطلاحا: هو كلام مفصل قطعا قطعا متساوية في الوزن متحدة الحرف الأخير من كل قطعة وتسمى كل قطعة بيتا ويسمى الحرف الأخير الذي تنفق فيه رويًا وقافية، ويسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة، وله أوزان مخصوصة يسمونه البحور حصروها في خمسة عشر بحرا.<sup>4</sup>

والشاعر تكمن موهبته في أنه يُنبئُ النَّاسَ لأشياء لا يتفطنون لها، ويهتم بإبراز بعض التفاصيل الدقيقة أو الصغيرة فيُعْظِمُهَا ليعظم هو عند المستمع الذي يمنعه من مجاراته غفلة أو عجز يحول دون نجاحه في الإفصاح عما يختلج في صدره، فيلمس هذا الشعور وينطق عنه وعن نفسه، وما سُمي الشاعر شاعرا إلا لأن كلامه تهيج للمشاعر والأحاسيس، فلا يقوله آخرا حتى يَتَمَثَّلُهُ أَوْلًا، سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ<sup>5</sup>: مالشعر؟

<sup>1</sup> على أن من المتأخرين من ينفر من مواضيع الشعر الجاهلي التي لا جديد فيها ولا تعدو تصف حيوانا أو جارية أو تاراً..

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج11، ص323-329، الترمذي، الجامع الكبير، ت بشار عواد، ج4، ص527.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج4 ج26، ص2272-2273.

<sup>4</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق، ج1، ص784-785.

<sup>5</sup> عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن مالك الأغرّ بت ثعلبة الخزجي، وأمه كبشة بنت واقد، كانت يكتب في الجاهلية، شهد العقبة مع السبعين من الأضنار وهو أحد النقباء الاثنا عشر، شهد بدرًا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمره القضية، استشهد يوم مؤتة سنة8هـ، ابن سعد، المصدر السابق، ج3، 487-491، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص230-234.



قال: شيء يَخْتَلِجُ في صدرِ الرجلِ فيُخْرِجُهُ على لسانِهِ شعراً.<sup>1</sup>

وعند الشاعر أيضا موهبة سبّ النفوس واستطلاع رغباتها ليسهل عليه التلاعب بالألفاظ وتقليب الكلام بحسب مقتضى الحال فإن شاء مثلا أن يمدح القوي صَدَّرَ حَدِيثَهُ عن الشجاعة والحزم وجعلها أصل الرأي والحكمة، وإن كان من يستمع إليه جباناً قَدَّمَ الحديث على العقل والروية وجعلها دليل الذكاء والفطنة والسياسة وبعد النظر، وَقَذَفَ من يستعمل القوة بالطيش والسّفَه فَيَقْلِبُ المعنى ويزينه كيفما يشاء بحسب حال المتلقي، فيسلي الحزين ويعزيه، ويطرب الفرح ويسعده، إن شاء التمويه جعل الخداع والمكر ذكاء وحكمة، وجعل الغيرة طيشاً وسفهاً، والغدر دهاءً، والرحمة ضعفاً، والبخل حرصاً، والكرم سرفاً، وشرب الخمر مكرمة، والعصية نصرة... قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ الشعراء 225.

فسر قتادة<sup>2</sup> هذه الآية بقوله يمدحون قومًا بباطلٍ، وَيَشْتُمُونَ قومًا بباطلٍ<sup>3</sup>، والهائم الذاهبُ على وجهه لا مقصد له،<sup>4</sup> يقول أي كلام يُوافق الحال التي وُجِدَ فيها من غير فكر ولا روية، ولا مبادئ وقيم يثبت عليها لهذا يجمع في كلامه بين الأضداد، "فيمدح الشيء وكان قد ذمه قبلاً وبالعكس يعظمه وكان قد حقره وبالعكس ويرغبُ في الجود وكان رغبَ عنه، وَيَنْفِرُ من البُخْلِ وكان يَحُثُّ عليه."<sup>5</sup>

ومكانة الشعر عظيمة عندهم لأنه ديوانهم التاريخي الذي يسجلون فيه كل حياتهم، ففيه نبأ أشرافهم وأنسابهم، أخلاقهم وطباعهم، وأيامهم في السلم والحرب، أموالهم وحيواناتهم، ومشاعرهم التي تعتربهم من حب وكره وغضب ورضى، وحمية وئسرة، وما أنتجت طباعهم من شجاعة وكرم، وسلب ونهب، وعدل وظلم... وبلغ من مكانة الشعر عندهم أنه إذا نبغ فيهم

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 11، ص 327.

<sup>2</sup> قتادة: قدوة المفسرين والمحدثين، وهو أبو الخطاب السدوسي البصري الضري، من بكر بن وائل، ولد سنة ستين وتوفي سنة سبع عشرة ومائة، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 5، ص 269-270، أحمد بن محمد الأندروني، المرجع السابق، ص 14.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 17، ص 677.

<sup>4</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 6، ص 135.

<sup>5</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24، ص 175 بتصرف.

شاعر هَنُؤُوا بعضهم بعضاً وَأَوَلَّمُوا له؛ لأن الشعراء فرسان القبيلة ومقاتلوها يحملون الكلمات سُبُوقاً أو رماحاً يوقعونها في نحور أعدائهم، قال النبي ﷺ لعبد الله بن رواحة وكان يُنشد شعرا - عند دخولهم مكة - : «لكلامك أشد عليهم من وقع النبال»<sup>1</sup>.

وبلغ من تعظيمهم للشعر أن كتبوا ما استحسَنوه منه وعَلَّقوه على جدار الكعبة فيما عرف بالمعلقات السبع، وشعراء المعلقات هم: امرؤ القيس، طرفة بن العبد، زهير بن أبي سلمى، لبيد بن ربيعة، عمرو بن كلثوم، عنترة بن شداد، الحارث بن حلزة.

وكان للشعر أسواقٌ نَافِقةٌ تجتمع فيها القبائل ويتبارى فيها الشعراء، ويُفصل بينهم، ومن أشهرها سوق "ذي الحجاز" بعرفة، وسوق مِجَنَّة "وهي تقارب موسم الحج ويؤمها كثير من قبائلهم، وسوق "حباش" من مكة جهة اليمن، وأقدمها وأشهرها "سوق عكاظ" اتخذوها بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة 450م وهي نخل في واد بين نخلة والطائف تحضره قبائل العرب كلها يتناشدون الشعر، ويتحاكمون إلى النابغة الذبياني الذي كانت تضرب له خيمة ليحكم بينهم أيهم أشعر<sup>2</sup>.

اتفق العرب على أن الشعر هو الوسيلة الإعلامية التي يُنشر بها الذكر ويُعلو بها الشَّان، ولم يكن وسيلة للتكسب والاسترزاق بل كان قول الشاعر في مدح الرجل هو المعروف والجائزة التي ينتظرها من تقال فيه، قال امرؤ القيس في سعد بن الضباب:

سَأَشْكُرُكَ الَّذِي دَافَعْتَ عَنِّي وَمَا يَحْزِينُكَ مِنِّي غَيْرُ شُكْرِي<sup>3</sup> [الوافر]

ثم انقلب الأمر فصار من يقول الشعر ينتظر العطية والصلَّة، وكان أول من قبل الصلة على الشعر النابغة الذبياني،<sup>4</sup> وهو أحد الأسباب التي أدَّت بالشعراء إلى الجمع بين الأضداد في الحكم

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 17، ص 678-679-682، النسائي، السنن الصغرى، ت عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ-1986م)، كتاب الحج، باب استقبال الحجة، ج5، ص211، [رقم 2844]، ابن حبان، صحيح ابن حبان، ت شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ-1993)، كتاب الحضر والإباحة، باب الشعر والسجع، [رقم 5788] الترمذي، الجامع الكبير، ت بشار عواد، ج 4، ص530، [رقم 2847] بلفظ النبي ﷺ: "حَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ".

<sup>2</sup> محمد صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م)، ج1، ص78.

<sup>3</sup> امرؤ القيس، المصدر السابق، ص109.

<sup>4</sup> محمود شكري الألويسي، بلوغ الأرب، ج3، ص90.

على الشخص نفسه والقبيلة نفسها فيمدحها تارة ويذمها أخرى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾، فسرت الأودية بأنها صنوف الكلام في الشعر وما يذكرونه في شعرهم من الكذب في المدح والتفاخر والغزل والشجاعة<sup>1</sup>؛ لأن الباعث على قول الشعر ليس استقصاء الحقائق وتحري الصدق ولا معيار التحكيم مطابقة الكلام للواقع بل القدرة على استمالة النفوس وتحريك الأفتدة بدقة اختيار اللفظ وترتيب الكلم وإصابة المعنى وجودة المبنى، ولولا ذلك ما كثر التشبيه والمجاز، وقد قالت العرب "أحسن الشعر أكذبه"، وصدّفتهم القرآن حين قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ يكذبون في شعرهم يقولون: فعلنا وفعلنا وهم كذبة<sup>2</sup>؛ فالشاعر يزعم الشجاعة وفيه جبن وخناعة، ويزعم الشرف وفيه ذلة ومهانة، ويوحّد الله قولاً ويشركه عملاً<sup>3</sup>، بل لقد بلغ من كذبهم واعتدادهم بأنفسهم أن زعموا مصابحتهم للجن ومصارعتهم للأغوال والسعلاة وهو كثير في شعرهم، قال ابن عباس رضي الله عنه: "أكثر قولهم يكذبون"<sup>4</sup>.

لهذا اتهمت قريش النبي صلى الله عليه وسلم بالكذب عندما تلى عليها القرآن فقالت: ﴿بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ﴾ الأنبياء5، واتهمته بالجنون حين قالت: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ الْهَتِنَا لَشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ الصفات36، لأنهم كانوا يعتقدون أن مع كل شاعر قرين من الجن يلقنه الشعر.

والعامة تصدقهم وتعيد أحاديثهم حتى صار كذبهم حقيقة مسلمة، قال تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ فسّر العلماء الغاؤون بأنهم الرواة عنهم من الإنس وعصاة الجن<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> محمد بن عبد الله بن العربي، المصدر السابق، ج3، ص463.

<sup>2</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج6، ص136.

<sup>3</sup> قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد: أأكل شيء ما خلا الله باطل وكاد أمية بن أبي الصلت أن يُسلم، صحيح البخاري، ج4 ص118 [رقم 4761]، صحيح مسلم، كتاب الشعر، ص1073 [رقم 2256].

<sup>4</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج17، ص678.

<sup>5</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج6، ص135، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، 11 ج، ص322-324.

والغرض من التباري في الشعر طلب الوجاهة عند الخلق، فيكون لكل شاعر أتباع<sup>1</sup> يغيوهم ويضلهم فحديثه إما غزل وفخر أو تنابز وقذف..، والتأثير بين الشاعر والأتباع مُتعدٍ لكليهما، فلا يَنْزِلون عند رأيه إلاَّ وقد نَزَلَ إليهم وإلى رغباتهم، فهو التَّابع والمتَّبوع في آن، تقيده بحور الشعر تارة ومذاهب الناس تارة أخرى.

ومع أن الشعراء اكتسبوا مكانة عظيمة إلا أن العرب استعملوا هذا الوصف تهمة للنبي ﷺ ورموه بالشاعر المجنون الذي ينتظرون موته لينقطع ذكره وتبلى دعوته فكيف تقدس العرب شيئاً وتعتبره مفخرتها ثم تعود فتعدُّه مثلبة ومنقصة فيتهم قائله؟ وهل القرآن يشبه نظمه كلام الشعراء حتى يتهم به؟<sup>2</sup>

ينفي القرآن أن يكون كلام النبي ﷺ شعراً أو أنه تعلم الشعر يوماً قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾<sup>3</sup> يس 69، والحكمة في أن لا يكون القرآن شعراً وتثريه الرسول ﷺ عن قوله مع أن المتحدَّ به هم بلغاء العرب وحلُّهم شعراء هو:

\*أنَّ المواضيع التي يطرقها الشعراء عادةً لاجتذاب أسماع الناس ومتابعتهم هي الهجاء أو المدح، والتشبيب بالنساء، وغرضه الهزل والفكاهة مما يدفعهم إلى الكذب أحياناً وإلى الوقوع في أعراض الناس، وهذا منافٍ لأخلاق الرُّسل ولما عُرفَ عنهم من صدق الحديث، وكانت عائشة -رضي الله عنه- تقول: «أعظم الناس فرية الشاعر يهجو القبيلة بأسرها»<sup>3</sup>.

ثم إن أحوال الشعراء كانت غير مرضية عند أهل المروءة والشرف لما فيهم من الخلاعة والإقبال على السكر والميسر والنساء ونحو ذلك، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج11، ص323، عن عكرمة قال: تماحى شاعران في الجاهلية، وكان مع كل واحدٍ منهما فِئامٌ من الناس، فأَنْزَلَ اللهُ: {والشعراء يتبعهم الغاؤون}.

<sup>2</sup> اجتمع بعض الشعراء منهم عبد الله الزبيري السهمي، هبيرة بن أبي وهب المخزومي، أمية بن أبي الصلت الثقفي، وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد، وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي ﷺ وأصحابه ويروون عنهم ذلك، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج6، ص135.

<sup>3</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج14، ص8.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج23، ص64.

ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿يس 69﴾

\*الجمع بين الإعجاز وبين سدّ باب الشبهة التي تعرض لهم، فلو جاء القرآن على موازين الشعر لعدّوا النبي ﷺ من زمرة الشعراء فكان القرآن معجزاً بلغاء العرب بكونه من نوع كلامهم ولكنه ليس شعراً موزوناً مما ألفوه.

\*يتصرف الشاعر في ترتيب الكلام تارات بما لا تقتضيه الفصاحة كالتقديم والتأخير والتعقيد فيقصر عن إيفاء مقتضى الحال معتذراً بالضرورة الشعرية<sup>1</sup>.

\*تزيه النبي ﷺ عن قول الشعر من قبيل حيطة معجزة القرآن الكريم وحيطة مقام الرسالة مثل تزيهه عن معرفة الكتابة<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِلَّا رَبَّابَ الْمُبْطَلُونَ﴾ العنكبوت 48.

قيل لعائشة-رضي الله عنها- هل كان رسول الله يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: «كان أبغض الحديث إليه غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخره أوله وأوله آخره، فقال: أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: «إني والله ما أنا شاعر، ولا ينبغي لي»<sup>3</sup>.

والذي عندنا أنه لم يمنع إقامة وزن الشعر في إنشاده إلا لأنه منع من إنشائه، فلو استقام له وزن بيت واحد، لغلبت عليه فطرته القوية، فمر في الإنشاد إلى مجارة الشعراء ومنافستهم، لأجل ذلك كان لا يتهدى إلى إقامة وزن الشعر إذا هو تمثل بيتاً منه بل يتمثل البيت مكسوراً، مع أن ذلك لا يعرض ألبتة لأحد من الناس في كل حالاته عربياً كان أو أعجمياً ومع كونه أفصح العرب لم يكن ينشد بيتاً تاماً على وزنه، إنما كان ينشد الصدر أو العجز، فإن ألقى البيت كاملاً لم يصحح وزنه بحال من الأحوال<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> المرجع السابق، ج 23، ص 62.

<sup>2</sup> محمد بن عبد الله بن العربي، المصدر السابق، ج 3، ص 64.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 19، ص 480، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 7، ص 27، الترمذي، الجامع، ت عواد بشار، ج 4، ص 531، والبيت كما في تفسير البغوي لقيس بن طرفة:

سُبَيْدِي لَكَ الْآيَامُ مَا كُنْتُ جَاهِلاً وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُرَوِّدْ

<sup>4</sup> محمد صادق الرافعي، المرجع السابق، ج 2، ص 242-244.

\*موقف الشرع من علم الشعر، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا

اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ الشعراء 227.

للشعر حالتين: حال مذمومة وأخرى مآذون فيها، فتعين أن ذمه ليس لكونه شعرا ولكن لما حُفَّ به من معان وأحوال اقتضت المذمة، فانفتح بالآية للشعر باب قبول ومدح فَحَقَّ على أهل النظر ضبط الأحوال التي تأوي إلى جانب قبوله أو إلى جانب مدحه، والتي تأوي إلى جانب رفضه، وقد أومأ إلى الحالة الممدوحة {وانتصروا من بعد ما ظلموا}، {وعملوا الصالحات}.<sup>1</sup>

وكان النبي ﷺ يستنشد الصحابة الشعر: فعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال رَدِفْتُ رسول الله ﷺ يوما فقال: «هل معك من شعر أمية بن أبي الصلتِ شيءٌ قلت نعم، قال: هيه، فَأَنْشَدْتُهُ بَيْتًا، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتًا فقال: هيه، حتى أنشدته مائةً بَيْتٍ<sup>2</sup>، ودعا بالرحمة لسلمة بن الأكوع حين سمع شعره».<sup>3</sup>

ولما نزلت: {والشعراء يتبعه الغاوون} جاء عبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك<sup>4</sup>، وحسان بن ثابت<sup>5</sup> يتباكون إلى رسول الله ﷺ يقولون: هلكنا أنزل الله هذه الآية وهو يعلم أننا شعراء، فنزلت: {إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات}.<sup>6</sup>

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 19، ص 211.

<sup>2</sup> صحيح مسلم، كتاب الشعر، مج 2، ص 1072، [رقم 2255].

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر والزجر والحداء وما يكره منه، ج 4، ص 118-119، [رقم 6148].

<sup>4</sup> كعب بن مالك: بن أبي كعب بن القين الأنصاري الخزرجي الشاعر، كنيته في الجاهلية أبو بشر شهد مع النبي العقبية والمشاهد وتخلف عن غزوة تبوك، وفيهم أنزل توبتهم (وعلى الثلاثة الذين خلفوا...) التوبة، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ص 2366-2367.

<sup>5</sup> حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام: أمه الفريضة بنت خالد من الخزرج، وهو شاعر الرسول ﷺ، عاش مائة وعشرين سنة ستون منها في الجاهلية وستون في الإسلام، لم يشهد أي مشهد لجن فيه كما قيل، ومات في خلافة معاوية بن أبي سفيان، ابن سعد، المصدر السابق، ج 4، ص 322-327، شمس الدين الذهبي، ج 2، ص 512-513، جمال الدين المري، تهذيب الكمال، ج 6، ص 17، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ج 2، ص 845.

<sup>6</sup> جلال الدين السيوطي، لباب النقول، ص 194-195، الدر المنثور، ج 11، ص 320.

والمنهي عنه المذموم شرعاً أن يكون الغالبُ على العبد الشعر حتى يستغرق قوله وزمانه<sup>1</sup>، لذلك قال النبي ﷺ: «لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً خيراً له من أن يمتلىء شعراً»<sup>2</sup>.

الفرع الثاني: علم الأمثال ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيماً﴾ الفرقان 33.

علم الأمثال أحد فروع النثر التي تميز بها العرب والتي منها القصص، والوصية، والحكم... وكلها من الأدوات التي يزين الخطيب بها كلامه.

- لغة: المثل: الحجة والحديث، والمثال: المقدار.<sup>3</sup>

المثل: الشيء الذي يُضربُ لشيءٍ مثلاً فيجعلُ مثله، ومثلُ الشيءِ صفتهُ، ومثلها الخبرُ عنها<sup>4</sup>.

- اصطلاحاً: القولُ السائرُ المشبهُ مَضْرِبُهُ بِمَوْرِدِهِ، وعلى هذا الوجه ما ضرب الله تعالى من الأمثال في القرآن<sup>5</sup>، أو هو كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول.<sup>6</sup>

وتحكى على ما جاءت عن العرب ولا تغير صيغتها،<sup>7</sup> وسُمي مثلاً لأنه مائل وشاخص بخاطر الإنسان أبداً يتأسى به ويتعظ،<sup>8</sup> قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضَّرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الحشر 21.

<sup>1</sup> محمد بن عبد الله بن العربي، المصدر السابق، ج3، ص 470.

<sup>2</sup> مسلم، كتاب الشعر، ص 1073 [رقم 2259]، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج11، ص 323.

<sup>3</sup> الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص1056.

<sup>4</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج6، ج46، ص 4133.

<sup>5</sup> الحسن البيوسي، زهرة الأكم في الأمثال والحكم، ت محمد حجي، (دار الثقافة، المغرب، ط1، 1401هـ-1981م)، ج1، ص20.

<sup>6</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 6، ص 243.

<sup>7</sup> الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال، أحمد عبد السلام، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ-1988م)، ج 1، ص 11.

<sup>8</sup> بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل ابراهيم، (دار التراث، القاهرة، دط، دت)، ج1، ص 487.

والقصد منه صرف المكلف عنه إذا كان قبيحا والدعاء إليه إذا كان حسناً<sup>1</sup>، والتذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وتقريب المراد وتصويره في صورة المحسوس، وتأتي قي القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر على المدح والذم، وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر وتحقيره وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر.<sup>2</sup>

وهي نوعان المنشور وهو أكثره: ويتميز عادة بإيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية<sup>3</sup> والمنظوم: ويكون في بيت كامل، أو في نصفه أو في ربه<sup>4</sup> كقول الشاعر:

أيواتيك فيما ناب من حدثٍ إلا أحوثقةً فأنظر بمن تنقُ

ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام، وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب.<sup>5</sup>

وإنما ساروا إلى ضرب المثل لأنه به يوضح المنبهم، ويفتح المنغلق، وبه يصور المعنى في الذهن، ويكشف المعنى عند اللبس، وبه يقع الأمر في النفس حسن موقع وتقبله فضل قبول وتطمئن به اطمئناناً، وبه يقع إقناع الخصم وقطع تشوف المعترض.. وبالأمثال تعرف أو تتبين الأشياء، وسر ذلك أن المثل يصور المعقول بصورة المحسوس، وقد يصور المعدوم بصورة الموجود، والغائب بصورة المشاهد الحاضر، فيستعين العقل على إدراك ذلك بالحواس، فيتقوى الإدراك ويتضح المدرك.<sup>6</sup>

والأمثال الجاهلية صورة وصفية للحياة الجاهلية كقولهم "أعز من كليب"، "آخر الدواء الكي"، "دمعة عوراء غنيمة باردة"، "عقرة العلم النسيان"، "بلغ السيل الزبي"... وقصدهم من الإيجاز غير

<sup>1</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 20، ص 110.

<sup>2</sup> ابن قيم الجوزية، بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن قيم الجوزي (دار ابن الجوزي، جدة، ط1، 1427هـ)، ج 2، ص 300-301.

<sup>3</sup> أبو الفضل الميداني، المرجع السابق، ص 13.

<sup>4</sup> الحسن اليوسي، المرجع السابق، ج 1، ص 52.

<sup>5</sup> الحسن بن عبد الله العسكري، المصدر السابق، ج 1، ص 10.

<sup>6</sup> حسن اليوسي، المرجع السابق، ج 1، ص 31.



البلاغة ويسر الحفظ التشويق لمعرفة أصل القصة وسبب ورود المثل.

وذكر الأمثال في القرآن<sup>1</sup> والسنة النبوية غير خاف، وجاء إما مؤيداً لبعض ما تعارفوه أو معارضا له مُنتخباً من بيئتهم فمن الحيوان مثل بالكلب الذي يلهث في الراحة والتعب،<sup>2</sup> وبالحمار<sup>3</sup> الذي يحمل العلم ولا ينتفع به، وبالنبات مثل بالشجرة الطيبة والخبيثة<sup>4</sup> والقبيحة<sup>5</sup>... بل وأخذ من أمثالهم أمثالهم الدارحة بينهم وختمها بالطابع الإسلامي كما سنبينه في بعض الأمثلة التالية:

1- قالت العرب في أمثالها الجاهلية: "أوهى من بيت العنكبوت"<sup>6</sup> والعنكبوت دُويبة تنسج نسجاً رقيقاً مهلهلاً بين الهواء وعلى رأس البئر<sup>7</sup>، وفي أشعارهم:

على هطّاهم منها بيوتٌ كأن العنكبوت هو ابتناها<sup>8</sup>

وفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾<sup>9</sup>  
العنكبوت 41.

عن قتادة قال: هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعها ولا يدفع عنها حرّاً ولا برداً، وهم يعلمون ذلك لكنهم لا يعلمون أن الأوثان لا تملك لعابديها نفعاً ولا ضرراً، فهم ضعفاء وأضعف منهم أولياؤهم الذين اتخدوهم وأتعبوا أنفسهم في طلب رضاهم.<sup>9</sup>

<sup>1</sup> في القرآن الكريم بضع وأربعون مثلاً، ابن قيم الجوزي، بدائع التفسير، ج 2، ص 301.

<sup>2</sup> الأعراف 179.

<sup>3</sup> الجمعة 5.

<sup>4</sup> إبراهيم 23-24.

<sup>5</sup> الصافات 65.

<sup>6</sup> الحسن بن عبد الله العسكري، ج 2، ص 276.

<sup>7</sup> علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط، ت سليمان بن إبراهيم الحصين، إشراف تركي العتيبي، سلسلة رسائل جامعية

(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1430هـ)، ج 17، ص 226.

<sup>8</sup> يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، (عالم الكتب، بيروت، ط3-1403هـ-1983م)، ج 2، ص 317.

<sup>9</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 18، ص 404-405، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 6، ص 243.

ولالإمام الرازي<sup>1</sup> كلام بديع في محاولته لإظهار وجه الشبه "بيت العنكبوت" وبين اتخاذ المشركين الأوثان أولياء قال: إن البيت ينبغي أن يكون له أمور حائط حائل وسقف مُظِلُّ، وأمر ينتفع بها ويرتفق، وإن لم يكن كذلك فلا بد من أحد أمرين إما حائط حائل يمنع من البرد وإما سقف مظل يدفع عنه الحر، فإن لم يحصل منهما شيء فهو كالبيداء، كذا المعبود ينبغي أن يكون منه الخلق والرزق وجر المنافع وبه دفع المضار، فإن لم تجتمع هذه الأمور فلا أقل من دفع ضرر أو جر نفع فإن من لا يكون كذلك فهو والمعدوم بالنسبة إليه سواء، فكما لم يحصل للعنكبوت باتخاذ ذلك البيت من معاني البيت شيء كذلك الكافر لم يحصل له باتخاذ الأوثان أولياء من معاني الأولياء شيء، والبيوت تختلف منفعتها بحسب المادة المصنوعة منها فيما أن يكون البيت:

- بيتاً من حجر: يدفع الهواء والماء والنار والتراب.

- أو بيتاً من خشب: يفيد الاستظلال ويدفع الحر والبرد ولا يدفع الهواء القوي ولا الماء ولا النار.

- أو بيتاً من خباء (الشعر أو الخيمة): يظل ويدفع حر الشمس.

وليس في بيت العنكبوت شيء من هذه المنافع ونفعه الوحيد في نسجه يصطاد به الذباب، فإن هبت ريح لا يرى له أثر فكذلك أعمالهم للأوثان<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾ الفرقان 23.

وأزيد عليه لعدم ثباته وتعرضه للهدم يضطر في كل مرة أن يعيد البناء ويغير المكان، بنفس الطريقة كما يعيد الكفار سعيهم إلى معبوداتهم الوثنية، ويختار العنكبوت البناء في السقف وجوانب الأشياء أي في الأماكن الظاهرة للعيان يطلب العلو وفيه هلاكه فإن أتته ريح عاصف

243، شمس الدين بن قيم الجوزية، بدائع التفسير، ج2، ص300، علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط، ت سليمان الحصين، (جامعة الإمام محمد بنسعود، دط، 1430هـ)، ج17، ص228، ابن عطية الاندلسي، المصدر السابق، ج4، ص318، محمد بن حبيب، الخبر، ص=381.

<sup>1</sup> الفخر الرازي: هو أبو عبد الله محمد بن عمر [544هـ-606هـ] التميمي البكري الطبرستاني الملقب بفخر الدين شافعي المذهب كان فريد عصره ومتكلم زمانه جمع كثيرا من العلوم ونبع فيها، وكان يعظ بالعربية والأعجمية، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (مكتبة وهبة، القاهرة، دط، دت)، ج2، ص205-206، أحمد بن محمد الأدنوي، المصدر السابق، ص213-214.

<sup>2</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج25، ص69 بتصرف يسير.

طبيعية كانت أو بشرية فلا يقيه منها شيء ولا ناصر له كما لا ناصر من الأوثان لهؤلاء المشركين إن حلَّ لهم الكرب وطلبوا النصر، قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا \* كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ مريم 81-82.

وفي أحدث دراسة علمية يقول علماء الحيوانات أن بيت العنكبوت هو أو هن بيوت الحيوانات ليس من جهة نسجه الذي يُعدُّ من أقوى الأنسجة<sup>1</sup> وإنما من جهة بنيته الأسرية؛ ذلك أن العنكبوت يغلب عليه العيش الفردي والعدائي، فالأنثى التي تبني البيت تقوم بقتل الذكر فور الانتهاء من عملية التلقيح وتسمى "عنكبوت الأرملة السوداء"، أمَّا بعض أنواع العناكب الأخرى فتتركه يعيش حتى إذا خرج الأبناء من البيض قتلوه وأكلوه، وفي أنواع أخرى تقوم الأنثى بتغذية صغارها حتى إذا اشتدَّ عودهم قتلوا أمَّهُم وأكلوها.

وكتب اللغة تخبرنا بأن البيت يطلق على المرأة والرجل والعيال<sup>2</sup>، والعرب استخدمت كلمة (بيت). بمعنى امرأة الرجل وعياله، فيكون وجه الشبه في المثال المضروب في القرآن الكريم واضحا جداً حيث أن الذين يتخذون من دون الله أولياء إنما يتخذونهم محاولة تحقيق مصالح دنيوية حتى إذا تحققت هذه المصالح انقلبوا أعداء، إما في الدنيا أو في الآخرة، يقول تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ الزخرف 67، ثم حتمت الآية بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لأنهم لم يكونوا يعلمون هذه الحقيقة العلمية وقت نزول القرآن الكريم<sup>3</sup>.

2- خرقاء مكة: قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا

<sup>1</sup> نسيج العنكبوت يعد من أقوى الأنسجة الطبيعية يتصف بالمرونة والصلابة التي تفوق صلابة الحديد الصلب، يبلغ سمك الواحدة منها في المتوسط واحداً من المليون من البوصة المربعة، أو جزءاً من أربعة آلاف جزء من سمك الشعرة العادية في رأس الإنسان، ولذلك أطلق العلماء عليه اسم "الفولاذ البيولوجي" أو "البيو صلب" وهو أقوى من الفولاذ المعدني بعشرين مرة، وتبلغ قوة احتماله 300.000 رطلاً للبوصة المربعة.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 1، ج 1، ص 393، محمد مرتضى الزبيدي، المصدر السابق، ج 4، ص 459، الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 148.

<sup>3</sup> زغلول النجار، الإعجاز العلمي في ذكر بين العنكبوت منشور، مجلة الأهرام، العدد (42749)، صلاح رشيد، الهيئة الهيئة

العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، 2012 = <http://forum.sedty.com/t118706.html>

تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ  
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿النحل 92﴾ .

هوا عن أن يكونوا مَضْرِبٍ مثل معروف في العرب بالاستهزاء وهو المرأة التي تَنْقُضُ غزلها<sup>1</sup>، قال مقاتل: هي امرأة حرقاء حمقاء من قريش، يقال لها: "ربطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن تميم" وتلقب "بجعرا"، وقيل كان اسمها: "سَعِيرَةَ الأَسَدِيَّةِ و بها وسوسة، كانت اتخذت مغزلاً بقدر ذراع وصنارة مثل الأصبع وفلكة عظيمة على قدرها، وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر، وتأمر جواربها بذلك فكن يغزلن من الغداة إلى نصف النهار، فإذا انتصف النهار أمرتهن بنقض جميع ما غزلن فهذا كان دأبها<sup>2</sup>.

ومعناه: أنها لم تكف عن العمل، ولا حين عملت كَفَّتْ عن النقض، فكذلك أنتم إذا نقضتم العهد لا كففتم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيتم به، والقوة: إحكام الغزل، أي نقضته مع كونه محكم الفتل لا موجب لنقضه فإنه لو كان فتلته غير محكم لكان عذراً لنقضه.

ووجه الفساد أنها تقتضي اطمئنان المتحالفين فإذا نقضها أحد الجانبين فقد تسبب في الخصام والحق وهذا تحذير لهم وتخويف من سوء عاقبة نقض اليمين<sup>3</sup>.

3- **إِنَّ فِي الشَّرِّ خِيَارًا**: معناه أن الشر بعضه أهون من بعض<sup>4</sup>، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ البقرة 216.

4- **إِذَا عَزَّ أَحْوَكُ فَهِنَّ: أَي إِذَا صَعُبَ أَحْوَكُ فَلِنَّ**<sup>5</sup>، قال تعالى: ﴿أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 14، ص 264.  
<sup>2</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 5 ص 39-40، محمد بن يوسف الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ت علي محمد عوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1413هـ-1993م)، ج 5، ص 514، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 20، ص 11، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 9، ص 107، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 14، ص 264.  
<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 14، ص 265.  
<sup>4</sup> الحسن بن عبد الله العسكري، المرجع السابق، ج 1، ص 59.  
<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج 1، ص 57، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، خاص الخاص، ت مأمون الجنان، (دار الكتب العلمية،

المؤمنون 9- فصلت 34، وقوله تعالى أيضا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿المائدة 54.﴾

5- "أنصر أخاك ظالما أو مظلوما"<sup>1</sup> قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ الأنعام 152.

عن أنس<sup>2</sup> قال قال رسول الله ﷺ: «أنصر أخاك ظالما أو مظلوما، قالوا يارسول الله هذا نصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال: تأخذ فوق يديه».

6- لا تكن حلوا فتبلع ولا مراً فتلفظ، لا تكن رطباً فتعصر ولا يابساً فتكس<sup>3</sup> قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿الإسراء 29.﴾

7- إن أخوا الهيجا من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك، قال تعالى: ﴿وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴿الحشر 9.﴾

8- لا يجتمع ليشان في غابة<sup>4</sup>، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿الأنبياء 22.﴾

9- غير بغير بحر، نسي بغير خبره: قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿يس 78.﴾

10- الليل أخفى للويل "المثل لأكنم بن صيفي يقول إذا أردت أن تأتي ربية فأتها ليلاً فإنه أستر

بيروت، ط 1، 1414هـ-1994م)، ص 36.

<sup>1</sup> المرجع نفسه، ص 51.

<sup>2</sup> أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم الخزرجي، كنيته أبو حمزة، خدم النبي عشر سنين، وشهد معه ثمان غزوات، عاش مائة وستين، توفي سنة ثلاث وتسعين بالبصرة، أحمد الأصبهاني، معرفة الصحابة، ص 231.

<sup>3</sup> عبد الملك الثعالبي، خاص الخاص، ص 37.

<sup>4</sup> المصدر نفسه، ص 35.

لها، قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ النساء 108.

11- الشكر مفتاح الزيادة<sup>1</sup>: وقال الله تعالى مُصَدِّقًا لِهَذَا الْمَثَلِ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن

شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ إبراهيم 7.

12 -أعذر من أُنذِر<sup>2</sup>: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء 15.

13 -خذ بيدي اليوم آخذ برجلك غذا: أي انفعني في يسير أنفعك في كثير، وفي القرآن

الكريم قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ الرحمن 60.

14- سَمِنَ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ: مثل تضربه العرب في الكفران وسوء المجازاة، وفي القرآن قوله تعالى:

﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ عبس 17.

15- سَبَقَ السِّيفَ الْعَدْلُ: مثل يضرب في فوت الأمر نوفي القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قُضِيَ

الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يوسف 41.

16- حتى يؤب القارظ العتري وحتى يشيب الغراب ويبيض القار وحتى يرجع السهم على

فوقه<sup>3</sup>: مثال يضرب لتباعد المدى في ذكر الشيء المستبطأ والمأبوس منه، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ

الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ الأعراف 40.

لقد كان للعرب رجاحة عقل وبعد نظر في تصرف الزمان فيهم ترجموها في أقوال مأثورة،

سعيًا منهم للتحرر من قيد الزمن وحُكمه بفهم سيرته، وقد توصلوا إلى نتائج صدقهم القرآن فيها

وهو ما بيناه في بعض الأمثلة السابقة.

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص 35 .

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ص 42.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ص 45- 47- 55.

الفرع الثالث: علم الأنساب، قال تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝ ﴾ الفرقان 54.

-لغة: النَّسَبُ القَرَابَةُ، ورجل نَسِيبٌ أي ذو حسب، والنَّسَابُ: العالم بالنَّسَبِ<sup>1</sup>، والصَّهْرُ: القَرَابَةُ، وهو زوج بنت الرجل، وزوج أخته، والختن أبو امرأة الرجل وأخو امرأته<sup>2</sup>.

والعرب منذ الجاهلية تُعَظِّمُ النَّسَبَ وتَسْأَلُ به يقولون: "سألتك بالله والرحم"، أو "أنشدك بالله والرحم"<sup>3</sup>، قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۗ ﴾ النساء 1.

ويتحقق عندهم بنوة النسب بالولادة من نكاح شرعي، أو بالاعتراف به إن كان من زنى أو وطىء بشبهة أو بالتبني وهو ما يُسَمَّى الدَّعْيُ أو بالقيافة، وهي علم الاستدلال بهيئات أعضاء الشخصين على المشاركة والاتحاد بينها ما في النسب والولادة وسائر أحوالهما وأخلاقهما<sup>4</sup>.

وللقراية طبقات بحسب القرب أو البعد وهي سِتُّ مراتب: الشعب، ثم القبيلة، ثم العمارة ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، وجعلها بعضهم اثنا عشر وهي جذم، ثم جمهور، ثم شعب، ثم قبيلة، ثم عمارة، ثم بطن، ثم فخذ، ثم عشيرة، ثم فصيلة، ثم رهط، ثم أسرة، ثم عترة، ثم ذرية، وزاد بعضهم بيت وحي وجماع<sup>5</sup>، وبطون قريش خمس وعشرون بطنا<sup>6</sup>.

ومن أشهر نَسَابَةِ العرب في الجاهلية: أبوبكر الصديق رضي الله عنه، ودغفل بن حنظلة من ربيعة، والنجار بن أوس بن الحارث من قضاة.

وللنسب أهمية عظيمة لأنه:

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 49، ص 4405.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، مج 4، ج 28، ص 2515.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 4، ص 218.

<sup>4</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 3، ص 261.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج 3، ص 189، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 5، ص 585.

<sup>6</sup> علي بن الحسين المسعودي، المصدر السابق، ج 2، ص 269.

أ- سبب للتعارف بين الناس: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَفْقَرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات 13، حتى لا يعتزى أحد إلى غير آباءه ولا ينتسب إلى سوى<sup>1</sup> أجداده، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَنْسَاءُ لُؤْلُؤُا﴾ المؤمنون 101، فسؤال الحاجة يكون ممن تعرفه من قرابتك أولاً، قال تعالى على لسان لوط -عليه السلام- ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ هود 80.

ب- سبب للألفة والتناصر والمودة: ليكونوا متظافرين على خصومهم متناصرين على من عاداهم، صلة للرحم وحمية للقرابة<sup>2</sup>، قال تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ الشورى 23، والمودة المحبة والمعاملة الحسنة المشبهة بمعاملة المتحابين، وإنما سألهم المودة لأنها معينة على نشر دعوة الإسلام، إذ تلين بتلك المعاملة شكيمتهم<sup>3</sup>.

وكانت القبيلة تنصر الرجل منهم سواء كان مصيباً أو مخطئاً حمية وعصبية للقرابة وأعلى درجات العصبية المنعة والحماية، وأقلها المودة للقراب فلا يُعادى ولا يؤذى<sup>4</sup>، وقد نصر بنو هاشم هاشم النبي ﷺ مؤمنهم وكافرهم حين قاطعتهم قريش في شعب أبي طالب لثلاث سنين، وكان الذين اجتمعوا على نقضها حمية للرحم والقرابة<sup>5</sup>.

من أجل ذلك أمر الله نبيه ﷺ أن يبدأ الدعوة بقرابته أولاً<sup>6</sup>، لأن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علةً للأبعدين في الامتناع، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقراب من العطف والرأفة فيحاييهم في الدعوة والتخويف فلذلك نص على إنذارهم<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ج 5، ص 585، محمد أمين البغدادي السويدي، المصدر السابق، ص 5.

<sup>2</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 3، ص 182.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 25، ص 82.

<sup>4</sup> محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج 7، ص 609-610.

<sup>5</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ت مصطفى السقا، ج 1، ص 350-351.

<sup>6</sup> قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء 214.

<sup>7</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 10، ص 469.



ولكن قريشا لم تنصر النبي ﷺ وتؤازره وهو خلاف ما يعتقد الناس في العرب من أنهم كانوا ينصرون القريب والعشيرة في الحق والباطل.

ج- سبب للتفاخر والتطاول: ولا يفتخر أحدهم بنسبه أو قبيلته وفضائلها إلا وينتقص من أخرى ليظهر فضله، كانوا يحقرون بعض القبائل مثل باهلة، وضبيعة، وبني عُكل<sup>1</sup>، قال النبي ﷺ: «أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة»<sup>2</sup>.

د- معرفة الأنساب تعين على معرفة طباع الرجال بشهادة قومهم: وقد اعتبرت الأربعة في نهاية الحَسَبِ في باب المدح والثناء، وتتفاضل القبائل فيما بينها في النسب إذا كان لها ثلاث آباء متوالية رؤساء ثم اتصل ذلك بكمال الرابع مثل آل حديفة بن بدر الفِزَازي من قيس، وآل ذي الجَدِّين بيت شيبان، وآل الأشعث بن قيس من كندة، وآل حاجب بن زارة وآل قيس بن عاصم المُنْقَرِيّ من بني تميم<sup>3</sup>

وكذاك اعتبرها النبي ﷺ حين قال: «إنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم بن يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم»<sup>4</sup>، وكان النبي ﷺ زمن الدعوة المكية يخرج داعيا الحجيج لمتابعته وخلفه عمه يجاهر بقربته له ويتكذبه لأنه أعلم الناس به، والناس إنما تسأل أقارب الرجل لتبين أمره قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يوسف 26.

ه- العصبية للثعرة والتناصر: كانوا يعتقدون أن الرابطة الدموية التي تجمع بينهم تلزمهم التناصر وغالبا ما يكونون متسامحين فيما بينهم يرعى قويمهم ضعيفهم ويصفح حلِيمهم عن مسيئتهم، وينصح حكيمهم جاهلهم، وبذلك يتظاهر السلوك الاجتماعي مع ظاهري التناصر وتجنب

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 26، ص 258.

<sup>2</sup> صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، مع 1 ص 415، [رقم 934]، سنن الترمذي، كتاب الجنائز، باب مما جاء في كراهية النوح، ج 3، ص 316 [رقم 1001].

<sup>3</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق، ج 1، ص 172.

<sup>4</sup> محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد دار البشائر، بيروت، ط 3، 1409هـ-1989م- كتاب الأذكار، باب من دعى في غيره من الدعاء، ج 1، ص 212، [رقم 605]، وفي باب الحسب، ج 1، ص 308، [رقم 896].

الصراعات الداخلية فتوازن ذوات المنتمي إلى هذا النسب.<sup>1</sup>

وحيث تكون العصبية مرهوبة والمنبت فيها زكي محمي تكون فائدة النسب أوضح وثمرتها أقوى وتعيد الأشراف من الآباء زائد في فائدتها فيكون الحسب والشرف أصليين في أهل العصبية لوجود ثمة النسب وتفاوت البيوت في هذا الشرف بتفاوت العصبية لأنه سرها.<sup>2</sup>

**\*\*موقف الشرع من علم الأنساب لدى عرب الجاهلية:**

نسب الدنيا موصول بالنسب في الآخرة لا يتغير لهذا أمر بالاسم الحسن والمنبت الطيب للمرأة والرجل، أما لازمه وهو التعاطف والتراحم والتناصر الذي يصاحبه في الدنيا فيؤثر ويصير في الآخرة. ﴿وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ فاطر 18، لأن أساس التفاضل هو التقوى.

-أمر بالنسب وإحقاق الولد بوالده حين قال: ﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله﴾ الأحزاب 5، وحرمة الاستلحاق-التبني-وتوعد على الانتساب الكاذب قال ﷺ: «ليس من رجل ادعى لغير أبيه -وهو يعلمه- إلا كفر بالله، ومن ادعى قوماً ليس لهم فيهم نسب فليتبوا مقعده من النار»<sup>3</sup>...

-وقصر الميراث على ذوي الأرحام والأقارب بدرجات ومنازل فيما يسمى بالعصبية، قال تعالى: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم﴾ الأنفال 35.

-دعى إلى تعلم النسب، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل، مثرة في المال، منسأة في الأثر»<sup>4</sup>.

وبه تعرف أحكام الموارث كالمقدار والحجب والحرمان، ومراتب الولاية والكفاءة في الزواج،

<sup>1</sup> أحمد كامش، المرجع السابق، ص 149.

<sup>2</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق، ج 1، ص 167.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب نسبة اليمن إلى اسماعيل، ج 2، ص 506، [رقم ح 3508].

<sup>4</sup> الترمذي، المصدر السابق، ت ديبشار عواد معروف، باب ما جاء في تعليم النسب، أبواب البر والصلة، ج 3، ص 521 [رقم 1979].

وأحكام العاقلة في الدية والعُصبة...

- وَتَبَذَ التَّفَاخِرَ بِهِ، قَالَ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظُمُهَا بِأَبَائِهَا، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ، لِيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخَرَهُمْ بِرِجَالٍ أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عَدْتِهِمْ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ».<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> أحمد بن حنبل، المسند، ج 8، ص 403، [رقم 8721] مسند أبو هريرة رضي الله عنه.

### المطلب الثاني علوم العرب البصرية:

العرب أمة أمية لا تجيد الكتابة والقراءة إلا قلة منهم، ليس لعجز فيهم ولا لقصور همتهم بل صرفهم ندرة أدوات الكتابة واعتمادهم على المشافهة والملاسة مع ما يملكونه من الذاكرة القوية والملكة التعبيرية التي نبغوا فيه، وكانوا لا يكتبون إلا ما اتفقوا على أهميته كالمعلقات السبع، وكالمعاهدات والأحلاف ويعلقونها بظهر الكعبة حتى تُعظَّم ويشهدها الخلق<sup>1</sup>.

ولم يمنعهم هذا من تحصيل علوم ومعارف معتمدين على تجاربهم الفردية وما استوردوه من موروثات ثقافية، وغايتهم هداية الطريق وحماية الشريد، والإبقاء على حياة اللبيب، والتطلع إلى الغيث طلباً للزرع، فأتوا بعلوم تحير الألباب كعلم الفلك والقيافة والعيافة بالاعتماد على مجرد الحواس وصياغة قوانين مُسلمَ بها، مؤسسين لخطوات البحث العلمي الحديثة دون تنصيب فدققوا النظر أولاً، ثم افترضوا ثم جربوا ثم سئوا ماتوصَّلوإليه قانوناً حفظته الذاكرة وتناقلته الأجيال، وبهذا المعنى نطق ابن قتيبة<sup>2</sup> شاهداً فقال: "إني رأيت علم العرب بها هو العلم الظاهر للعيان الصادق عند الإمتحان، النَّافِعُ لِنَازِلِ الْبَرِّ وَرَاكِبِ الْبَحْرِ وَابْنِ السَّيْلِ،<sup>3</sup> يقول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ

لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَضَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام 97.

عندما ننظر إلى بداية نشأة العلوم والنظريات التي كانت مجرد حواطر تفتقر إلى الإثبات ثم نقارنها بمرحلة النضج والتمام، ونلاحظ النقائص والسلبيات التي صاحبتهما أول الأمر نلوم الإنسان الذي لم يلتفت إليها ونتهمه بالنقص أو نعتذر له بسبب الظروف المحيطة به لأنها أعاقته وأوقعت في الزلل، ولا أرى هذا يصح في علوم العرب خصوصاً الفلكية منها أراها كانت مكتملة ناضجة بالنظر إلى الظروف والوسائل التي صاحبتهما بل نرى فيها تفوقاً إذا ما عطفناها على الحاضر-لولا طابع التكفير الذي لحقها بعضها بنظر الشرع- ما يجعلني أتساءل هل أدَّى اختراع الآلات المساعدة

<sup>1</sup> لعلها كانت تعلق للتبرك والتفاخر وإلا فقد كان معظم العرب أميين لا يجيدون القراءة.

<sup>2</sup> ابن قتيبة: هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري الكوفي القاضي، نحوي لغوي، متقن في العلوم، له تصانيف مشهورة، منها "غريب القرآن"، "أدب الكاتب"، توفي سنة ست وسبعين ومائتين، كمال الدين الأنباري، المصدر السابق، ص 159-160.

<sup>3</sup> عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، (دط، دت)، ص 5-6.

على الإكتشاف إلى تعطيل حواسنا فاستبدلناها بها؟.

لقد استطاع الإنسان العربي البدائي أن يطور حواسه فيدرك بها ما أفنى الإنسان الحديث عمره في اختراعه لحواس جديدة تنوب عنه في الإدراك.

الفرع الأول: علم الفلك والنجوم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ الأنبياء 33.

الفلك<sup>1</sup> والكواكب<sup>2</sup> والبروج<sup>3</sup> والنجوم<sup>4</sup>، والشهب<sup>5</sup>، مصطلحات ورد ذكرها في القرآن الكريم، أسماء سُورٍ لبعض منها كسورة الشمس، وسورة القمر<sup>6</sup>، وسورة البروج، وسورة النجم...

- لغة: الفلك اسم يقع على الإستدارة ومنه سميت فلكة المغزل، والفلك قطعة من الأرض مستديرة.<sup>7</sup>

-إصطلاحاً: هو مجرى النجوم ومُستدار قُطب السَّمَاء<sup>8</sup>، وأعلم العرب بالنجوم بني ماوية<sup>9</sup> من كلب وبنو شيبان<sup>10</sup>.

1- معرفة العرب بالسنة القمرية والشمسية، قال تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ الأنعام 96.

<sup>1</sup> الأنبياء 33.

<sup>2</sup> الانفطار 1.

<sup>3</sup> النساء 78، الحجر 18، الفرقان 62، السماء 1.

<sup>4</sup> الأنعام 97، الطور 49، الواقعة 75، التكوير 2، الطارق 3.

<sup>5</sup> علي عبده، المرجع السابق، ص 85.

<sup>6</sup> وورد أيضاً ذكر الشمس والقمر في سورة الأنبياء 33، يونس 5، الفرقان 61، يس 38-39-40، الرحمن 5-6، التكوير 1-2.

<sup>7</sup> جمال الدين بن منظور، نثر الأزهار في الليل والنهار، (مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط 1، 1298هـ)، ص 172، ابن قتيبة،

الأنواء في مواسم العرب، ص 128.

<sup>8</sup> محمد بن المستنير قطرب، الأزمنة وتلبية الجاهلية، ت حاتم صالح الضامن، (مؤسسة الرسالة، دط، دت)، ص 15، ابن قتيبة،

الأنواء في مواسم العرب، ص 128.

<sup>9</sup> بطن من ضبيعة بن أسد بن ربيعة من العدنانية، عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج 3، ص 1034.

<sup>10</sup> عبد الله بن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، ص 6.

أطلق العرب على السنة تقويماً وصفيماً أو حدثياً فيقولون عام الرمادة، ويقولون عام الفيل، ويقولون عام بناء الكعبة و عام الغدر... ولا يمكننا أن نعتبر هذا تقويماً بل إن تجاهل التقويم فيه واضح فهم يصفون ما حدث في السنة دون أن يحددوا أي سنة كانت هي، ذلك لأنهم ما امتلكوا تقويماً تاريخياً لعمر مشترك بينهم أو ما يمكن أن نطلق عليه عمراً دينوياً لأمتهم، ودون أن تكون هذه مشكلة تطرح عندهم بل حتى إنهم لم يضطروا لذلك عندما أنشؤوا دولة إسلامية إلى أن ألت الضرورة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل من تاريخ الهجرة تاريخ للأمة.

وفكرة أن الحساب الدولي ينتهي عندهم بانتهاء دورة السنة القمرية كاد أن يكون عندي عقيدة وديناً خصوصاً وأنني بحثت في أسماء السنوات فكانوا يقولون: السنة والقابل والقباقب<sup>1</sup>، والمقصود به السنة الأولى والثانية والثالثة، وفي الأعمار يستعملون الربيع والعقد، والمقصود به عشر سنين دون تحديد لأي سنة من هذا الربيع، وكأنهم لا يفرون من التجزئة الزمنية للسنوات أولاً إلا وقد حددوا أقصاها آخراً.

ولكن آيات أخرى زلزلت هذه القناعة عندي فقد خاطبهم الله تعالى في غير ما آية بالأعداد مبتدئاً باليوم واللييلة، وبالواحد والاثنين والثلاث والأربع والعشر والعشرين والمائة والألف بل وبالخمسين ألفاً<sup>2</sup>، فقد كان إذن لهم حساب وعدد، بل أكثر من ذلك كان لهم علم بقسمة الأسهم فالنصف، والثالث، والثلاثان، والربيع، والسدس، والثمان... وتعاملوا بالكيل والميزان والقسطاس والمثقال القنطار... ولكن بأي وحدة؟.

لقد جعلوا من جسم الإنسان وحدة قياس فوزنوا بالمد والصاع، وقاسوا المساحات بالذراع والشبر، وقاسوا المسافات بمسير اليوم واللييلة، فكادت دعوى الحساب عندي تسقط بهذه الآيات إلى أن استذكرت حديث للنبي صلى الله عليه وسلم: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ورد البقرة المائة والثمانين في سورة البقرة 259، الكهف 25، النور 2-4 وورد ذكر الألف وبعض مضاعفاتها في سورة البقرة البقرة 96، الحج 47، العنكبوت 14، السجدة 5، الصافات 147، المعارج 4، القدر 3.

<sup>2</sup> يحيى بن زياد الفراء، الأيام والليالي والشهور، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1400هـ-1980م)، ص93.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤية الهلال، مج2، ص 483، [رقم ح 1080].

ثم تَوَقَّفَ ابن عباس رضي الله عنهما وكراهيته أن يفسر الخمسين سنة يوماً وقال: "أيام سماها الله هو أعلم بما كيف تكون وأكره أن أقول فيها ما لا أعلم".<sup>1</sup>

كانوا إذن لا يدركون المعداد عندهم إلا بشيء محسوس ملموس ولم تكن لكل صنف وحدة معتبر بها ويحكمها رقم حسابي كما اليوم، بل قد يخلطون بعضها ببعض فيحسبون المسافة التي يقطعها المسافر مثلاً بالزمن فيقولون مسيرة يوم وليلة، وكانوا جعلوا الشبر والذراع وحدة قياس لها، وكما نصنعه اليوم فنقول تستغرق الرحلة ساعة دون أن نلقي بالاً للكيلومترات التي نقطعها فيحل قياس زمن الفعل مكان قياس المسافة المقصودة أصلاً من الفعل، ما يجعل سؤالاً مشروعاً يُلحَق علينا أكانوا يحسبون الزمان بالسنة القمرية فقط أو بالسنة الشمسية أيضاً؟.

أ- السنة القمرية: اجتذب القمر العرب إليه بلا منازع فجعلوه أنيس لهم في السفر، وذكرى الحبيب عند الفقد أو النظر وعدّاد العُمُر لمن طلب الخبر، شبيههم في الولادة والموت، كعمر الإنسان إلا أنه يموت ليولد في كل شهر ويولدون مرة واحدة ليموتوا في أجل غير معلوم يقاس بإهلال قمر وانحافه، وقد دفع هذا الاختلاف في شكل القمر الصحابة إلى سؤال النبي صلى الله عليه وسلم عنه فتزل<sup>2</sup> قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ البقرة 189، ولكن أكانوا يعدون السنوات أم كان الحساب عندهم ينتهي بإنتهاء الأشهر الاثنا عشر لأن مصالحهم موقوتة بدوران السنة؟.

للقمر عند العرب أسماء كثيرة منها الزبرقان، والأزهر، والشهر، والساهور والتدبة والتكتة.. ولكل اسم منها دلالة على سمة فيه، فمثلاً سَمُّوا السَّوَادَ أو المناطق الدَّاكِنَة والمعتمة التي يُرى في القمر: المحو<sup>3</sup>، وهي فوهات وحفر نيزكية وظلال الجبال العالية إذ يوجد على سطح القمر حوالي ثلاثون سلسلة جبلية.<sup>4</sup>

سِحْرُ القمر في ضوءه الذي يُرى ولا يُطال ويختلف شعاعه باختلاف أطواره، ففي أول ليلة يطلع يقال له الهلال، ثم أول ثلاث ليال من الشهر يقال له "العُرَر"، ثم ثلاث "شُهْب"، لأن بياض القمر مُختلط بسواد الليل كالشُهْب من الخيل، ثم ثلاث "بُهْر" لأن القمر يَبْهَرُ فيهن ظلمة الليل، ثم

<sup>1</sup> أحمد بن علي الواحدي، التفسير البسيط، ج22، ص202.

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، لباب النقول، ص34.

<sup>3</sup> يحيى بن زياد الفراء، الأيام والليالي، ص100.

<sup>4</sup> علي عبدة، المرجع السابق، ص57.

ثلاث "عشر" لأن الليلة العاشرة فيه، ثم ثلاث بيض لأن القمر في الليل كله فالليل فيه أبيض، ويقال لها العفراء و ليلة أربع عشرة: ليلة البدر وإنما سُمي بَدْرًا لِمُبَادَرَتِهِ الشمس في ليلاها ونهارها، قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا أَتَقَّ﴾ الإنشقاق 18، والوسق: الجمع والاستدارة في الأيام البيض.<sup>1</sup>

ثم النصف الآخر يقال له: ثلاث (درع) والدرعاء من الشاة التي مقدّمها أسود ومؤخرها أبيض فكأن ذلك لأن الليل في بعضها أسود وفي بعضها أبيض، ثم ثلاث (خنس) لأن القمر يخنس ويبطئ في طلوعه، ثم ثلاث (دُهْم) لسواد الليل فيهنّ كالأدهم من الدواب وإنما يطلع القمر في آخرهنّ، ثم ثلاث (قَحْم) لأن القمر قَحَمَ في نُوره إلى الشمس، ثم ثلاث (دأدىء) والدأداة من عدو البعير وهو أن يقدم يدا ثم يتبعها الأخرى من ساعته، ويقال لليلة الثماني والعشرين الدّعجاء وليلة تسع وعشرين الدّهماء ولليلة الثلاثين اللبلاء، ويقال لآخر ليلة من الشهر الحاق والسّرار.<sup>2</sup>

قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ يس 39، والعرجون: عذق النخل القديم الذي مر عليه زمان يس فيه، ووجه الشبه الإصفرار والدق والإعوجاج.<sup>3</sup>

والمنزّل المسافة التي يقطعها القمر في يوم وليلة وهي ثمانية وعشرون ليلة، لأنهم عندما نظروا إلى القمر وجدوه يعود إلى وضع له من الشمس في قريب من ثلاثين يوما، ويختفي آخر الشهر لليلتين أو أقل أو أكثر، فأسقطوا يومين من زمان الشهر فبقي ثمانية وعشرون، وهو زمان ما بين أول ظهوره بالعشّيات مستهلا أول الشهر، وآخر رؤيته بالعدوات مستتراً آخره؛<sup>4</sup> وهذه المنازل: الشّرطان، والنّجم، والدّبران، والمهقعة، والهنة، والذراع، والثّرة، والطرف، والجبهة، والخراتان، والصرفة، والعواء، والقلب، والشوالة، والتعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد لأحبية أفرغ الدلو المقدم، وفرغ الدلو المؤخر، والحوت، ولا تستنيء العرب بها

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج24، ص246، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج8، ص375.

إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج8، ص359، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج22، ص171.

<sup>2</sup> محمد بن المستنير قطرب، المصدر السابق، ص20-21-22، محمود شكري الألويسي، بلوغ الأرب، ج3، ص288،

علي بن الحسين المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص195.

<sup>3</sup> محمود الألويسي، روح المعاني، ج23، ص20.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج3، ص228.



كلها بل ببعضها، ولا يكون نوءٌ حتى يكون معه مطر.<sup>1</sup>

ب- السنة الشمسية، قال تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾  
يس 38 الشمس نجم ملتهب يقع في مركز المنظوم الشمسية، ومن أسمائها: الذكاء، والضَّح،  
والجونة، والغزاة، والجارية، والسراج، والبيضاء، وبوح، وبراح، ومها، والشرق<sup>2</sup>، والجري  
حقيقته: السير السريع وهو لذوات الأرجل وأطلق مجازاً على سرعة تنقل الجسم من مكان إلى  
آخر، وأريد به قطع المسافات البعيدة في مدة قصيرة وهي منازل البروج الاثنا عشر<sup>3</sup>، والتي  
تقطعها الشمس في سنة، بحيث تقيم في كل برج شهراً، وفي كل منزل من المنازل ثلاث عشر  
يوماً<sup>4</sup>، وهو المستقر الذي تنهي إليه.<sup>5</sup>

والمنظوم الشمسية تتكون من الكواكب، والشهب والنيازك، والمذنبات... وكان للعرب بمعرفة  
وسنذكر بعضها تمثيلاً لا حصراً منها كواكب المنظوم الشمسية التي سماها القرآن الكريم بالحنس.

## 2- معرفة العرب بالكواكب: قال تعالى ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنسِ \* الْجَوَارِ الْكُنسِ ﴾ التكوير 15-16

هي الكواكب الخمس الدراري زُحل، المشتري المريخ (بهرام)، عطارد، الزهرة، فيما ذكره أهل  
التفسير، ومروي عن علي رضي الله عنه قال: هي النجوم تنس بالنهار وتظهر بالليل وتكنس في وقت  
غروبها، أي تتأخر عن البصر لخفائها فلا تُرى.<sup>6</sup>

والحنس: الانقباض والاستخفاء، و(الجواري) ج جرية من الجري: وهو المرُّ السريع وأصله لمر  
الماء ولما يجري بجريه و(الكنس) ج كَانِسَة: من كَنَسَ الوحش إذا دخل كُنَّاسَهُ وهو بيته الذي يخذه  
من أغصان الشجر<sup>7</sup>، وكل شيء استمر ثم انقبض فقد حنَس، ومنه سمي الشيطان حنَّاساً لأنه

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 51، ص 4567.

<sup>2</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 3، ص 224.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 23، ص 19.

<sup>4</sup> عبد الله بن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، ص 132.

<sup>5</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج 11، ص 23، الفخر الرازي، مفاتيح العيب، ج 26، ص 72.

<sup>6</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 24، ص 152، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 6، ص 324-325،

أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 22، ص 108-109، محمود الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 57.

<sup>7</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 57.

يوسوس في القلب فإذا ذكر الله خَنَسَ، وسميت كُنْسًا للاستتار.

ومن صفاتها: الزهرة أعظمها في المنظر وأشدها نورا وبياضا، ثم المشتري في مثل هيئتها، وفي زحل صُفْرَةٌ، وفي المريخ وعُطَار حُمْرة وقلّ ما يُرى لأنه في الاختراق غير أن بعضها أبطأ سيراً من بعض، وكل ما كان منها فوق الشمس فهو أبطأ من الشمس، وما كان دون الشمس فهو أسرع من الشمس.<sup>1</sup>

وسُميت بالمتَحيرة لاختلاف أحوالها في سيرها فيما يشاهد فلها استقامة ورجعة وإقامة فبينما تراها تجري إلى جهة، إذا بها راجعة تجري إلى خلاف تلك الجهة وبينما تراها تجري إذا بها مقيمة لا تجري وسبب ذلك على ما قال المتقدمون في علم الهيئة كونها في تدويرها في حوامل مختلفة الحركات.<sup>2</sup>

وجاء العلم بإحصاءته الحديثة يطابق هذه الرؤية العربية فذكر الكواكب الخمس على الصفة التالية:  
\*كوكب الزهرة: الزُّهْرَةُ: الحُسْنُ والْبِياضُ، والزُّهْرَةُ -بفتح الهاء- هذا الكوكب الأبيض قال الشاعر:

قَدْ وَكَلْتَنِي طَلْتِي بِالسَّمْسِرَةِ وَأَيْقَظْتَنِي لِطُلُوعِ الزُّهْرَةِ<sup>3</sup>

يُدعى كوكب الزهرة بتوأم الأرض لقرب حجمها إذ أن الأرض تكبرها بحوالي 1,16 مرة فقط، لها غلاف كثيف غازي مكون من 91,9% من أكسيد الكربون وحوالي 3,5% من النيتروجين مع قليل من الغازات الخاملة، والضغط الجوي على سطح الزهرة عال جدا ويعادل 90% ضغط جوي أرضي أو أكثر لذلك فإن الضغط الجوي يعادل 90طن على المتر المربع، فالغلاف الجوي الكثيف لكوكب الزهرة يجعله لامعاً لكون السطح قادراً على عكس النور بنسبة 76% (الالبيدو=0.76)، لذا فلمعانها ظاهري جدا لدرجة أمكن رؤيته في منتصف النهار.

\*كوكب المريخ: المَرِيْخُ والمَرِيْجُ: كوكب من الحُنس في السماء الخامسة وهو "بَهْرَامُ" قال:

<sup>1</sup> عبد الله بن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، ص 130-131-132.

<sup>2</sup> محمود الألوسي، روح المعاني ج30 ص57-58، ابن منظور، نثار الأزهار في الليل والنهار، ص6.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج21، ص1877، محمد بن المستنير قطرب، المصدر السابق، ص29.

فَعِنْدَ ذَاكَ يَطْلُعُ الْمَرِيخُ بِالصُّبْحِ يَحْكِي لَوْنَهُ زَخِيخٌ مِنْ شُعْلَةٍ سَاعَدَهَا التَّفِيخُ<sup>1</sup>

اكتشف المريخ قبل آلاف السنين وهو الكوكب الذي يظهر لونه من الأرض أحمرًا مما أكسبه اسم "إله الحرب مارس" ونظرا لصفاء غلافه الجوي وضحالته ولقربه من الأرض فإنه يمكن رصد معالمه والتفاصيل على سطحه بسهولة، وللمريخ قمران يدوران حوله الأول يسمى فوبوس (FABUS) إله الخوف عند الإغريق، والثاني ديموس (ΔΕΜΥΣ) إله الشر والرعب.

\*كوكب المشتري: أكبر الكواكب على الإطلاق يبلغ معدل قطره حوالي 138786 كلم، أي أكبر من قطر الأرض بحوالي 11 مرة وحجم المشتري أكبر من حجم الأرض بحوالي 1319 مرة ويصل لمعان "المشتري" الظاهري قدرًا أقصاه 2,6 وهو يلي الزهرة بالللمعان، وذكره المهلهل بن ربيعة في شعره حين قال:

كان المشتري حُسْنًا ضيَاءً بَنِيْقٌ قَاهِرٌ مِنْ فَوْقِ قُورٍ<sup>2</sup>

\* زُحَل: اسم كوكب من الحُنَس، وقيل للكوكبِ زُحَلٌ، لأنه زَحَلَ أَي بَعُدَ، ويُقال إِنَّهُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ<sup>3</sup>، وهو الكوكب السادس الذي يدور حول مدار الشمس، وهو ثاني كوكب في الحجم بعد المشتري، يبدو من الأرض لامعا ولونه أصفر متجانس مع بقع بيضاء ومع حلقاته الفريدة من نوعها حول خط إستواء زحل وهو أجمل جرم سماوي على الإطلاق.<sup>4</sup>

عرفه العرب وذكروه في أشعارهم وعبدوه في الجاهلية واعتقدوا أن البيت الحرام هو بيت زحل لأن بيت زحل باق على مر الدهر مثل كوكب زحل الذي هو رمز الثبات والبقاء، يقول أمية بن أبي الصلت: وثورٌ يَمْنَى رَجْلِهِ وَالنَّسْرُ لِلْيَسْرِ وَلِيْثٌ مُرْصَدٌ<sup>5</sup> [الكامل]

ومن أسمائه: "كيوان" وتعني الإرتفاع في السريانية، وذكره عنتره بن شداد في شعره حين قال:

يا قِبْلَةَ الْقُصَادِ يا تاجَ الْعُلَا يا بَدْرَ هَذَا الْعَصْرِ فِي كَيَوَانِهِ<sup>6</sup> [الكامل]

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 46، ص 4172.

<sup>2</sup> بحث عنه في ديوان المهلهل ولم أحده.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 3 ج 21، ص 1818.

<sup>4</sup> علي عبنده، المرجع السابق، ص 41-42-44-47-49.

<sup>5</sup> أمية بن أبي الصلت، ص 50، وفي كلمة "زحل" روايتين هذه إحداها والثانية "رجل".

<sup>6</sup> عنتره بن شداد، المصدر السابق، ص 201.

\*كوكب عطارد: كوكب لا يفارق الشمس، قال الأزهرى: وهو كوكب الكتاب، وقال الجوهري: هو نجم من الحنس.<sup>1</sup>

3- معرفة العرب بالبروج والنجوم، قال تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ﴾ الواقعة 75.

- لغة: النجم: مأخوذ من قولهم نجم الشيء ينجم نجوماً: طلع وظهّر، اسم لكل واحد من كواكب السماء وهو بالثريا أخص، فإذا أطلق فإنما يراد به هو<sup>2</sup> ومنه اسم المتجم والمتنجم الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها.<sup>3</sup>

- والنوء: النجم إذا مال للمغيب والجمع أنواع ونوآن، والأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة الطالع في أزمنة السنة كلها من الصيف والشتاء والربيع والخريف، يسقط منها في كل ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمى، وانقضاء هذه الثمانية وعشرين كلها مع انقضاء السنة، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المقبلة.

وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لا بد من أن يكون عند ذلك مطر ورياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم فيقولون مطرنا بنوء الثريا والدبران والسماك، والأنواء.

\*الثريا: نجمة فريدة بين النجوم والبروج ويمكن تمييزها بسهولة في فصل الشتاء لذا اتخذ العرب القدماء شروقها في المساء دلالة على بدء الموسم المطري، وتوسطها في السماء على برد الشتاء وأمطاره وثلوجه، ومغيبها على انقضاء موسم الأمطار وتباشير فصل الصيف، وقد طوروا هذه الملاحظات للاستدلال على أشهر الشتاء من اقتران الثريا مع الهلال، فكانوا يقولون في أشعارهم:

قولهم إذا ما البدر ثم مع الثريا أتاك البرد أوله الشتاء

وذلك لأن القمر إذا قارب الثريا في الاستقبال كانت الشمس في النصف من العقرب وتلك

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج 33، ص 2995.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، مج 6، ج 48، ص 4356-4358.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، مج 6، ج 49، ص 4358.

الأيام أوائل البرد<sup>1</sup>، وسَمَّاهَا العرب بالثريا لأنهم يتبركون بها وبطلوعها واعتبروا المطر الذي يهطل عند طلوعها فيه الخير والثروة والبركة<sup>2</sup>، فإن سقطت كثرت الأسقام والطواعين وسموها "غاسقا"<sup>3</sup>، قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الفلق 3.

مثال: إذا ما قارن القمر الثريا لثلاثة فقد ذهب الشتاء<sup>4</sup>

\*الدُّبْرَان: سمي بهذا الاسم لأنه يدبر الثريا فهو يشرق بعد شروق الثريا ويتبعها ثم يغرب بعد غروبها يحاول اللحاق بها فلا يلحقها مع أن المسافة بينهما ليست بكبيرة، وهو نجم يتشاءمون منه وَيَسْتَنْجِسُونَهُ ويزعمون أنهم لا يمطرون بنوء الدُّبْرَان إلا وكانت سنتهم جذباء<sup>5</sup>.

ألقى بعض الباحثين البروج<sup>6</sup> بالثجوم وجعلهما سواء، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾

البروج 1.

أما العرب فقسموا الفلك إلى اثني عشر قسما وسموا كل قسم برجا، والبروج في كلام العرب القصور، وهي اثنا عشر برجا كل برج متزلان وتُثَلَّث من هذه الثمانية والعشرين وإنما يبدو منها ستة بروج<sup>7</sup>، وهي أيضا منازل الكواكب والشمس والقمر.

يسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوما ثم يستسر ليلتين، وتسير الشمس في كل برج منها شهرا، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، (التوأمين)، والسرطان، والأسد، والسنبلة (العذراء)، وهذه البروج الست الشمالية، والميزان، والعقرب، والقوس (الرامي)، والجدي، والدلو، والحوت (السمكتين) وهذه الست جنوبية، وجعلوا كل ثلاثة منها لفصل من فصول السنة الأربعة، وهي مأخوذة من صور توهمت على المنطقة من كواكب ثابتة تنظمها خطوط موهومة وقعت وقت التسمية في تلك الأقسام<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> دون مؤلف، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، (مكتبة المثنى، بغداد، دط، دت)، ص 128.

<sup>2</sup> علي عبندة، المرجع السابق، ص 97-98.

<sup>3</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 8، ص 536-574، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 22، ص 475.

<sup>4</sup> علم الفلك تاريخه عند العرب، ص 127.

<sup>5</sup> علي عبندة، المرجع السابق، ص 98-99.

<sup>6</sup> ورد ذكر البروج في القرآن الكريم في ثلاث مواضع في سور: الفرقان الآية 61، سورة الحجر 16، سورة البروج 1.

<sup>7</sup> عبد الله بن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، ص 10.

<sup>8</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 14، ص 302، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 22، ص 179، محمود

\*نجوم الدب الأكبر: وسمّاه العرب قديماً "بنات نعش الكبرى" شبهوا المستطيل بالنعش<sup>1</sup> (التابوت) وخلفه بنات ثلاث ييكن أباهن المحمول بالنعش لذلك سمى الجدّي (بجدي بنات النعش) يقول المهلهل في رثاء أخيه كليب:

كأن الجدّي جدّي بناتٍ نعشٍ يكُب على اليدين بمستديرٍ [الطويل]  
وتحبو الشعريان إلى سهيلٍ يلوح كقمة الجبل الكبير  
كأن الجدّي في مثناه ربُّقٌ أسيرٌ أو بمثلة الأسير<sup>2</sup>

فالربُّق هو الجبل التي تربط به صغار الماشية فلا تتحرك بل تبقى تدور حول الوتد كالجدي الذي شبهه بأنه أسير ومربوط بجبل، والنجوم الثلاثة التي تمثل "ذنب الدب" سمّتها العرب قديماً "العناق"، وفوقه يظهر نجم خافت ملاصق له وبالكاد يرى يسمى "السُّهى" و"الستا" و"الصيدق" ولا يراه إلا حادُّ البصر ومن أمثالهم: "أريه السُّهى ويريني القمر"، أما النجم الثالث على الذنب فسموه "الجون"<sup>3</sup>.

ورد ذكر السُّهى في شعر جميل بن عبد الله بن معمر<sup>4</sup> حين قال:

خليلي إن قالت بثينة: مـاله أتانا بلا وعـدٍ فقولا لها: لها  
أتى وهو مشغولٌ لعظم الذي به ومن بات طول الليل يرعى السُّهى سها<sup>5</sup>

ويقابل الدُّب الأكبر الدُّب الأصغر وعند العرب "بنات نعش الصغرى"، والدُّب الأكبر والدُّب الأصغر يدوران حول نجم القطب الشمالي مع بقية النُّجوم والبروج الأبدية الظهور ولا تغيب كبقية النجوم، وتسمى النجمتان الموجودتان في المستطيل البعيدان عن الذنب "الفرقدان"، ويرمزان

شكري الآلوسي، بلوغ الأرب، ج3، ص 241.

<sup>1</sup> عبد الرحمن بن عمر الرازي، صور الكواكب الثمانية والأربعين، (دار الآفاق، بيروت، ط1، 1401هـ-1981م)، ص 51.

<sup>2</sup> المهلهل بن ربيعة، المصدر السابق، ص42.

<sup>3</sup> علي عبندة، المرجع السابق، ص 80-81.

<sup>4</sup> جميل بن عبد الله بن معمر، ويكنى أبا عمرو، أحد عشاق العرب المشهورين، وصاحبه بثينة وهما من "عُدرة" ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص434.

<sup>5</sup> جميل بن عبد الله بن معمر، ديوان، (دار صادر، بيروت، دط، دت)، ص136.

إلى الخلود والتألق لأنهما يظهران في جميع أوقات السنة جهة الشمال، وقد ذكرهم الشاعر الجاهلي "علقمة بن عبدة في قصيدة طويلة يستشفع الحارث بن أبي شمر الغساني :

هداني إليك الفرقدان ولاحب له فوق أضواء المتانِ علوب<sup>1</sup> [الطويل]

والفرقدان لا يفترقان وبهما ضرب المثل: "لأبكينك الفرقدين"، وفي طول الصحبة فقالوا: "أطول صحبة من الفرقدين"، وقال أمية بن أبي الصلت:

مُسْتَخْفِيًّا وَبِنَاتٍ نَعَشٍ حَوْلَهُ وعن اليمين إذا يغيبُ الفرقد<sup>2</sup> [الكامل]

#### 4 - معرفة العرب بفصول السنة والشهور والأيام: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ الرحمن 17

المشرقان: مشرقا الصيف والشتاء، فمشرق الشتاء مطلع الشمس في أقصر يوم من السنة، وهو قريب من مطلع قلب العقرب، منحدر عنه قليلاً في الجنوب، وكذلك مغرب الشتاء على نحو ذلك من مغرب قلب العقرب ومشرق الصيف مطلع الشمس في أطول يوم في السنة، وذلك قريب من مطلع السماك الرامح مرتفع عنه قليلاً في الشمال، كذلك مغرب الصيف على نحو من ذلك من مغرب السماك الرامح<sup>3</sup> قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ المعارج 40، يعني مشرق كل يوم من السنة ومغربه<sup>4</sup>.

وجَمَعَ المشارق والمغرب باعتبار تعدد مطالع الشمس ومغاربها في فصول السنة<sup>5</sup> والسنة عندهم عندهم أربعة أجزاء لكل جزء منها سبعة أنواء، لكل نوء ثلاثة عشر يوماً، إلا نوء الجبهة فإنه أربعة عشر يوماً فيكون مجموع أيام السنة 365 يوماً، وهو المقدار التي تقطع الشمس فيه بروج

<sup>1</sup> علقمة بن عبدة، المصدر السابق، ص 27.

<sup>2</sup> أمية بن أبي الصلت، المصدر السابق، ص 50.

<sup>3</sup> عبد الله بن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، ص 145.

<sup>4</sup> علي بن أحمد الواحدي، التفسير البسيط، ت نورة بنت عبد الله الورثان، إشراف تركي العتيبي، (سلسلة رسائل جامعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، دط، 1430هـ)، ج 22، ص 237، الحسن بن مسعود البغوي، المصدر

السابق، ج 8، ص 226، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 8، ص 229، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 24،

ص 129، محمود الألوسي، روح المعاني،

ج 23، ص 67، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 4، ص 386.

<sup>5</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 29، ص 179.

الفلك الاثني عشر، لكل برج متزلان وثلاث متزلة، كلما نزلت متزلة من هذه المنازل سترته لأنها تستر ثلاثين درجة خمس عشرة من خلفها ومثلها من أمامها.<sup>1</sup>

ومن العرب من يقسم السنة نصفين ويبدأ بالشتاء لأنه ذكر والصيف أنثى، وإنما جعلوه كذلك لأن النبات يظهر فيه، ثم يقسم الشتاء نصفين فيجعل الشتاء أوله والربيع آخره، ويقسم الصيف نصفين فيجعل الصيف أوله والخريف آخره<sup>2</sup>، والسنة عندهم اثنا عشر شهرا تزيد أو تنقص فتصير ثلاثة عشر أو أربعة عشر.

**6- معرفة العرب بعدد الشهور والأيام ومنشأ تسمياتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ**  
**الَّذِينَ الْقِيَمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾** التوبة 36 وهي:

- محرم: كانوا يغيرون فيه فاتفق أن أغاروا فلم ينجحوا فحرموا القتال فيه وسموه محرما.

- صفر: لأن بيوتهم تصفر فيه عند خروجهم إلى الغارات، وقيل لأنهم كانوا يغيرون على بلاد الصفرية، وقيل لوباء يعترتهم فتصفر ألوانهم.

- والربيعان: لأنهم يخصبون فيه بما أصابوا في صفر ولارتباع القوم، والجماديان من جمود الماء ويقال لهما شيبان وملخان.

- رجب: من الترجيب وهو التعظيم، يقال رجت الرجل رجةً هبته والمقصود به ترجيب الآلهة بتعظيمها والذبح لها، ويسمى "الأصم" أيضاً لأن السلاح يُعمد فيه فلا يسمع وقع الحديد بعرضه على بعض، وقال آخرون بل سُميَ برجب لأنه وسط السنة مشتق من الرواجب وهي أنامل الأصبع الوسطى.

- شعبان: لتشعبهم في الغارات، أو لأنه شَعَب بين رمضان ورجب ورمضان، من الرَّمضاء وهي شِدَّة الحرِّ.

- شوال: شألت الإبل أذناها إذا حالت أو من شال يشول إذا ارتفع ويكون عند اللقاح، أو لأن

<sup>1</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج3، ص 226، جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص424.

<sup>2</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج 3، ص244، عبد الله بن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، ص 108.



الألبان تشول فيه أي تقل، أو لأنه يقال فيها شولوا أي ارتحلوا.

-وذو القعدة:لقعودهم فيها عن القتال، وذو الحجة:لأن الحج اتفق فيه فسمي به، وذكر المسعودي تسمية أخرى للأشهر العربية وهي:ناتق(محرم)، ثم ثقليل(صفر)، ثم طليق، ثم ناجر، أسلخ، أميخ، أحلك، كسع، زاهر، برك، حرف، نعل(ذوالحجة)<sup>1</sup>.

وأسماء الأيام: أولها الأحد، ويجمع على آحاد، وأحاد ووحد(أول)، ثم يوم الاثنين، ويجمع على أثنين، ثم الثلاثاء: يمدو ويذكر ويؤنث، ويجمع على ثلاثاوات وأثالث(جبار)، ثم الأربعاء بالمد، ويجمع على أربعاوات وأربيع(دبار)، والخميس: يجمع على أخمسة وأخامس(مؤنس)، ثم الجمعة -بضم الميم، وإسكانها، وفتحها أيضا ويجمع على جُمع وجُمعات(عروبة)<sup>2</sup>، والسبت: مأخوذ من السَّبَّ وهو القطع لانتهاء العدد عنده، وكانت العرب تسميه شيار.

ثم الأيام أول، ثم أهون وأهود، ثم جبار، ثم دبار، ثم مؤنس، ثم العروبة، وقد نظمها شاعر في قوله:

أرجي أن أعيش وأن يومي  
بأول أو بأهون أو جبار  
أو المردي دبار فإن أفته  
فمؤنس أو عروبة أو شيار<sup>3</sup>

وسبب الزيادة في أشهر السنة أو نقصانها هو النسب الذي ابتدعه لهم "القلمس" وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عامر، ثم قام بعد ولده "ابن عباد"، ثم ولده قلَع ثم ولده أمية، ثم ولده عوف، ثم أبو ثمامة واسمه جنادة بن عوف وهو آخرهم.<sup>4</sup>

معنى "النسيء" مصدر من قول القائل: "نسأت في أيامك، ونسأ الله في أجلك"، أي: زاد الله في أيام عمرك ومدة حياتك فهو الحرم، كان يحرم عاماً، وصفر عاماً، وزيد صفر آخر في الأشهر الحرم،

<sup>1</sup> محمد بن المستنير قطرب، المصدر السابق، ص37-38، الفراء، الأيام والليالي والشهور، ص44-45-46، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ص335، علي بن الحسين المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص188-189.

<sup>2</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص196-197، علي بن الحسين المسعودي، المصدر السابق، ج2، ص191، جواد علي، المرجع السابق، ج8، ص464.

<sup>3</sup> يحيى بن زياد الفراء، الأيام والليالي والشهور، ص37، محمد بن المستنير قطرب، المصدر السابق، ص36.

<sup>4</sup> ابن هشام، ت عمر عبد السلام تدمري، المصدر السابق، ج1، ص60.

وكانوا يجرمون صفراً مرة، ويحلونهُ مرة، فعاب الله ذلك، وكانت هوازن وغطفان وبنو سُليمٍ تفعلهُ<sup>1</sup> لما كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة والحمية فاستطالوا به مدة الأشهر الثلاثة المحرمة لقضاء أوطارهم من قتال أعدائهم<sup>2</sup>.

### \*\*موقف الشرع من علم الفلك لدى عرب الجاهلية:

إن تقدم الإنسان أو تأخره مرهون بمدى اطلاعه وقدرته على فهم الكون، وما تقدمت أمما وتأخرت أخرى إلا بفضل علم الفلك والعامل يستعمل هذه العلوم لتسخيرها، والجاهل من يعتقد أن سعده وقدره مرتبط بطلووعها وأفولها، بحجة أنه إن كانت حركة الكواكب مؤثر في الكون على هذا النحو فتأثيرها على البشر أوكد، فجعلوها مصدرا لعلم التنجيم والسحر في محاولة منهم للسيطرة على القدر وتحصيل علم الغيب<sup>3</sup>.

الشمس والقمر آيتان من آيات الله في الكون أقسم الله تعالى بهما وبغيرهما من النجوم في عدة مواضع، ويبيّن أن الغاية من خلقهما هو تسخيرهما لخدمة حياة الناس في العدّ والحساب، وهداية الطريق في البر والبحر، ومتعة للعين ونزهة للروح التي تأنس بالجمال قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾<sup>الحج 16</sup>، وإن كانت هذه الكواكب مؤثرة في الكون فلائها ناموس من نوامسيه وسنة في خلقه، واقتران نزول المطر أو انجاسه بما يدل على أنها علامة له قال ﷺ: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»<sup>4</sup>.

وكما أن هذا الكواكب خاضعة لله تعالى تسير على وفق نظام فلا يعبت الإنسان بهذا النظام بابتداعه للنسيء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْتٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِهِمْ

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 452-453.

<sup>2</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 7، ص 200.

<sup>3</sup> للاستزادة ينظر لتاريخ ابن خلدون، ج 1 ص 656-661.

<sup>4</sup> صحيح البخاري، ج 1، ص 326، كتاب الاستسقاء [رقم 1038]، باب قوله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)

الواقعة 82، مسلم كتاب الايمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء، مج 1، ص 49، [رقم 71].

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿التوبة 37﴾

الفرع الثاني: علم الرؤيا والتعبير: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ الفتح 27

النوم عادة ينقاد إليها الإنسان جبراً أو طَوْعاً وهو سَكَنُ النفس وراحة العين، وهو أيضاً الجسر الذي يمنحنا العبور إلى عالم الغيب، أعجب ما في النوم أنك تطلبه لراحة حواسك ثم لا تفتأ تستعملها لتدرك بها في نومك ما عجزت عن معرفته في يقظتك، وأعجب منه أن تترجم تلك الرؤى إلى علامات تستدل بها على ما خفي عنك من عالم الشهادة لارضاء رغبتك في مكاشفة الغيوب لهذا عرفوا علم تعبیر الرؤى بقولهم:

عبرت الرؤيا: ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرتُ النهر، إذ قطعته حتى تبلغ عرضه وأولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها.<sup>1</sup>

ومعنى عبرت النهر والطريق قطعته إلى الجانب الآخر فقبل لعابر الرؤيا عابر، لأنه يتأمل جانبي الرؤيا فيتفكر في أطرافها وينتقل من أحد الطرفين إلى الآخر.<sup>2</sup>

وقالوا تأويل الرؤى، والتأويل إرجاع الشيء إلى حقيقته ودليله، والاستدلال بأصناف المخلوقات الروحانية والجسمانية على قدرة الله تعالى حكمته وجلاله.<sup>3</sup>

وتُسَمَّى الرؤى أحاديث، قال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِنَ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ يوسف 6، والأحاديث جمع حديث وهو الخبر المتحدّث به لأن المرثي يتحدّث بها الراؤون.<sup>4</sup>

وأصل هذا العلم من زمن يوسف -عليه السلام- كان الكهنة يشتغلون بتعبير الرؤى ولهم قواعد في حل رموز ما يراه النائم، وكانوا يعدون الرؤيا من طرق الإنباء بالغيب إذا سلمت من الاختلاط وكان مزاج الرائي غير منحرف ولا مضطرب وكان الرائي قد اعتاد وقوع تأويل رؤياه.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 3، ص 290.

<sup>2</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 18، ص 150.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج 18، ص 92.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 12، ص 216.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج 12، ص 210.

وقصة النبي يوسف -عليه السلام- رؤيا خبرنا فك رموزها من خلال انبائها بأحداث حياته التي صدقتها، فبداية القصة رؤية ونهايتها تعبيرها، تخللتها رؤى ثلاث لملك وخدم تحققت كلها.

ويُعدُّ تأويل الأحلام من العلوم التي اشتهر بها العرب وكان أبو بكر رضي الله عنه من المعبرين في الجاهلية ويُرجع إليه<sup>1</sup>، لهذا لما قفل الرسول صلى الله عليه وسلم راجعا من صلح الحديبية بعد أن منعه قريش دخول مكة حاجا، لم يرض الصحابة بعدم وقوع الرؤيا التي أعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم بها وهو دخول مكة محلقيين ومقصرين، إلاّ أبو بكر رضي الله عنه رضي وقال لهم عند مراجعتهم إياه: "إنه وعدُّ بدخول لم يُعين زمنه" مع أن الموعود به صادق بدخولهم مكة بالعمرة سنة سبع وهي عمرة القضية، فإنهم دخلوا المسجد الحرام آمنين وحلق بعضهم وقصر بعض غير خائفين إذ كان بينهم وبين المشركين عهد، وذلك أقرب دخول بعد هذا الوعد وصادق بدخولهم المسجد الحرام عام حجة الوداع، وعدم الخوف فيه أظهر، ودخولهم مكة يوم الفتح فلم يكونوا فيه محرمين.<sup>2</sup>

والحكماء يقولون إن الرؤيا الرديئة يظهر تعبيرها عن قريب، والرؤيا الجيدة يظهر تعبيرها بعد حين<sup>3</sup> والسبب في ذلك أن رحمة الله تقتضي أن لا يحصل الإعلام بوصول الشر إلا عند قرب وصوله حتى يكون الحزن والغم أقل، وأما الإعلام بالخير فإنه يحصل متقدما على ظهوره بزمان طويل حتى تكون البهجة الحاصلة بسبب توقع حصول ذلك الخير أكثر وأتم.<sup>4</sup>

قسّم العرب الرؤى إلى رؤية من الله ورؤية من الشيطان، يدل عليه قصة رؤيا "عبد المطلب" حفره بئر زمزم التي يرويها بنفسه قال: إني لنائم في الحجر، إذ أتاني آت فقال: احفر طيبة، قال قلت وما طيبة؟ قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه فجاءني فقال: احفر برة قال: فقلت وما برة؟ قال ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فتمت فيه فجاءني فقال احفر المذنونة قال فقلت وما المذنونة قال: ثم ذهب عني فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فتمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم، قلت وما زمزم؟ قال لا تتزف أبدا ولا تدم تسقي

<sup>1</sup> الشهرستاني، المصدر السابق، ص 496.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، ج 26، ص 199.

<sup>3</sup> مقدار المدة بين رؤيا يوسف عليه السلام وتأويلها ثمانون سنة، وقيل سبعون، وقيل أربعون وهو الأكثر وقيل ثمان عشرة سنة، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 18، ص 18.

<sup>4</sup> الفخر الرازي، المصدر نفسه، ج 18، ص 89.

الحجيج الأعظم، وهي بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الأعصم عند قرية النمل.<sup>1</sup>  
 فخرج عبد المطلب إلى قريش يخبرهم أنه أمر بحفر بئر زمزم، فسألوه هل يُبِنَ له أين هي؟ قال: لا،  
 قالوا فارجع إلى مضجعك الذي رأيت فيه ما رأيت، فإن يك حقاً من الله يبين لك، وإن يك من  
 الشيطان فلن يعود إليك، فرجع عبد المطلب إلى مضجعه..<sup>2</sup>  
 والشاهد أنهم كانوا ينسبون الرؤيا الكاذبة إلى الشيطان، وقد قالوا للنبي ﷺ من البعثة أن ماجاء  
 به هو "أضغاث أحلام"<sup>3</sup>، أي أخلاط<sup>4</sup> قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ  
 شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْآوَلُونَ﴾ الأنبياء<sup>5</sup>، وأن من شروط الرؤيا الصادقة عندهم  
 تكررها ووضوحها.

ومنها رؤية آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ أنها أتيت حين حملت برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك قد  
 حملت بسيد هذه الأمة، فإذا وقع إلى الأرض، فقولي أعيذه بالواحد من شر كل حاسد، ثم سميه  
 محمداً وأرأت حين حملت به أنه خرج منها نورٌ رأت قصوراً بصرى من أرض الشام.<sup>5</sup>  
 ومنها رؤية عاتكة<sup>6</sup> بنت عبد المطلب - عمّة النبي ﷺ -: وكانت رأت راكبا أقبل على بعير له قد  
 وقف بالأبطح يصرخ بأعلى صوته وقد تجمع الناس حوله: ألا انفروا يا لُعْدُرُ لمصارعكم في ثلاثٍ  
 ثم مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بمثلها: ألا انفروا يا لُعْدُرُ لمصارعكم في ثلاثٍ، ثم مثل  
 به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت  
 بأسفل الجبل ارفضت، فما بقي بيت من بيوت مكة، ولا دار إلا دخلتها منها فلقة، فقال

<sup>1</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ت عمر عبد السلام تدمري، ج 1، ص 164-165.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 167.

<sup>3</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 4، ص 129، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 14، ص 176، محمود

الآلوسي، روح المعاني، ج 17، ص 9، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، النكت والعيون، ج 3، ص 437.

<sup>4</sup> الأضغاث: ج ضغث وهو الحزمة من أعواد أو عُشب أو حشيش مختلط أطلق على الأخلاط مطلقاً، ابن عاشور، المرجع

السابق، ج 17، ص 16.

<sup>5</sup> ابن هشام، ج 1، ص 180، محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، (دد، دط، دت)، ص 142.

<sup>6</sup> عاتكة بنت عبد المطلب بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمها فاطمة بنت عمرو من بني مخزوم، تزوجها

تزوجها في الجاهلية أبو أمية بن المغيرة، أسلمت بمكة وهاجرت إلى المدينة، ابن سعد، المصدر السابق، ج 10، ص 43-44،

شمس الدين الذهبي، المصدر السابق، ج 2، ص 272.

العباس: والله إن هذه لرؤيا، فاكتميتها ولا تكريها لأحد، ثم خرج العباس فحدث بها "الوليد بن عتبة بن ربيعة" ففضحا الحديث بمكة حتى تحدثت به قريش في أنديةها.<sup>1</sup>  
 وصدقت الرؤيا فقد جاء ضمضم بن عمرو الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره، قد جدعه وحوّل رحله وشقّ قميصه، وهو يقول اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغوث الغوث، فتجهز الناس ولم يتخلف من أشرافها أحد، ثم كانت وقعة بدر التي قتل فيها قتيل من كل بيت من أشراف قريش، كعتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأمّية بن خلف، وأبو الحكم بن هشام.<sup>2</sup>

### \*\*موقف الشرع من علم الرؤيا:

في النوم اختيارات عليك اتخذها عندما تحاول النوم فأنت تحاول التخلي عن روحك وسلخها من جسدها الذي لا يسكن إلا بمفارقتها، بإمكانك أن تختار الفراش والساعة التي تنام فيها لكنك لن تختار المكان الذي ستذهب إليه روحك وحده الله يعلم مكانه، وسيسقط حَقُّك في اختيار الوقت الذي سترجع فيه هذه الروح إلى جسدها، بهذا المعنى خاطبنا الله تعالى فقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمَسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الزمر 42.

وإذا ثبت أن الله يقبض هذه الأرواح كلها بالموت أو النوم، فقد أوحى ذلك بوجود مكان تلتقي فيه هذه الأرواح، وتعرض النفس عند ارتفاعها إلى معرفة ما تتشوّف إليه في عالم الحق فتدرك في بعض الأحيان منه لحظة يكون فيها الظفر المطلوب ولذلك جعلها الشارع من المبشرات.<sup>3</sup>  
 عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى

<sup>1</sup> ابن سعد، المصدر السابق، ج 10، ص 44، ابن هشام، المصدر السابق، تعمر عبد السلام تدمري، ج 2، ص 250-251،

محمد بن حبيب، المنق، ص 142-143.

<sup>2</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ت عمر عبد السلام تدمري، ج 2، ص 288.

<sup>3</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المرجع السابق، ج 1، ص 129.

أجسادها.<sup>1</sup>

قال علي رضي الله عنه: فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها تلقيها الشياطين، وتخيّل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة.<sup>2</sup>

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الرؤيا ثلاثة: فرؤيا الصالحة بُشِّرَى من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث المرء نفسه».<sup>3</sup>

الرؤيا الصادقة حالة يكرم الله بها بعض أصفياؤه الذين زكت نفوسهم فتتصل بتعلقات من علم الله وتعلقات من قدرته وإرادته وأمره التكويني فتتكشف بها الأشياء المغيبة بالزمان قبل وقوعها، أو المغيبة بالمكان قبل اطلاع الناس عليها اطلاً عادياً.<sup>4</sup>

ولعله من أجل ذلك يربط الله تعالى كثيراً بين ذكر الليل والنهار وعمل الإنسان فيهما فأحدهما زرع والآخر حصاد له، فكما تكون الدنيا حرث الآخرة فيلقى العبد جزاء ما كسب يكون الليل حصاد النهار، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ الأنعام:60.

وتعبير الرؤى سنة فقد روى ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر من قوله لأصحابه: «من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له»<sup>5</sup>، وعنه أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة».<sup>6</sup>

### الفرع الثالث: علم الفراسة والقيافة قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر 75

يستأثر الله بعلم الغيب وما يدور في صدور الخلق، ويتحاكم الناس في حياتهم اليومية إلى ظواهر

<sup>1</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج18، ص284.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، ج18، ص284.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، مج2، ص1075 [رقم 2263].

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج12، ص210.

<sup>5</sup> صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤى، مج2، ص1078، [رقم 2269].

<sup>6</sup> صحيح مسلم، كتاب الرؤيا، مج2، ص1076، [رقم 2263].

الأعمال وما يتخاطبون به من صريح الأقوال، وإن كان الباطن لا يُرى فإن له علامات يُعرف بها، وإن كانت الأجسام لا تُدرك فإن لها آثارا بها تُلحق، فوضع العرب لهذه العلامات والآثار قواعد وأصبحت علوما قائمة بذاتها وأسَموها علم الفراسة والقيافة.

#### أ- علم الفراسة:

**لغة:** الفِرَاسَةُ: اسمٌ من التَّفْرِسِ وهو التَّوَسُّمُ، يُقَالُ تَفَرَّسَ فِي الشَّيْءِ إِذَا تَوَسَّاهُ<sup>1</sup> والسِّمَةُ لغة: العلامة<sup>2</sup> والمتوسِّمُونَ: المتفرسون<sup>3</sup>، والفَارِسُ: الحاذِقُ بما يُمارِس من الأشياءِ كلها.<sup>4</sup>

**إصطلاحاً:** هو الإستدلال بالأحوال الظاهرة على الأخلاق الباطنة.<sup>5</sup>

أوهو الإستدلال على هيئة الإنسان وأشكاله وألوانه وأقواله على أخلاقه وفضائله وذرائله، قال تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾<sup>6</sup> البقرة 273.

حَمَلَ جمهور المفسرين<sup>7</sup> الوَسْمَ المذكور في ثمان مواضع في القرآن الكريم<sup>8</sup> على أنه علم الفِرَاسَةِ، وموضوع علم الفراسة الإنسان وبيئته، وأحكامه غير مشروطة ولا مُرتاب بها لأن التجربة أكسبتها اليقين في نتائجها، ووسائل إدراك هذا العلم طريقان النظر والسمع، كَسْباً أو توراثاً.

<sup>1</sup> محمد مرتضى الزبيدي، المرجع السابق، ج 16، ص 328.

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 3 ج 24، ص 2109.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 14، ص 95.

<sup>4</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ج 38، ص 3379.

<sup>5</sup> فخر الدين الرازي، الفراسة، ت مصطفى عاشور، (مكتبة القرآن، القاهرة، دط، دت)، ص 22.

<sup>6</sup> من العلماء من حمل السمة على أنها أثر في الوجه لالتصاقه بالتراب، قال تعالى يقول (مِنْ أُنْزِ السُّجُودِ) الرحمن 41، وأنها تكون تكون يوم القيامة (وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ).

<sup>7</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 14-95، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 4، ص 388، ابن حيان الأندلسي،

المصدر السابق ج 5، ص 45، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 8، ص 639-640.

<sup>8</sup> البقرة 273، الأعراف 46-48، الحجر 75، الرحمن 41، محمد 26، الفتح 29، القلم 16.



١- الفراسة بالنظر قال تعالى: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ الفتح 29.

وهو المعاينة بالبصر للوصول إلى خبر الصدر وطباع النفس وأخلاقها، وينظرون فيه عادة إلى الوجه لأنه مرآة الجسد والروح، فالوجه الحسن يعكس حسن الأخلاق والطباع واستقامة الطوية، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ يونس 26.

والوجه القبيح يعكس سوء الأخلاق وفساد الأمزجة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ يونس 27.

ثم ينظرون إلى الشكل تارة أخرى متفرسين بريده، قال ابن القطّاع: الفِرَاسَةُ بِالْعَيْنِ إِدْرَاكُ الْبَاطِنِ<sup>1</sup>، وفي العرف هي: الظَّنُّ الصَّائِبُ النَّاشِئُ عَنْ تَثْبِيتِ النَّظَرِ فِي الظَّاهِرِ لِإِدْرَاكِ الْبَاطِنِ.<sup>2</sup> فمثلاً يستدلون بصغر الرأس الخارج عن العادة على صغر العقل، وبكبره وسعة الصدر وبعده ما بين جانبيه على سعة خلق صاحبه واحتماله وبسطته، وبضيقه على ضيقه وبخمود العين وكمال نظرها على بلادة صاحبها وضعف حرارة قلبه، وبشدة بياضها مع إشراجه بحمرة على شجاعته وإقدامه وفطنته، وبتدويرها مع حُمُرِهَا وكثرة تقلبها على خيانتها ومكره وخداعه...<sup>3</sup>

٢- الفراسة بالسمع قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد 30

والمعنى فإن لم تُرك إياهم بسيماهم فَلتَعَنَّ معرفتك بهم من لحن كلامهم بإلهام يجعله الله في علم رسوله ﷺ، وإنما ترك الله تعريفهم إياهم بسيماهم ووكله إلى معرفتهم بلحن قولهم إبقاء على سنة الله تعالى في نظام الخلق.<sup>4</sup>

قال الإمام ابن تيمية<sup>5</sup>: "علق معرفته إياهم بالنظر على المشيئة ولم يعلق تعريفهم بلحن خطابهم

<sup>1</sup> محمد مرتضى الزبيدي، المرجع السابق، ج 16، ص 328-331.

<sup>2</sup> عبد الشافي أحمد الشيخ، الفراسة في القرآن الكريم، ( جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الملك فيصل بالأحساء، دط، دت) ص 6.

<sup>3</sup> شمس الدين بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت محمد حامد الفقي، (دارالبيان الحديثة القاهرة، ط 1، 1424هـ-2004م) ج 2، ص 195.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 26، ص 122-123.

<sup>5</sup> ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم محمد بن عبد السلام الحراني الحنبلي [542-622هـ-1263-1328م] آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان قلمه ولسانه متقاربان، مات بقلعة دمشق سحينا، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 1،

على شرط بل أخبر به خبراً مؤكداً بالقسم (ولتعرفنهم في لحن القول) وهو تعريض الخطاب وفحوى الكلام ومغزاه<sup>1</sup>، قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداه الله على صفحات وجهه، وفلتات لسانه".

وإنما أدرك العرب هذا العلم بالقياس فقاوسوا شبيهه الإنسان بشبيهه من الناس، ثم شبيهه الإنسان بشبيهه من الحيوان، ثم شبيهه الإنسان بالبيئة.

\*قياس شبيهه الإنسان بشبيهه من الحيوان: قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا قَرَّبْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ عِزُّنَا إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ الأنعام 38، ومعنى أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ أي خلق كخلقكم<sup>2</sup>، وكل نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع، فهي ناسجة كالعنكبوت، وبانية كالشرنقة، ومُدَّجِرَةٌ كالنمل، ومعتمد على قوت وقته كالعصفور والحمام، إلى غير ذلك من الطبائع التي يخصص بها كل نوع.

والنص فيه تعميم للأصناف كلها لأن اجتماع (ما) و(من) يدل على الاستغراق للجماعات والآحاد معاً، فهي علم الله تعالى جماعات وأجناس وطبائع مختلفة مثلكم.<sup>3</sup>

فَسَّرَ سفيان بن عيينة هذه الآية بقوله: "ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من بعض البهائم، فمنهم من يُقَدَّمُ إقدام الأسد، ومنهم من يعدو عدو الذئب، ومنهم من ينبح نباح الكلب، ومنهم من يتطوس كفعل الطاوس، ومنهم من يشبه الخنزير فإنه لو ألقى إليه الطعام الطيب تركه، وإذا قام الرجل عن رجيعه وكغ فيه، فكذلك نجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها فإن أخطأت مرة واحدة حفظها، ولم يجلس مجلساً إلا رواه عنه".<sup>4</sup>

ص 144.

<sup>1</sup> شمس الدين بن قيم الجوزي، مدارج السالكين، ج 2، ص 192.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 9، ص 233.

<sup>3</sup> محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 2491.

<sup>4</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 12، ص 225.

والشبهه بين الإنسان والحيوان يمنعه من التطابق تميز الإنسان بالعقل، فيفطمه عن بعض الدنيا، ويحجبه عن المكاشفة، وقد يغلب الطبع التّطبع فيرجع إلى أصله الحيواني فيوافقه في الشكل والطبع، قال لقمان لابنه واعظا له أن لا يرفع صوته حتى لا يُشبهه الحمير، قال تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَسِيرِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لقمان 19.

وشبهه الله تعالى المتعلم المنسلخ عن الإيمان بالكلب الذي يلهث في الراحة والتعب، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَكُفِرَ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الأعراف 176.

وقد يتعلم الإنسان من الحيوان ويحاكيه في عاداته، قال تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلِّيَ أَحْجَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ المائدة 31.

وقد قارن الإمام الرازي في كتابه "الفراسة" بين شكل بعض أجزاء الإنسان وشبيهه من الحيوان والأخلاق التي يُشبهها هذا الشكل وسنعطي مثالا عن الأنف فقال:

(أ) من كان طرف الأنف منه دقيقا فهو محب للخصومة، طياش خفيف هذا الدليل مأخوذ من الكلب.

(ب) من كان أنفه غليظا ممتلئا فهو قليل الفهم، هذا الدليل مأخوذ من الثيران.

(ج) من كان أفطس فهو شبق هذا الدليل مأخوذ من الإبل.

(د) من كان أنفه شديد الانتفاخ، فهو غضوب هذا الدليل مأخوذ من مشابهة أنف الغضبان.

(هـ) من كان أعلى الأنف منه غليظا فهو قليل الحس، هذا الدليل مأخوذ من الخنزير.

(و) من كان أنفه يتدلى من الجبهة متقوسا فهو وقح، وهذا الدليل مأخوذ من الغراب.

(ز) من كان أنفه متقوسا بنفسه نبيلة، وهذا الدليل مأخوذ من العقاب.

(ح) من كان أنفه عميقا وكان من ناحية الجبهة مستديرا وكان مع استدارته مائلا إلى فوق فهو شبق، هذا الدليل مأخوذ من العقاب مأخوذ من الديك...<sup>1</sup>  
وانظر إلى النبي ﷺ يشبه حال الحيوانات وما يطراً عليها بحال الناس، حين جاء رجل من فزارة إليه ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلاما أسود.

- فقال ﷺ: «هل لك من إبل»؟

- قال: نعم.

- قال ﷺ: «فما لوئها»؟

- قال: حمر

- قال ﷺ: «فهل فيها من أورك»؟

- قال: نعم

- قال ﷺ: «فأني ذلك»؟

قال: لعل عرق نزعه.

- قال ﷺ: «فلعل ابنك هذا نزعه عرق».<sup>2</sup>

\*قياس شبيه الإنسان بشبيهه في البيئة: خُلِقَ الإنسان من طين الأرض المختلفة اللون والتركيبية، ومما نراه في الكون أن أهل كل منطقة يتشابهون في المزاج والطباع والشكل بحسب المناخ الذي يعيشون فيه.

كتب حكيم جوابا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سأله أن يصف له المدن وأهويتها ومساكنها وتأثير ذلك على سكانها فكان مما قاله: "والأخلاقُ والصُّورُ يا أمير المؤمنين تُناسب البلد وتحاذيه وتقاربه وتوافقه وتضاهيه، وكل بلد اعتدل هواؤه وخف مأؤه، ولطف غذاؤه كانت صورُ أهله وخلاتهم تناسب البلد وتحاذيه وتشاكل ما عليه أركانه وما أسس عليه بيانه، وكل

<sup>1</sup> الفخر الرازي، الفراسة، ص 94.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب إذا عرَّض بنفي الولد، ج3، ص 413، [رقم 5306].

بلد يزول عنه الاعتدال انتسب أهله إلى سوء الحال...<sup>1</sup>.

ولذلك وجدوا الطول في أزد شنوءة<sup>2</sup>، والغلظ والجفاء في الروم وأصحاب الجبال والأكثر من أهل الشام وأوباش مصر، واللؤم في الخزر وأهل حران من بلاد دياربكر، والشح بفارس، واللؤم على الطعام بأصفهان، وصار تفرطح الرجلين وفطس الأنوف في السودان، والطرب في الزنج.<sup>3</sup>

فإذا وجدنا الشكل الخاص ببعض الأصناف حاصلًا في إنسان حكمنا بأنه حصّل الخلق الملائم لذلك الشكل فيه مثاله أهل المشرق طوال القُدود، أقوياء القلوب شجعان، وأهل المغرب صغار الجثة، ضعاف القلوب.<sup>4</sup>

ونحن اليوم نرى الأفارقة السود مثلاً جعد الشعر فطس الأنوف، أقوياء البنية يفرطون في استعمال القوة غالباً، ويقل عندهم وفرة العقل والذكاء، ونرى الآسيويون قصار القامة صفر الوجوه سبط الشعر مع برودة طبع وذكاء عقل، كما نلاحظ أثر البيئة جلياً في سلوك الناس فأهل المناطق الباردة يتسمون بالهدوء والسكينة التي تفضي إلى الرفق واللين، وأهل المناطق الساخنة يتسمون بالسرعة والطيش الذي يفضي إلى الشدة والحزم...

ب- علم القيافة قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ الإسراء 36.

- لغة: قَفَاهُ قَفْوًا وَقَفْوًا وَقَفَّاهُ وَقَفَّاهُ: تَبَعَهُ.<sup>5</sup>

- اصطلاحاً: القيافة قسمان:

١- قيافة الأثر: ويقال لها العيافة أيضاً وهي تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر، وفائدتها

<sup>1</sup> علي بن الحسين المسعودي، المصدر السابق، ج 2، ص 36.

<sup>2</sup> الشنوءة: إما أن يقصد به التقزُّز من الشيء، وهو التباعد من الأذناس وقيل البغض، أو طول القامة التي اشتهرت بها أزدشنوءة أو "شنوءة الأزد" اسم قبيلة باليمن تنسب لجد لها يقال له شنوءة من القحطانيين ابن منظور، لسان العرب مج 4، ج 26، ص 2335-2346، خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج 3، ص 117.

<sup>3</sup> علي بن الحسين المسعودي، المصدر السابق، ج 2، ص 147.

<sup>4</sup> الفخر الرازي، الفراسة، ص 47.

<sup>5</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ج 41، ص 3708-3709.

تَتَّبِعُ الْفَارَّ مِنَ النَّاسِ وَالضَّالَّ مِنَ الْحَيَوَانِ اعْتِمَادًا عَلَى الْأَثْرِ وَقُوَّةَ الْبَصَرِ وَالْحَافِظَةَ.

٢- قيافة البشر: وهي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله على نَسَبِهِ، فإذا نظروا إلى عِدَّةِ أشخاصٍ أَلْحَقُوا الْإِبْنَ بِأَبِيهِ، وَالْأَخَ بِأَخِيهِ، وَالْقَرِيبَ بِقَرِيْبِهِ.

وفي الصحيح عن عائشة-رضي الله عنها- أن مجززا المدلجي دخل على رسول الله ﷺ فرأى أسامة وزيد-والده-وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما، فقال: "إن هذه الأقدام بعضها من بعض"، فسُرَّ بذلك النبي ﷺ.<sup>1</sup>

ومن اشتهر بها من العرب، بنو مدلج وبنو لهب وأهل مكة فيهم من يقارب هؤلاء، فَيَمَيِّزُونَ بَيْنَ الْعِرَاقِيِّ وَالشَّامِيِّ، وَالْمِصْرِيِّ وَالْمَدِينِيِّ، وَالْعَرَبِيِّ وَالْعَجَمِيِّ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَزِيْهِ وَهَيْئَتِهِ.<sup>2</sup>

ج- علم الريافة: وهو معرفة استنباط الماء من الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده فيعرف قربه وبعده بشم التراب، أو بوضع أذنه على الأرض فيخبر بما يتبين له، أو برائحة النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوصة، ويسمى من له هذه المعرفة (بالتَّصَّات)...

ويعرف أيضا بعلم الإهتداء في البراري: وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة بقوة الشامة فقط وبرائحة التراب ومساممة الكواكب الثابتة ومنازل القمر إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة ولكل كوكب سمت يهتدى به.<sup>3</sup>

هناك علاقة وطيدة بين الفراسة والقيافة والريافة فالأول يبحث في أغوار النفس الباطنة من خلال المظاهر الخارجية للأشياء، والثاني والثالث يبحثان فيما تخفيه الأرض وما لا تدركه العين بتتبع آثارهما في الكون.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب القائف، ج4، ص244، [رقم 6770]

<sup>2</sup> محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج3 ص261-262-263.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج3، ص343-344.

**\*موقف الشرع من علم الفراسة :**

علم الفراسة حسب ظل صورة إنسان والتعمق في تفاصيلها الخارجية الدالة على مواطن الأشياء الداخلية الخفية، فكما يتفرس الطبيب جسد الإنسان ويستدل على مرضه أو صحته بعوارض وعلامات تكون مرآة لنظامه الداخلي، كذلك يتفرس القائفُ مظهر الإنسان وجسده ليستدل به مواطن نيته وأخلاقه، وإن كان الهدف من تشخيص الطبيب كشف العلة ووصف الدواء لصالح الأبدان، فإن غاية المتفرس تصنيف البشر ليسهل التعامل معهم فيتقوى الضرر، ويُستجلبُ النفع، فيحصل التوافق بين الخلق وتقل المشاحنات، فلا يتولى الناس أحق ولا يخدع القاضي بكلام الواشي ثم إنه فرع لحكم إذ به تلحق الأنساب وتقتفى آثار الأجساد ويهتدى به في الطُرُقَات ..

والإسلام يعترف بالفراسة المكتسبة عن طريق النظر والسَّماع، مع اقراره بأنَّ لهما حداً ينتهيان عنده فالتحاكم إلى ظواهر الأجساد ومنطق الكلام نسبي لفرضية الالتباس على المتفرسِ أحياناً، قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْكَافًا﴾ البقرة 273، وكالتباس حال المنافقين على المؤمنين لظاهر الحسن في المظهر والقول، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُو فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفِّكَوْنَ﴾ المنافقون،<sup>4</sup> و كقوله تعالى في أصحاب الكهف: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً وَأَهُمْ رُفُودٌ﴾ الكهف 18، ولهذا زكاهما بطريق ثالث يدعى:

3- الفراسة القلبية (أو الإلهامية): وهي أمر يُدرك بالشعور ولا يُوصف بالكلام قد يكون أحد مقدماته النظر والسماع والقلب يصدق ذلك أو يكذبه، وقد يكون إلهاماً من الله دون سبب يتقدمه إلا ما يُعين على درء الحُجُب كهجر المعاصي والشهوات وصدق الحديث وصفاء الروح... قال ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»<sup>1</sup>، ويسمى صاحبه المحدث قال النبي ﷺ:

<sup>1</sup> الترمذي، الجامع، ت بشار عواد، باب ومن سورة الحجر، ج 5، ص 298، [رقم 3127]، وقد ضعف الألباني هذا الحديث، محمد ناصر الدين الألباني، (السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، دط، دت)، ج 4، ص 299.

«إن يكن في أمتي منهم أحدٌ فإنَّ عمر بن الخطاب منهم»<sup>1</sup>.

ويشترك النَّاسُ في فِراسَة طَبِيعِيَّةٍ تَقَعُ لِلجَمِيعِ كَافِرِهِمُ وَمُسْلِمِهِمُ صَغِيرِهِمُ وَكَبِيرِهِمُ عَامِيهِمُ وَعَالَمِهِمُ ثُمَّ يَتَفَاضَلُونَ، فَمَنْ فِرَاسَةُ العِوَامِ الأَمْرُ بالنَظَرِ لِلْمَخْطُوبَةِ طَلِبًا لِذِوَامِ الصُّحْبَةِ، وَمَنْ فِرَاسَةُ الكُفْرَةِ تَفْرَسُ عَزِيزِ مِصْرَ فِي يوسُفَ - النَّبِيِّ<sup>2</sup> - وَتَفْرَسُ صَاحِبِيهِ فِي السِّجْنِ فِيهِ الصَّلَاحُ،<sup>3</sup> وَكَتَفْرَسُ زَوْجَةُ فِرْعَوْنَ فِي مِوسَى النَّبِيِّ<sup>4</sup> - عَلَيْهِ النِّعَمُ، وَمَنْ فِرَاسَةُ النَظَرِ وَالعَمَلِ تَفْرَسُ ابْنَةُ شَعِيبِ فِي مِوسَى<sup>5</sup> - النَّبِيِّ<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر - رضي الله عنه - مج2، ص 1125، [رقم 2398]

<sup>2</sup> قال تعالى: (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) يوسف 21

<sup>3</sup> قال تعالى: (بَيَّنَّا بَنُو إِلِيهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) يوسف 36.

<sup>4</sup> قال تعالى: (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكِ لَا تُقْلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) القصص 9.

<sup>5</sup> قال تعالى: (اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ) القصص 26.



## المبحث الثاني: صورة الحياة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام من القرآن الكريم

### المطلب الأول: المعاملات الاقتصادية:

الفرع الأول: المبادلات التجارية قال تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ﴾

النساء 29

تحتل جزيرة العرب موقعا تجاريا هاما فشمالها مرتبط بفارس والروم وجنوبها يقع بين الحبشة والهند وأهم مراكزها ومحطاتها التجارية مكة ويثرب وتيماء<sup>1</sup>.

و مكة خاصة بجر لأودية مختلفة يجد كل طالب فيها بغيته فهي الملاذ الاجتماعي لمن يطلب الأمن والسكينة، وملاذ اقتصادي لمن يسعى للغنى، وملاذ ثقافي لمن يطلب الشعر وعلو الذكر... وهذه المكانة التي احتلتها كانت بتقدير إلهي وبصناعة بشرية.

1- المكانة الدينية والتاريخية: فالله تعالى هو الذي اختارها بيتا له وهو الذي دعا الناس للحج

إليها، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

عَمِيقٍ﴾ الحج 27، وقد تَوَعَدَ كل من يَمَسُّهَا بِسُوءٍ بِالْعَذَابِ وَالْبُكَ<sup>2</sup> ولا يزال النَّاسُ يتذكرون

قصة أصحاب الفيل الذين أرادوا بِنَيْتِهِ الْعَتِيقَ شَرًّا فَقَصَمَهُمُ اللَّهُ، فَحَفِظَهَا لَهُمُ الْعَرَبُ<sup>3</sup> والعجم

وسمَّوهم "أَهْلُ اللَّهِ"<sup>4</sup>، فكان الناس من حولهم يغزون ويختطفون وهم آمنون من السِّيِّ والقتل<sup>5</sup> قال

تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّاءٍ آمِنًا وَيُنْخِطُفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ العنكبوت 67.

<sup>1</sup> ناصر بن سعد الرشيد، تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي، مقال في الجزيرة العربية قبل الإسلام، المرجع السابق.

<sup>2</sup> قال تعالى: ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ) الحج 25.

<sup>3</sup> من القبائل التي كانت لا ترى للحرم حرمة ولا للشهر الحرام قدراً بنو طيء، وختعم وقضاعة، عبد الملك بن محمد الثعالبي،

ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ت محمد إبراهيم (دار المعارف، القاهرة، 2009م)، ص 116.

<sup>4</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 32، ص 104، عبد الملك الثعالبي، ثمار القلوب، ص 10.

<sup>5</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 18، ص 443، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 25، ص 4، أبو بكر القرطبي،

المصدر السابق، ج 16، ص 389، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 6، ص 436، محمد متولي الشعراوي،

تفسير الشعراوي، ج 8، ص 303.

2- البيئة الطبيعية: مكة منطقة دينية محرمة لا تصلح للغزو ولا يصلح أن يقع منها، ومنطقة صحراوية لا تصلح للزراعة ولا مطمَع فيها، قال تعالى: ﴿بَوَادٍ غَيْرِ زَيْ زَرْعٍ﴾<sup>1</sup> ما جعل منها منطقة محايدة حربيا وهي نعمة تبطن نقمة كصور ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، إذ أن هذه الطبيعة أورثت القوم جوعا شديدا وخوف هلاك النفس، حتى روي أن الرجل منهم إذا أصابته فاقة شديدة ولا يجد ما يأكله وعياله حملهم واعتفروا.<sup>1</sup>

وأهم هذا الأمر "هاشما" فقام فيهم خطيبا وقال: إنكم أحدثتم حدثا تَقْلُونَ فيه وتكثر العرب وتذِلُونَ وتَعزُّ العرب وأنتم أهل حرم الله والناس لكم تُبَع ويكاد هذا الاعتفار يأتي عليكم، ثم جمع كل بني أب رحلتين للتجارات فما ربح الغني قسمه بينه وبين الفقير من عشيرته.<sup>2</sup>

ويشبه أن يكون هذا إيلافا قريبا بين الأفراد ثم تطور فيما بعد إلى عقد المضاربة أو القراض وهو: أن يدفع مال إلى شخص ليتجر فيه والربح بينهما.<sup>3</sup>

والقراض والمضاربة اسمان لمسمى واحد، فالقراض لغة أهل الحجاز والمضاربة لغة أهل العراق، وسمي قراضا لأن صاحب المال قطعه من ماله، وسمي مُضاربة لأن كل واحد منهما يضرب بسهم<sup>4</sup>، وهو أحد طرق التجارة التي كان يعمل بها في الجاهلية وممن كانت تضارب في الجاهلية من النساء خديجة بنت خويلد -رضي الله عنها- قال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ المزملة. 20.

3- عقد الأحلاف مع القبائل وأخذ العهود من الأمراء: قال تعالى ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٍ إِلَيْهِمْ

<sup>1</sup> العَفْرُ والعَفْرُ: ظاهرُ التُّراب، وَعَفْرُهُ في التراب: مَرَعُهُ وَدَسَّهُ، ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج 34، ص 3008. والاعتفار في الجاهلية أن القوم إذا اعترتهم خصاص فلم يجوا طعاما حمل رب البيت عياله إلى موضع معروف فضرب عليهم حباء وبقوا فيه حتى يموتوا جوعاً.

<sup>2</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 8، ص 548، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 22، ص 503، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 30، ص 558.

<sup>3</sup> يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين، ت علي محمد عوض، (دار عالم الكتب السعودية، بيروت، ط خاصة، 1423هـ - 2003م)، ج 4، ص 197.

<sup>4</sup> علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الحاوي الكبير، ت علي محمد عوض، (دار الكتب العلمية، ط 1، 1414هـ - 1994م)، ج 7، ص 305.

## رِحْلَةُ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ❁ قريش 1-2.

القرشيون تجار مهرة ومن لم يكن منهم تاجرا فليس بشيء<sup>1</sup>، ومن أجل تأمين تجارتهم عقدوا إيلافا داخليا مع رؤساء وسادات العشائر على جعل معلوم يُؤدَّى إلى رؤسائها وسادات عشائرها كأن يعطوهم شيئا من الربح أو يحملون إليهم متاعا أو يسوقون إليهم إبلا مع إبلهم ليكفوهم مؤونة الأسفار مقابل حماية قوافلهم التجارية<sup>2</sup> وليأمن النَّاسُ المسير إلى مكة.

ثم عقدت قريش إيلافا خارجيا وهي عهدود أبرمت مع الأمراء والملوك ليوسعوا من تجارتهم ويلتحقوا بمواطن لا يُسابقون إليها والناس في غفلة عنها<sup>3</sup>، وكان من سنَّ هذا الأمر "هاشم" وأعانه عليه إخوته الثلاثة "عبد شمس" و"المطلب" و"نوفل"، فأخذ هاشم العهد من ملك الشام، والمطلب من كسرى، وعبد شمس ونوفل عاهدا ملك مصر والحبشة وسموهم المجيرين<sup>4</sup>، وكان من نتائج هذه المعاهدات رحلتي الشتاء والصيف، رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى بصرى بالشام.<sup>5</sup>

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما حصره الرحلتان في الجزيرة فقال كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل ويرحلون في الشتاء إلى مكة للتجارة وسائر أغراضهم<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية، ص 52.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 30، ص 558.

<sup>3</sup> لأن الجاهليين كان يفتخرون بالكسب بالسيف ويحتقرون التجارة ومن يمارسها بل وعيروا قريشا بما يقول ابن الزبير: ألهى قصيا عن المجد الأساطير وقولهم رحلت غير أتت غير.

<sup>4</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج 30 ص 238، محمد الطاهر بن عاشور المرجع السابق، ج 30 ص 558، محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 1، ص 252.

<sup>5</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 24، ص 651، محمود الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 240، ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج 5، ص 525، ابن حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج 8، ص 515، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 5، ص 436-437.

<sup>6</sup> ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج 5، ص 525، محمود الألوسي، روح المعاني، ج 30، ص 240، ابن حيان الأندلسي، الأندلسي، ج 8، ص 515.

وخالف بعض المفسرين الجمهور وعدّوا رحلات قريش أربع وممن قال به "الآلوسي" واحتج بأن أصحاب الإيلاف كانوا أربعة إخوة وهم بنو عبد مناف هاشم كانوا يؤلف ملك الشام أخذ منه خيلاً فأمن به في تجاراته إلى الشام، وعبد شمس يؤلف إلى الحبشة، والمطلب إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، فكان هؤلاء يُسمّونَ المجيرين، فتختلف تجارة قريش إلى الأمصار بجبل هؤلاء الإخوة فلا يُتعرض لهم.

قال الأزهري: الإيلاف شبه الإجارة فإذا كان كذلك جاز أن يكون لهم رحل أربع باعتبار هذه الأماكن التي كانت في خفارة هؤلاء الأربعة وفيهم قول الشاعر بمدحهم:

يا أيها الرَّجُلُ المَحْوُلُ رَحْلَهُ      هَلَّا نَزَلْتَ بِآلِ عَبْدِ مَنْفٍ  
الآخِذُونَ العَهْدَ مِنْ آفَاقِهَا      والرَّحِلُونَ لِرِحْلَةِ الإيلافِ  
والرَّائِثُونَ وَلَيْسَ يُوجَدُ رَائِثٌ      والقائلونَ هَلُمَّ لِلأضيافِ  
والخَالِطُونَ غَنِيهِمْ لفقيرهم      حتَّى يصير فقيرُهُم كالكافي<sup>1</sup>

ورَدَّ هذا القول جماعة آخرون كابن عطية وابن عاشور وقالوا إنَّ كون أصحاب العهد أربعة لا يقتضي أن تكون الرِّحلات أربع فلم يقل بهذا أحد، ولعل الإخوة كانوا يتداولون السفر مع الرحلات تناوبا ولأنهم توارثوا ذلك بعد موت هاشم فكانت تُضَافُ العير إلى أحدهم.<sup>2</sup>

والذي أراه أن الآية صريحة ناطقة بأن عدد الرحلات اثنتان واحدة في الشتاء وأخرى في الصيف، وجائز أن ينطلق الإخوة الأربعة إلى الأماكن التي أخذوا منها العهود صيفا أو شتاء، فيكون المقصود بالعدد تحديد زمان الرِّحلات لا عدد الرحلات نفسها، إذا لا فائدة من أخذ العهود من أربع إمارات فيرحلون إلى اثنين منهما ويَدْعُونَ الآخرين، أو قد يكون حجم القوافل الأخرى صغير لا يقارن بقافلي الشتاء والصيف التي تجهز من خلال أسواق الحج بمكة وبالسفر إلى الطائف كما رواه ابن عباس رضي الله عنهما.

على أن هناك نعمة ثالثة من الله بها عليهم وهو الإيلاف النفسي أو الروحي الذي صحبهم في

<sup>1</sup> محمود الآلوسي، روح المعاني، ج30، ص240، أبوحيان الأندلسي، المصدر السابق، ج8، ص515.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج30، ص559.

تقبلهم في الأسفار صيفا وشتاءً وذهاب المشقة عنهم والصبر على بعد الأوطان حتى التزموها قال تعالى: ﴿إِنَّ لِفَيْهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قريش<sup>2</sup>، وكان سادتها وأشرفها يخرجون فيها ما يوحى بأنها ليست مجرد طريق للكسب بل هي ميراث منصب سياسي أولاً، وينيء هذا التخطيط عن العقلية التجارية التي يمتلكها القرشيون والتي سموا باسمها.<sup>1</sup>

#### 4- الأشهر الحرم والنسيء:

هي التي يحرم فيها القتال وتوضع فيها الأسننة والرماح حتى لو وجد أحدهم قاتل أبيه أو أخيه لم يعرض له ليأمن المسافر والحاج على نفسه الطريق ويطمئن على من ترك من أهله ألكا يتعرضوا للغزو، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ البقرة 217 وعددها أربعة<sup>2</sup> أشهر ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، ورجب.

ثم ابتدع العرب نظام النسيء وهي تأخير الأشهر الحرم، ويرى بعض الباحثين أن الغاية الحقيقية من تشريع نظام النسيء هو تجاري، إذ أرادوا أن تقع مواسم الحج والأعياد في فصل الشتاء وطرف من الربيع وآخر من الخريف لأنه الوقت الذي يكون فيه الأدم والثمرات لبدو الجزيرة العربية.<sup>3</sup>

وكانت كل أنواع الثمار تجلب إليها قال تعالى: ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ القصص 57؛ أي يحمل ويجمع إليه ثمرات كل أرض وبلد لأن معنى الكلية الكثرة<sup>4</sup>. ومما شرعوه أيضا تحريم التزود فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانوا يحجون ولا يتزودون ومنهم أهل اليمن يقولون نحن المتوكلون.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> ذكر العلماء أن كلمة قريش مشتقة من القرش وهو الكسب لأنهم كانوا كاسيين بتجارته، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج32، ص 103، محمود آلوسي، روح المعاني، ج30، ص238، ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز، ج5، ص525، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج6، ص437، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج32، ص106.

<sup>2</sup> شددت طائفة في الجاهلية تسمى "البسل" فحرمت من السنة ثمانية شهور، اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج7، ص197.

<sup>3</sup> الحج إلى الكعبة قبل الإسلام، صادق آئينه وندو info@intvu. Com 24 October 2010

<sup>4</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج18، ص289، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج6، ص215، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج16، ص299، محمود آلوسي، روح المعاني، ج20، ص97، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج25، ص4.

<sup>5</sup> محمد بن جرير الطبري، المصدر نفسه، ج3، ص496-497-500، علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ص62،

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كانوا إذا أحرّموا ومعهم أزودة رموا بها واستأنفوا زاداً آخر<sup>1</sup>، فيشترون من القبائل التي في طريق مكة أو من مكة عند الوصول.

ومكة مركز تجاري ومحطة للاستيراد والتصدير والعرض، تبيع ما عندها للأعراب القادمين إليها من البادية وأهل القرى البعيدة، وتشتري منهم ما يحملونه معهم من ثمار و سلع، والتي يكون غالبها من الحيوانات وما يستخرج منها كالأدم والوبر والشعر، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ﴾ النحل 80.

ثم تقوم قوافلهم بنقل الفائض مما اشترته إلى الأسواق الخارجية في بلاد الشام والعراق وتشتري في مقابل ذلك ما يحتاج الحجاز وأعراب البادية من سلع ومواد<sup>2</sup> ثم تعرضها في أسواق لها وتمزجها بالبضائع الكلامية المتمثلة في الشعر والخطابة.

ومن السلع التي كان أهل مكة يحملونها إلى الشام "الأدم" يجمعونه من اليمن والطائف، وأرقى الجلود وأغلاها المذهب وهي جلودٌ تجعل فيها خطوط مذهبة يرى بعضها في إثر بعض فكأنها متتابعة، ومن أنفس الثياب بروء اليمن ويقال له وشي اليمن وعصب اليمن ويربط الشام وعرفت اليمن بالعطر أيضاً، ومن الروم الديباج، ومن الطائف الجلود والدباغة والخمر، ومن الشام الزيت ويضرب به المثل في الجودة والنظافة، ويقال له "الزيت الرّكابي" لأنه كان يُحمل على الإبل من الشّام وهي أكبر بلاد الله زيتونا<sup>3</sup>.

وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم قديم "دحية بن خليفة" بتجارة زيت من الشام، والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب يوم

جلال الدين السيوطي، لباب النقول، ص 38.

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 3، ص 494.

<sup>2</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 380.

<sup>3</sup> عبد الملك الثعالبي، ثمار القلوب، ص 532-534-542، محمد مرتضى الزبيدي، المرجع السابق، ج 2، ص 453، جواد

علي، المرجع السابق، ج 7، ص 292-293، ناصر بن سعد الرشيد، تعامل العرب التجاري وكيفيته في العصر الجاهلي،

ص 216، مقال في كتاب الجزيرة العربية، المرجع السابق.

الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبيع خشوا أن يسبقوا إليه<sup>1</sup>، فنزل قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ الجمعة 11.

وأشهر أسواق العرب:

\* سوق ذو الحجاز: عن يمين الموقف من عرفة وهي سوق لهذيل.

\* سوق مَجَنَّة أو مَجَنَّة (بفتح الجيم أو كسرهما) موضع قرب مكة وهي لِكِنَانَة.

\* سوق عُكَاظ: بين نخلة والطائف وهو أعظمها وهي لقيس بن عيلان وثقيف.

\* سوق حُبَاشَة: من مكة جهة اليمن، وكانت في رجب.

كانت قريش لا تتاجر إلا مع من ورد عليها مكة في المواسم<sup>2</sup> ويشترطون ألا يحضروا سوق عكاظ ومجنة وذو الحجاز إلا مُحْرَمِينَ بالحج، إلا سوق حُبَاشَة لأنها في غير أشهر الحج عندهم وكانوا يبتاعون قبل الحج أو بعده.<sup>3</sup>

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت عكاظ ومجنة وذو الحجاز أسواقا في الجاهلية فكانوا يتجرون فيها، فلما كان الإسلام كأنهم تأثموا منها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم} في مواسم الحج<sup>4</sup>.

وهنالكَ سبب آخر يكفي لترويج السِّلَعِ المكية عند العرب وهو القداسة التي يضيفها عليها الناس باعتبارها من مكان مبارك وأتخاذ البعض منها هدايا للأهل إذا رجعوا، فكم من زائر يفد حاجا فيأكل من ثمارها ويشترى من ثيابها، وقد جمعوا مع القاء الزَّادِ إلقاء ثيابهم عند الطَّوْفِ باعتبارها مُلَطَّخَة بالذنوب والخطايا إلا أن يعطيهم أهل الحُمُس من ثيابهم، وإن كنا لاندرى أكانت تلك الثياب تُعارُ أم تباع لهم.

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج22، ص645.

<sup>2</sup> عبد الملك التعالي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ت محمد إبراهيم، (دار المعارف، القاهرة، دط، دت)، ص115.

<sup>3</sup> محمد الأزرقى، المصدر السابق، ص139-150، محمود شكري الألوسى، بلوغ الأرب، ج1، ص266-267، ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج3، ص695.

<sup>4</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج3، ص510، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج1، ص409،

الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج5، ص106.

كما لاندري ماهو الكسب الديني الذي وُعدَ به الجاهلي من حَجِّهِ إلا رجاء تحقيق دعواته الدنيوية، يقولون: اللَّهُم اعطنا غنما وإبلاً وبقراً وعبيداً، اللَّهُم اسقنا المطر وأعطنا على عدونا الظَّفَرَ ورُدِّنا صالحين<sup>1</sup>... قال تعالى: ﴿فَمِنَ النَّكَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ﴾ البقرة 200.

و لم تتجه قريش إلى الزراعة والصناعات الحرفية لاحتقارهم إياها ولنذرة المياه وقسوة الطبيعة الصحراوية إلا ما كان من زراعة النَّخِيل التي اشتهرت بها يثرب قال امرؤ القيس:

عَلَوْنَ بِأَنْطَاكِيَّةٍ فَوْقَ عِقْمَةٍ      كَجِرْمَةٍ نَخْلٍ أَوْ كَجِنَّةٍ يَثْرِبِ<sup>2</sup> [الطويل]

الفرع الثاني المعاملات الربوية: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ البقرة 275

- الرِّبَا لغة: ربا الشيء يُرَبُّوا رِبْوًا وربَّاء: زاد ونمأ، وأرَبَيْتُهُ نَمَيْتُهُ وفي التثنية: {ويربي الصَّدَقَاتِ}.<sup>3</sup>

- إصطلاحاً: الرِّبَا يقع على وجهين: أحدهما السلف بزيادة على ما يعطيه المسلف والثاني السلف بدون زيادة إلى أجل فإذا لم يوف المسلف أداء الدين عند الأجل كان عليه أن يزيد فيه زيادة يتفقدان عليها عند حلول كل أجل.<sup>4</sup>

وهو قسمان: ربا النقد و ربا النَّسَاء؛ وأما النَّسَاء فهو بيع الدرهم بالدرهمين إلى أجل وهو المعهود من ربا الجاهلية والذي قد أُجمع على تحريمه، وأما النقد: فهو بيع الدرهم بالدرهمين يداً بيد، فمذهب جمهور الصحابة وكافة الفقهاء تحريم ذلك.<sup>5</sup>

انتقل الربا إلى العرب عن طريق يهود الطائف ويثرب، وأكثر من كان يتعاطاه من القبائل العربية

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج3، ص 542، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج1، ص231،

أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج3، ص 356.

<sup>2</sup> امرؤ القيس، المصدر السابق، ص 74.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج18، ص5172.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج3، ص 81.

<sup>5</sup> علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الحاوي الكبير، ت علي عوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ-)

1994م)، ج5، ص76.



ثقيف وكانت تداين بني النضير فإن بلغ الأجل قالوا تُرْبِيكُمْ وتأخرون عَنَّا<sup>1</sup>، ومن كان يتعامل بالربا أيضاً أهل مكة واشتهر به في الجاهلية العباس بن عبد المطلب، خالد بن الوليد، عثمان بن عفان -رضي الله عنهم<sup>2</sup> - ...

والربا يلحق أجناس ثلاث: المطعومات كالقمح والشعير والتمر، الحيوانات كالإبل، و النقذ كالذهب والفضة على الصفة التالية:

أ- في المطعوم: قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ ولم يقصد من الآية تخصيص الربا بالمطعوم فقط وإنما خصّة بالأكل لأنه معظم المقصود من المال مع ما فيه من زيادة تشنيع<sup>3</sup>.

عن عطاء وعكرمة: أن العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان -رضي الله عنهما- أسلفا في التمر، فلما حضر الجذاذ قال لهما صاحب التمر: إن أنتما أخذتما حقكما لا يبقى لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخر النصف وأضعف لكما؟ فعلا، فلما حل الأجل طلب الزيادة فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهما<sup>4</sup>.

ب- في الحيوان: عند حلول الأجل يأتي الدائن المدين، فيقول له: تَقْضِي أو تُرْبِي؟ فإن كان عنده شيء يُقْضِيه قَضَى، وإلا حَوَّلَهُ إلى السِّنِّ التي فوق ذلك، إن كانت ابنة مَخَاضٍ<sup>5</sup> جعلها ابنة لَبُونٍ<sup>6</sup> لَبُونٍ في السنة الثانية، ثم حَقَّةً<sup>7</sup>، ثم جَدْعَةً<sup>1</sup>، ثم رَبَاعِيًا، ثم هكذا إلى فوق<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> جلال الدين السيوطي، باب النقول، ص 63، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 4، ص 581، علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الحاوي الكبير، ج 5، ص 74.

<sup>2</sup> علي بن أحمد الواحدي، أسباب التزول، ص 93، الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 1، ص 344.

<sup>3</sup> المصدر نفسه، ج 1، ص 340، محمود الألوسي، روح المعاني، ج 4، ص 55.

<sup>4</sup> علي بن أحمد الواحدي، أسباب التزول، ص 93.

<sup>5</sup> ابنة مخاض: الفصيل إذا استكمل السنة ودخل في الثانية يقال للذكر منه ابْنُ مَخَاضٍ، وللأنثى ابنة مَخَاضٍ وهي الإبل الحوامل، ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 46، ص 4153.

<sup>6</sup> ابنة لبون: بنت اللبون، وابن اللبون: هما من الإبل ما أتى عليه سنتان ودخل في السنة الثالثة، فصارت أمه لَبُونًا أي ذات لب، ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ج 45، ص 3990.

<sup>7</sup> الحِقُّ والحِقَّة: البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة، ابن منظور، لسان العرب، مج 2، ج 12، ص 943.

ج- في النقود: كان الرجل في الجاهلية يكون له على الرجل مالٌ إلى أجل، فإذا حلَّ الأجل طلبه من صاحبه، فيقول له الذي عليه المال: أخر عني دينك وأزيدك على ملك فيفعلان ذلك، فلو كان له مثلاً على إنسان مائة درهم إلى أجل فإذا جاء الأجل ولم يكن المديون واجداً لذلك المال قال: زد

في المال حتى أزيدك في الأجل فرمما جعله مائتين، ثم إذا حلَّ الأجل الثاني فعل مثل ذلك ثم إلى آجال كثيرة، فيأخذ بسبب تلك المائة أضعافها فهذا هو المراد من قوله {أضعافاً مضاعفة}.<sup>3</sup>

أول الربا قرض بإحسان وفك ضائقة معسر دون مقابل، وآخره إساءة وإستغلال بتضعيف ثمن المدين عند العجز عن السداد كرهة بعد أخرى وحجتهم في استحلال الزيادة أنها تعويض لصاحب المال عن الانتفاع بماله نفقة أو استثماراً واحتباس هذا المال عند المدين، وهذا وجه الحاقهم الربا بالبيع وجعلهما في القياس سواء.

فكلاهما فيه الزيادة في الثمن وبرضى الطرفين إلا أنه في البيع تؤخذ الزيادة في العاجل وفي الربا تؤخذ الزيادة في الآجل، قال الإمام الألويسي: أرادوا نظمها في سلك واحد لإفضائهما إلى الربح فحيث حلَّ بيع ما قيمته درهم بدرهمين حل بيع درهم بدرهمين إلا أنهم جعلوا الربا أصلاً في الحلّ وشبهوا البيع به<sup>4</sup> لهذا قالوا: {إنما البيع مثل الربا} فشبهوا الربا بالبيع ليستحلوه وهو من المبالغة حيث بلغ من اعتقادهم في حلّ الربا أن جعلوه أصلاً وقانوناً في الحلّ حتى شَبَّهُوا به البيع.<sup>5</sup>

ويكون عرض الزيادة من الدائن أحياناً ومن المدين أحياناً أخرى، فعن مجاهد قال: كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين فيقول: لك كذا وكذا وتؤخر عني فيؤخر عنه.<sup>6</sup>

ولكن ماهو مقدار هذه الزيادة، وهل تفرض بمجرد انعقاد الدين أو عند العجز عن السداد

---

<sup>1</sup> جَدَعَة: الجَدْعُ القَطْعُ، وناقاة جَدَعَاءُ قُطِعَ سدس أدنها أو ربعها، والجدعاء من المعز: المقطوع ثلث دنها، ابن منظور، لسان العرب، مج3، ج، ص567.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج6، ص49-50-51.

<sup>3</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج9، ص2.

<sup>4</sup> محمود الألويسي، روح المعاني، ج3، ص50.

<sup>5</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج1، ص506.

<sup>6</sup> جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج3، ص37.

بحلول الأجل الشهري أو السنوي؟

يذكر بعض المفسرين أن المضاعفة كانت تقع عند حلول الأجل المتفق عليه وعجز المدين عن السداد فإمّا أن يقضي أو يُرَبِّي، وعيّن الإمام الرازي وقت الزيادة المتعارف عليها في الجاهلية ببداية كل شهر حيث يأخذون قدرًا معينًا ويكون رأس المال باقياً، ثم إذا دخل وحلّ الدّين طالبوا المديون برأس المال، فإن تعذر عليه الأداء زادوا في الحق والأجل، فهذا هو الربا الذي كانوا في الجاهلية يتعاملون به وهو ربا النسيئة.<sup>1</sup>

ومقدار التضعيف المذكور في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾<sup>2</sup> اختلفوا فيه فقال فريق يكون إلى المثليين في كل عام ينقضي: تكون مائة فيجعلها إلى قابل مائتين، فإن لم يكن عنده جعلها أربعمئة يُضعفها له كل سنة.<sup>3</sup>

وقال آخرون بل يكون ثلاثياً من الأول كما نصت عليه الآية قال الألويسي: ومن البين أنهم ألزموا في ضعفي الشيء ثلاثة أمثاله ولو كان موضوع الضعف المثليين لكان الضعفان أربعة أمثال، وليس مبناه العرف العامي بل الموضوع اللغوي.<sup>3</sup>

فإن عجز المدين تماماً عن الوفاء بعد أن صار دينه أضعافاً مضاعفة قد يصل الأمر إلى استرقاقه وهو حكم معروف عند كثير من الشعوب كالرومان والمصريين<sup>4</sup>، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾<sup>5</sup> يوسف 76، وفي شريعتهم أن من سرّق استرق.<sup>5</sup>

ومع أن الآية لا تشير إلى استرقاق المدين بل إلى استرقاق السارق، فإن هذه المعاملات الربوية من خوارج المروءة، فالغني القوي يستغل حاجة الفقير ويساهم في زيادة بؤسه وعُسره ليزداد غنى على حساب حاجته، وإن استبعد بعض الباحثين استرقاق المدين أو بعض أهله وولده لغيره

<sup>1</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج7 ص92.

<sup>2</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج6، ص 50-51.

<sup>3</sup> محمود الألويسي، روح المعاني، ج 4، ص 55.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج3، ص 96.

<sup>5</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج11، ص417، وذكر الإمام ابن الجوزي في كتابه زاد المعاد أن المدين عند العرب إن عجز عن السداد كان يسترق.

العربي وأنفته، فإنه لا يُستبعد استيلاؤه على ممتلكاته إن لم يُوف دينه كما فعل العباس بن عبد المطلب عليه السلام - وكان مشتهرا بالمراباة في الجاهلية - مع أخيه "أبو طالب" التي كانت السقاية بيده ثم اتفق أن أُمْلَقَ في بعض السنين فاستدانَ من أخيه "العباس" عشرة آلاف إلى الموسم الآخر وصرّفها أبو طالب في الحجيج في عمله فيما يتعلق بالسقاية، فلمّا كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شيء فقال لأخيه العباس أسلفني أربعة عشر ألفاً أيضاً إلى العام المقبل أعطيك جميع مالك فقال العباس بشرط إن لم تعطني تترك السقاية لي أكفلها فقال: نعم، فلمّا عَجَزَ أُخِذَتْ منه.<sup>1</sup>

وفي الرِّبَا غير الرق الحقيقي المختلف في اثباته أو انكاره رقاً معنوياً فبتضعيفه للدين في كل مرة يأسر هذا المدين فيظل طول عمره بين القضاء والزيادة فلا يُعتق أبداً.

ومن المعاملات التجارية المدمومة في الجاهلية التطفيف في الكيل والميزان وإنما ألحقته بالرِّبَا لأن الربا استغلال حاجة المدين بالزيادة على رأس المال طلباً للكسب والربح، أما التطفيف فهي الاحتيال في الإنقاص من مال المشتري طلباً للكسب أيضاً، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ الأنعام 152.

**والتطفيفُ في اللغة:** التُّقصان وأصله من التُّطْفِيفِ وهو النَّزْرُ الحَقِيرُ والمطفف: الآخذ في وزن أو كيل طفيفاً، أي شيئاً حقيراً خفياً.<sup>2</sup>

**وفي الإصطلاح:** التُّطفيفُ النقص عن حق المقدار في الموزون أو المكيل، وهو مصدر طَفَّفَ إذا بلغ الطُّفَافَةَ.

والطُّفَافُ: ما قَصُرَ عن ملء الإناء من شراب أو طعام أُخِذَ من طُفِّ الشيء أي جانبه، وراعوا في صيغة التفعيل معنى التكلف والمحاولة لأن المطفف يحاول أن ينقص الكيل دون أن يشعر به المكنال.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، ج1، ص174.

<sup>2</sup> أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج8، ص430، محمود بن عمر الزمخشري، ج6، ص333، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج24، ص185.

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج31، ص132، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج30، ص190.

وكان التطفيف أكثر تفشياً في المدينة حتى وُسِموا بأنهم من أحبب الناس كَيْلاً، ومن اشتهر به في المدينة رجل يدعى "أبا جُهينة"، واسمه عمرو كان له صاعان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص.<sup>1</sup> كما كان التطفيف بمكة أيضاً ولهذا جمع الله تعالى في الآية بين الكيل والميزان لأن أهل مكة يتعاملون بالوزن وأهل يثرب يتعاملون بالكيل.<sup>2</sup>

وهو من عمل التجار لأنه بيدهم رؤوس الأموال والمكايل والموازين، وسبب التطفيف الحرص على الكسب، واستغلال الآخرين خصوصاً من أهل البوادي<sup>3</sup> وإنما كانوا يطففون في القليل دون الكثير خفيه لأن الكثير يظهر فيمنع منه،<sup>4</sup> ويقع هذا التطفيف في كل الأنواع المطعوم منها أو النقد والأعيان ولعله سبب آخر للتعبير بالكيل والوزن عند من فرق بينهما.<sup>5</sup>

والبخس كان يقع في البيع والشراء لأن معنى اکتالوا على الناس اشتروا من الناس ما يباع بالكيل ومعنى كألوهم باعوا للناس مكيلاً، فالمطففون وهم يأخذون السلع من الجالبيين في الغالب بالكيل لأن الجالبيين يجلبون التمر والحنطة ونحوهما مما يكال ويدفعون لهم الأثمان عينا بما يوزن من ذهب أو فضة، فلذلك اقتصر في ابتياعهم من الجالبيين على الاكتيال نظراً إلى الغالب وذكر في بيعهم للمبتاعين الكيل والوزن لأنهم يبيعون الأشياء كيلاً ويقبضون الأثمان وزناً.<sup>6</sup>

ومن البيوع المنهي عنها أيضاً وألحقت بالتطفيف الذي نزلت فيه الآية بيع المنابذة: وبيع الملامسة، وبيع المخاطرة وصفة هذه البيوع كالتالي:

\* بيع المنابذة واللامسة: المنابذة أن يقول أنبذ ما معي وتبذ ما معك، يشتري كل واحد

<sup>1</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 22، ص 129، أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج 8، ص 431، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 6، ص 334، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 30، ص 186-190، علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ص 452، جلال الدين السيوطي، لباب النقول، ص 289.

<sup>2</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 6، ص 33.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 8، ص 165 و ج 30، ص 194.

<sup>4</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 31، ص 88.

<sup>5</sup> كل مالزمه اسم الخنوم والقفيز والمكوك والمد والصاع فهو كيل، وكل ما لزمه اسم الأبطال والأواقى والأمناء فهو وزن، ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ج 44، ص 3969.

<sup>6</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 30، ص 191.

منهما من الآخر ولا يدري كل واحد منهما كم مع الآخر ونحو ذلك، والملامسة أن يجعل نفس اللّمس بيعا بغير صيغة زائدة.<sup>1</sup>

عن أبي سعيد الخدري قال: «نهانا رسول الله ﷺ عن بيعتين وليستين: نهى عن الملامسة والمنابذة في البيع، والملامسة لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل أو بالنهار ولا يقلبه إلا بذلك، والمنابذة أن يبيد الرجل إلى الرجل بثوبه ويبيد الآخر إليه ثوبه، ويكون ذلك بيعهما من غير نظر ولا تراض».<sup>2</sup>

\* بيع المخاضرة: والمخاضرة بيع الثمار والحبوب قبل بدو صلاحها<sup>3</sup>، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن المحاقلة<sup>4</sup> والمخاضرة والملامسة والمنابذة والمزابنة<sup>5</sup>».<sup>6</sup>

\* بيع حبل الحبل: الحبل أن يبيع بثمرن إلى أن تحمل الدابة وتلد ويحمل ولدها، وهو بيع معدوم مجهول غير قادر على تسليمه فيدخل في بيع الغرر.<sup>7</sup>

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان أهل الجاهلية يتبايعون لحم الجزور<sup>8</sup> إلى حبل الحبل، الحبل، وحبل الحبل أن تُنتج الناقة ثم تحمّل التي تُتجت فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك»<sup>9</sup>.

<sup>1</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 4، ص 421.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع الملامسة، ج 2، ص 101، [رقم 2144-2145] عن أبي سعيد وأبي هريرة، وباب بيع المنابذة، عن أبي هريرة وأبي سعيد، ج 2، ص 101، [رقم 2146-2147]، صحيح مسلم كتاب البيوع، باب إبطال بيع الملامسة

والمنابذة، مج 1، ص 706-707، [رقم 1512].

<sup>3</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 4، ص 472.

<sup>4</sup> المحاقلة: بيع الطعام في سنبله بالبر مأخوذ من الحقل، ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 4، ص 472.

<sup>5</sup> بيع المزابنة: كل شيء من الجراف لا يُعلم كيله ولا وزنه ولا عدده إذا بيع بشيء مسمى من الكيل وغيره، ومن صورته بيع الزبيب بالعنب أو اشتراء الثمر بالتمر، ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 4، ص 449.

<sup>6</sup> صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب بيع المخاضرة، ج 2، ص 114، [رقم 2207].

<sup>7</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 4، ص 419.

<sup>8</sup> الجزور البعير ذكرا كانت أم أنثى، ابن حجر العسقلاني، المصدر نفسه، ج 4، ص 419.

<sup>9</sup> صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب تحريم بيع حبل الحبل، مج 1، ص 707، [رقم 1514]، وفي الصحيح عن ابن عمر - رضي الله عنه - «وكان يباعا يتبايعه أهل الجاهلية»، صحيح البخاري، كتاب البيوع، ج 2، ص 100، [رقم 2143].

\*بيع الحصاة: هو أن يقول بعثك من هذه الأثواب ما وقعت عليه الحصاة ويرمي حصاة، أو من هذه الأرض ما انتهت إليه في الرمي، وقيل هو أن يشترط الخيار إلى أن يرمي الحصاة، والثالث أن يجعل نفس الرمي بيعاً<sup>1</sup>.

### \*موقف الشرع من التجارة الجاهلية وبيعها :

حَرَّمَ الرَّبَا وَشَدَّدَ وَتَوَعَّدَ مِنْ يَأْتِيهَا بِاللَّعْنِ وَالْحَرْبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ \* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة 278-279، وعملاً بالتحريم وضع النبي ﷺ كل ربا جاهلي تحت قدميه وأوله ربا عمه العباس بع عبد المطلب وعلة التحريم:

- أن الربا أخذ مال الإنسان من غير عوض، لأن الغالب غنى المقرض وفقر المستقرض والربا تمكين للغني من أخذ مال زائد من الفقير.

- يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب فلا يجتمل الدائن مشقة الكسب والتجارة والصناعات الشاقة، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق، وانقطاع المعروف والإحسان بين الناس.<sup>2</sup>

- وفيه حمل الأمة على مواساة غنيها محتاجها احتياجاً عارضاً مؤقتاً بالقرض فهو مرتبة دون الصدقة<sup>3</sup>، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة 280.

- وردّ دعوى قياس الربا على البيع، لأن العلة المشتركة بينهما متوهمة فهما مختلفان أصلاً وطبيعة، فالبيع هو مبادلة مال بمال بالتراضي<sup>4</sup> أما الربا فهو عبارة عن فضل مال لا يقابله عوض في

<sup>1</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج4، ص 421.

<sup>2</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج7، ص 94-95.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج4، ص 94.

<sup>4</sup> النظام، الفتاوى الهندية، ت عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ-2000م)، ج

3، ص3.

في معاوضة مال بمال.<sup>1</sup>

فقياس البيع على الربا باطل وإن اشتركا في الزيادة، لأن الزيادة في البيع على عوض معلوم وهو السلعة المقتناة أما الزيادة في الربا فعلى عوض معدوم، ولا يعتبر الإمهال عوضاً لأنه ليس مالاً أو شيئاً يشار إليه.<sup>2</sup>

- ثم مراعاة الفرق بين حالي المقرض والمشتري، فقد كان الاقتراض لدفع حاجة المقرض للإنفاق على نفسه وأهله لأنهم كانوا يعدون التداين هما وكربا، وحال التاجر حال التفضل والبائع: تجشم مشقة جلب السلعة لانتفاع المشتري بها؛ فالتجارة معاملة بين غنيين احتاج أحدهما للآخر فتراضوا على تبادل المصلحة، أما الدائن والمدين فتعامل بين مؤسّر يسعى لتوسيع تجارته ومُعسّر يسعى لحاجته.<sup>3</sup>

- وحرّم التطفيف وتوعد عليه، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ\* الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ\* وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ المطفين 1-3.

- وأمر بالقسط، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الرحمن 9، لأنه يترجم الأنانية والحرص الشديد على تقديم مصلحة النفس مع الاضرار بالغير وبخس الناس حقهم، قال الإمام محمد رشيد رضا<sup>4</sup>: كلمة القسط هي التي بينت أن الإيفاء يجب أن يكون من الجانبين في الحالين أي أوفوا مقسطين أو ملاسين القسط متحرين له وهو يقتضي طرفين يقسط بينهما، فدلّ أنه يجب على الإنسان أن يرضى لغيره ما يرضاه لنفسه.<sup>5</sup>

وحرّم كل البيوع التي تشبه التطفيف في وقوع الغرر والخداع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصة وعن بيع الغرر»<sup>6</sup>، وقد ذكرنا بعض أخبارها بما يغني عن تكرارها.

<sup>1</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج3، ص48.

<sup>2</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج7، ص98، محمود الألوسي، ج3، ص50 بتصرف.

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج4، ص85 بتصرف.

<sup>4</sup> رشيد رضا [1865-1935م]: من مواليد القلمون بشمال لبنان، مصلح ديني قضى معظم حياته بمصر، تتلمذ علي يد محمد عبده، أصدر مجلة المنار وتفسير القرآن الكريم لنشر أفكاره الإصلاحية، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص206.

<sup>5</sup> محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (دار المنار، القاهرة ط2، 366هـ-1947م)، ج7، ص191.

<sup>6</sup> صحيح مسلم، كتاب البيوع باب بطلان بيع الحصة والبيع الذي فيه غرر، مج2، ص707، [رقم 1513].



الفرع الثالث: غنائم الحروب: ﴿فِيمَا مَنَّا بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ محمد4.

اشتهر العرب بالشجاعة والاقدام إلى حد التهور، وبسرعة الغضب والغيرة الشديدة التي تدفع بهم إلى العجلة في القتال دونما تحري لأصل السبب ولا للنتائج المترتبة على هذا الغزو، ما أدى بهم إلى حروب كثيرة وطويلة الأمد أشهرها حرب البسوس بين بكر وتغلب، وحرب داحس والغبراء بين "عبس وذبيان"، وحرب "بعاث" بين الأوس والخزرج<sup>1</sup> مخلفة ضغائن وأحقادا وثارا لا تموت، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ آَلَفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال63.

والحرب إن لم تكن نارا أو نصرة وحمية فهي صراع من أجل البقاء، فإن لم تكن غازيا محاربا فستكون مغزوا مضطهدا، وصراع من أجل الشرف والمكانة استجابة لسلطة القوة الإعلامية المتمثلة في المدح أو الذم الذي تناله القبيلة إن أحجمت عن القتال أو هزمت، وتحفيزها للأخذ بالتأثر وطلب استرداد الشرف والصدارة، وفيه أيضاً تعزيز لقوة القبيلة بالغنائم<sup>2</sup> التي تُجنى الحيوانية كالإبل والخيول والماشية التي تعتبر غذاء وسلاحاً ومركباً، والغنائم البشرية فيما يعرف بالسبي وهو أسر الرجال والنساء وتسييرهم عبداً وإماءً للخدمة أو للكسب بالبيع أو الافتداء.

هذا كان معظم أحوال القبائل العربية في شبه الجزيرة، إلا قريشاً فإنها اشتهرت باعتزالها الحروب واعتبارها ملجأً آمناً لكل من يطلبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ آل عمران97.

وعُرفت ببعثها للحرب ومآثرته للسلم حتى أنه عندما أتى أبرهة لهدم الكعبة لم تخرج لقتاله بل فرّت إلى الجبال والتجأت فقط إلى الدعاء، لهذا لما أصاب رسول الله ﷺ من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال: «يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله ما أصاب قريشاً»، فقالوا: يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغماراً<sup>3</sup> لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس وأنك لم تُلَقْ مثلنا<sup>4</sup>، ولكن

<sup>1</sup> انظر محمد أحمد جاد المولى، أيام العرب في الجاهلية، (المكتبة العصرية بيروت، دط دت)، ص 73-142-246.

<sup>2</sup> الغنيمة من الغنم وهي الربح ويشملها الفبيء، محمود الألوسي، روح المعاني، ج10، ص2.

<sup>3</sup> الغمر الجاهل الذي لم يُجرب الأمور، ابن منظور، لسان العرب، مج 5، ج37، ص3295.

<sup>4</sup> إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، ج 3، ص5.

لماذا كانت قريشُ تكره الحرب أبسبب التدين أم التجارة أم الضعف ؟

إن قيل إن السبب هو تدينها وتحمُّسها لأنها من أهل الحرم فالعرب كلهم كانوا على دين واحد فلم يَمْنَعُها الدين ولا يَمْنَعُ غيرها من العرب، وهل في شريعتهم الدينية تحريم القتال؟ نعلم أن من شريعتهم تحريم القتال في الأشهر الحرم وهذا يعني حِلَّهُ في غيرها، فلا يصلح الدين حجة لنبذ القتال عند القرشيين، كما لا يصلح الضَعْفُ والجن سببا لقوله تعالى فيهم ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرِيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرِيئِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ﴾ محمد 13.

رأت قريش أن ما يدفع الناس إلى الحروب هو طلب الظهور وعلو الذكر أولا فإما أن يموت بجد السيف أو بجد الجوع وخمول الذكر، ثم تحصيل الغنائم ثانيا وإرهاب العدو ليتحقق الأمن في القبيلة، وأهل مكة لم يكونوا بحاجة إلى أي منها فهم أهل الحرم ولهم الزعامة والسيادة على العرب، ولهم تجارة مرحة تغنيهم عن طلب الغنائم بازهاق الأرواح ولهم أمن البلد.

وإن كان العربي يقاتل دون تفكير حمية وعصية فالقريشي لا يقاتل لأنه يفكر ويقدر، ويقدم ثمار المصالحة على غنائم الحروب وضرائبها الموجهة كالقتل والتخويف والأسر وتيئيس الأولاد، وتأييم النساء، وقطع الرحم وهو عندهم بمكان، فقريش مبنية علاقتها فيما بينها على المحبة والنصرة وصللة الأرحام لا كما كانت في يثرب مثلا مبنية على العداوة والأحقاد خصوصا وأن هنالك من ينفخ فيها من اليهود، قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ آل عمران 103.

وما كان الظلم واقعا عليهم فيضطروا إلى دفعه لهذا لما عانى منه الصحابة في بداية الدعوة تحركت أنفسهم وطباعهم العربية لطلب القتال نصره للحق ودفعاً للبطش والغوا التحاكم إلى العقل الذي تَوَجَّهوا في جاهليتهم وتناسوا مقاييس الربح والخسارة حتى إذا أذن لهم الله فيه عادوا إلى ما كانوا عليه من النفور<sup>1</sup>، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ

<sup>1</sup> نزلت هذه الآية في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الأسود وسعد بن أبي وقاص كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا ويقولون: يا رسول الله الله إئدنا لنا في قتال هؤلاء، فيقول لهم ﷺ: "كفوا أيديكم عنهم فإنني لم أؤمر بقتالهم" فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وأمرهم بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم "علي بن أحمد الواحدي،

قَرِيبٌ قُلٌّ مَنَعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ انْتَقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَنِيلاً ﴿النساء 77﴾.

يعطي القرآن سببا قويا لعزوف قريش عن القتال وهو الطبع الذي جبلوا عليه، فكلما ذُكر القتال أعرضوا عنه، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ البقرة 216، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَعْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ ﴿محمد 20﴾، ومن أسبابه التي أعانت عليه اعتمادهم على التجارة، وبناء علاقات دبلوماسية مع الآخرين تقوم على المصالحة والموادعة، فكتب الله عليهم مقاتلة هذا الطبع .

على أن قريشا في جاهليتها شاركت في حرب تسمى: "حرب الفجار" التي وقعت بعد عام الفيل بعشرين سنة، وبعد موت عبد المطلب باثني عشرة سنة ولم يكن في العرب أشهر منه ولا أعظم، وإنما سُميت الفجار لما استحل فيها من القتال في الأشهر الحرم، وسببها أن عروة الرِّحَال بن عتبة -من هوازن- أجار لطيمة للنعمان بن المنذر، فقال له "البرّاض بن قيس" -من كنانة- أثجيزها على كنانة؟ قال نعم وعلى الخلق، فخرج فيها "عروة" وخرج "البرّاض" يطلب غفلته، حتى إذا كان "بتيمن" وثب "البرّاض" على "عروة" فقتله وهم في الشهر الحرام، فأتى الخبر قريشا وهوازن فاقتلوا أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم وشهد الرسول ﷺ بعض أيامهم وكان يُرَدُّ عنهم سهام عدوهم وروي عنه ﷺ قوله: «كنت أنبل على أعمامي»<sup>1</sup>.

أسباب النزول، ص 166-167، جلال الدين السيوطي، لباب النقول، ص 84.

<sup>1</sup> ابن هشام، المصدر السابق، ج 1، ص 210، ابن الأثير، المصدر السابق، ج 1، ص 470.

**\*موقف الشرع من غنائم الحروب:**

أذن بالقتال لدفع الظلم الشديد ورفع بعد استوفاء كل طرق الدفاع السلمية، قال تعالى: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج 39، محاربا بذلك فكرة ان يكون أسلوبا اعتياديا يوميا لفرض احترام القبيلة واختراق حقوقها.

وأباح مع ذلك غنائم الحروب، قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنِ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ الأنفال 41، وجعلها بذلك موردا شرعيا يصرف في شؤون الدولة والرعية، وسماها فيئا قال تعالى: ﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ الحشر 7.

لقد راعى القرآن بهذه الأحكام المصالح الفطرية والمعيشية والخلقية للإنسان، فللمقاتل حظه من الغنائم وهذا تشجيع له بإحرازه لغنيمة ملوثة مع الأجر الأخروي الموعود به، وإن شئنا قلنا أيضا أن من الناس من يدفع للحرب ليس طلب الحق وإعلاء لوائه بل الغنيمة الدنيوية، قال تعالى (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)، وراعى مصالح الدولة التي تحتلج في ميزانيتها للدفاع إلى هذه الغنائم، وإلى تعزية أولي الضرر من الفقراء والمساكين ...

**المطلب الثاني: الأنظمة الاجتماعية**

**الفرع الأول: الوظائف السياسية:** قال تعالى: ﴿أَجْعَلُمُ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ التوبة 19

نظام الحكم في قريش لم يكن مُلكا فرديا متوارثا بل كان ملكية مشتركة موزعة على فئة مخصوصة تُعرف بالسادة والأشراف وليس ذلك لتواضع فيهم ولا حرصاً منهم على تبادل الأفكار، بل لشهوة الشرف والمجد وأنفة منهم أن ينقادوا للمستبد، من أجل ذلك وزعت قريش المناصب السياسية أو ما أسمته بالمآثر على النحو التالي:

**أ- الرِّفَادَةُ:** الرِّفْدُ والإِرْفَادُ الإعطاء والاعانة وهو أن يخرج كل فرد مالا بقدر طاقته، ثم يجمع ويشترون به طعاما للحجاج كالجُرُّ والزبيب حتى تنقضي مواسم الحج، وكانت الرِفَادَةُ في بني هاشم وإنما سمي هاشما لأنه كان أول من هشَّم الخبز للحجاج؛ وكان يقول لقريش إذا حضر الحج: يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته خصكم الله بذلك وأكرمكم به ثم حفظ منكم

أفضل ما حفظ جار الله من جاره فأكرموا ضيافة وزوار بيته يأتونكم شعنا غربا من كل بلد، فكانت قريش ترافد على ذلك حتى إن كان أهل البيت ليرسلون بالشيء اليسير رغبة في ذلك فيقبل منهم لما يرجى لهم من منفعة<sup>1</sup>.

ب-السَّقَايَة: مصدر سقى وعمر كالصيانة والوقاية<sup>2</sup>، وكانت السَّقَايَة بنبيذ الزبيب<sup>3</sup>، كان "عبد مناف" يحمل الماء في الروايا والقرب إلى مكة ويسكبه في حياض من آدم بفناء الكعبة للحجاج، ثم فعله ابنه "هاشم" بعده ثم "عبد المطلب"، فلما حفر زمزم اشترى الزبيب فبنده في الماء وسقى به الناس ثم ولي السقاية من بعد "عبد المطلب" ولده "العباس" وهو يومئذ من أحدث إخوته سنا، فلم تزل بيده حتى قام الإسلام فأقره رسول الله<sup>4</sup>.

ج-العِمَارَة أو السَّدَانَة والحِجَابَة: وهي تجهيز البيت وتحسين صورة جدرانها وممراته إذا خرب، أو هو الدخول والقعود فيه وكانت لبني عبد الدار بن قصي وجاء الإسلام وهي لعثمان بن طلحة<sup>5</sup> وفيه نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ النساء 58، واسم أبو طلحة هو: عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب القرشي العبدري، وهو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة، الذي صارت الحجابة في نسله إلى اليوم<sup>6</sup>.

وبالسقاية والعمارة افتخر طلحة بن شيبه، والعباس بن عبد المطلب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت ومعى مفتاحه لو أشاء بتُّ فيه، وقال عباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها ولو أشاء بتُّ في المسجد<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج 18، ص 1687، محمد بن عبد الله الأزرقى، المصدر السابق، ج 1، ص 152، عبدالرحمن السهيلي، المصدر السابق، ج 1، ص 239.

<sup>2</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 3، ص 24.

<sup>3</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 16، ص 13.

<sup>4</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 3، ص 574.

<sup>5</sup> الحسين بن مسعود البغوي، المصدر السابق، ج 4، ص 19-20، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 16، ص 13، محمد أبو

زهرة، المرجع السابق، ص 3256، محمد بن عبد الله الأزرقى، المصدر السابق، ج 1، ص 203.

<sup>6</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 4، ص 126، علي بن أحمد الواحدى، أسباب النزول، ص 158، جلال الدين السيوطى، لباب النقول، ص 80.

<sup>7</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 11، ص 380، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 16، ص 12.

د-الديّات والحملات: ج دية، وهي عوض دم القتل خطأ أو عمدا إذا صولح عليه، وجمع حَمَالَةٌ وهي الغرامة التي يحملها قوم عن قوم، وكانت لبني تيم بن مرة بن كعب وجاء الإسلام وهي بيد أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ه-السّفارة أو السّفارة: وهي السعي بالصلح بين القبائل والقائم بها يسمى سفيرا، وكانت لبني عدي بن كعب وجاء الإسلام وهي بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

و-الرّاية: وتسمى العُقَاب لأنها تخفق فوق الجيش كالعُقَاب فهي راية جيش قريش، وكانت بيد أبي سفيان بن حرب، وقالوا بل كان زعيم القافلة أوزعيم السوق.<sup>1</sup>

ك-المشورة: هي ولاية دار الندوة، وكانت لبني أسد بن عبد العزّي بن قُصَي وجاء الإسلام وهي بيد "زيد بن زمعة".

ل-الحكومة وأموال الآلهة: وهي الأموال التي تُحصّل من نحو السائبة والبحيرة وما يوهب للآلهة من سلاح ومتاع وكانت لبني سهم، وجاء الإسلام وهي بيد الحارث بن قيس بن سهم.

م-الأيسار: وهي الأزام التي يستقسمون بها فكانت لبني جُمَح، وجاء الإسلام وهي بيد صفوان بن أمية بن خَلَف.

وقد أبطل الإسلام جميع هذه المناصب عدا السدانة والسقاية لقوله صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع: «ألا إنَّ كلَّ مأثرة من مآثر الجاهلية تحت قدَميَّ هاتين إلا سقاية الحاج وسدانة البيت»<sup>2</sup>.

وكانت مناصب العرب التي بيد "قصي بن كلاب" خمسة الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فلما كبر قصي جعلها في ولده: "عبد الدار" لأنه أكبرهم وأحبهم إليه وأضعفهم فأراد بهذا أن يلحقه الشرف كإخوته، ولكنهم اختصموا بعد موته وتجهزوا للحرب وتحالفوا ثم تداعوا إلى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 5، ص 249.

<sup>2</sup> أحمد بن حنبل، المسند، ت محمد عبد القادر عطا، ج 6، ص 324، [رقم 15784]، أبو داود، السنن، باب في دية الخطأ شبه العمد، ج 12، ص 292، [رقم 4524]، ابن ماجه، السنن، باب دية شبه العمد مغلظة، ج 4، ص 218، [رقم 2627]، الدار قطني، السنن، كتاب الحدود والديات وغيره، ج 4، ص 100، [رقم 3168]، البيهقي، السنن الكبرى، باب أسنان الإبل المغلظة في شبه العمد، ج 8، ص 120، [رقم 16117].

<sup>3</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 10، ص 144-145.

الفرع الأول: البناء الاجتماعي: قال تعالى ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ

بَعْضًا سُلْخًا وَيَرْحَمْتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ الزخرف 32.

يُقَسِّمُ العرب باعتبار موطن السكن إلى قسمين بدو وحضر أو أهل البادية و أهل الوب، وسمّاهم القرآن "العرب" و"الأعراب".

والأعراب هم الذين يسكنون أطراف المدن قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ﴾ التوبة 101، ويعتمدون في تلبية حاجتهم اليومية من غذاء وملبس ومسكن على انتاجهم الداخلي من الحيوانات والزرع، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا

وَمَتَعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ النحل 80، ويعتمدون في معاملاتهم على المقايضة عند المبادلات، أما أهل الحضر فهم "العرب" الذين يسكنون المدن لأن بيوتهم مبنية في الغالب من الطين والحجر ويعتمدون في كسبهم على التجارة الداخلية التي تقوم على البيع والشراء لما في أيديهم من الأموال، وعلى التجارة الخارجية التي تُعرف اليوم بالاستيراد والتصدير لأنهم كانوا همزة وصل بين الأعراب وبين الممالك، والوسيط بين البداوة والحضارة، ومن هؤلاء المدن سكان مدن الحجاز: مكة، يثرب، الطائف، سكان مدن اليمن ك صنعاء، وكثيرون من رعايا مملكة المناذرة ومملكة الغساسنة.

وفيما كانت القبائل تعقد تحالفات ومعاهدات مع بعضها من أجل التقوي واشباع أطماعها التوسعية والسلطوية كانت قريش بعد أن اقتسمت المناصب السياسية الداخلية قد بدأت في عقد الأحلاف الخارجية مع الدول المجاورة وهي بذلك تريد أن تسلك طريقا توسعيا غفل عنه العرب فتنفرد به وتثري مكتسباتها بغزو مناطق لم تتفطن لها بقية القبائل<sup>1</sup> بسلاح تجاري.

كل هذا بفضل نظرة رجل واحد يدعى "هاشم" -رئيس القبيلة- نذر نفسه لخدمة رعيته بتهديشم الطعام لهم ثم بتأمين مصدر مالي ليدفع عنهم العوز والفقير، وليساهم في إعطاء قريش سمعة دولية، وهو بهذه الرحلة يصرف قلوب الناس والقبيلة إلى الاعتماد على النفس في طلب الرزق ويصرفهم عن التزاعات والخصومات بالاستعداد للسفر والتجارة في كل وقت فيقلص من

<sup>1</sup> كانت القبائل العربية المجاورة للفرس والروم مبنية علاقاتها معها على الموالاة أو المعادة

نزاعاتهم، وبدل انشغال الناس بأمور داخلية سطحية تؤدي في العادة إلى المفاخرات والعداوات، اشتغلوا بالتجارة وأساليب المخالطة والمعاملة مع الآخرين بل كان بعضهم أصدقاءً لملوك كعمرو بن العاص مع أصحابمة الحبشي، ومنهم من كان يدخل عليهم كأبي سفيان...

كان يجب أن تكون هناك منطقة آمنة خالية من التزاعات والتوسعات، ومنطقة محايدة يرمي فيها الناس بهمومهم ويأمنون فيها من خوفهم ويرفعون فيها مظالمهم ويدعون الله في الكعبة فلا تتأخر العقوبة، فقد روي أن المظالم كانت ترفع في رجب وكان المظلوم يقول للمظالم عش رجباً ترى عجباً.

وعرب مكة كغيرهم من الأمم لم تختلف شرائحهم الطبقيّة فوجد فيهم السادة والرقيق، الأحرار والعبيد، الأغنياء والفقراء، وحتى نفهم الأصول الطبقيّة في المجتمع العربي يجب أن ندرك أولاً كيف كان الأسرة في الجاهلية تنشأ لأن ما تنمّره الأسرة هو الذي يحدد طبقاتها.

1- العلاقات الاجتماعية بين الأفراد كانت تبدأ بالمصاهرة، وكانوا يتزوجون من الحرائر ما شاؤوا دون تحديد<sup>1</sup> ويتسروّن بالإماء طلباً للولد والكثرة التي تتحدّد قوة العائلة والقبيلة أو العشيرة بها، وألحقوا صوراً من الزنى بالنكاح جاء في الخبر أنّ أمر الجاهلية في نكاح النساء كان على أربع: إمراة تخطب قترّوج، وامراة يكون لها خليل يخلّف إليها فإن ولدت قالت (هو لفلان) فيتزوجها بعد هذا، وامراة ذات راية يُختلّفُ إليها فإن جاء اثنان في طهرٍ واحد ألزمت الولد واحد منهما فهذه تدعى المقسّمة، والرجل يقع على أمّة قوم فيبتاع ولدها فيرغب فيدعيه ويشترىها فيتخذها امراة<sup>2</sup>.

ومن الأنكحة الجاهلية :

\*نكاح المقت: أن يتزوج الرجل امراة أبيه إذا طلقها أو مات عنها ويقال لهذا الرجل "الضيّز" ويقال للولد منهما: "المقّي"، وأصل المقت: البعْضُ، فسمى الله تعالى هذا النكاح مَقْتًا يلحق فاعله<sup>3</sup>، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ

<sup>1</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 2، ص 7.

<sup>2</sup> محمد بن حبيب، الخبر، ص 340.

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 6، ص 173.



إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿النساء 22﴾.

ومن صورته أن المرأة إذا مات عنها زوجها جاء أحد قرابته وألقى على المرأة ثوباً، فإن هو فعل هذا صارت ملكاً له فإمّا أن يتزوجها الابن أو الأخ أو ابن الأخ، فإن كانوا صغاراً لم يبلغوا حبسوها حتى البلوغ فيتزوجوها خصوصاً إن كانت جميلة وذات مال وميراث، فإن أنصرفت عنها لدمامتها منعها أن تنكح غيره إلا برضاه وتعطيه مالا مقابل موافقتها ويزوجها لمن يشاء ويأخذ مهرها لنفسه لا يعطيها منه شيئاً أو يجبسها حتى تموت ثم يرثها.

فإن هي انفلتت وأتت أهلها ولم يُلقَ عليها ثوباً نجت<sup>1</sup> وكانت هذه السيرة في الأنصار لازمة، وكانت في قريش مباحةً مع التراضي.<sup>2</sup>

والمعنى أن المرأة تُورثُ ولا تملك التصرف في نفسها إلا ببدل مال والتخلي عنه بل تسقط ولاية أهلها عليها، فقد جاء في صحيح البخاري أنهم «كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحقَّ بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤا زوجها وإن شاؤا لم يزوجوها وهم أحقُّ بها من أهلها».<sup>3</sup>

ومن فعل ذلك من قريش "عمرو بن أمية" خلف على امرأة أبيه بعد موته فولدت له "مسافرا وأبا معيط"، وكان لها من "أمية" أبو العيص وغيره، فكان بنو أمية إخوة مسافر وأبي معيط وأعمامهما.

ومن ذلك "صفوان بن أمية بن خلف" تزوج بعد أبيه امرأته فاخته بنت الأسود بن المطلب بن أسد، ومن ذلك "منظور بن زبان" خلف على "مليكة بنت خارجة"، وكانت تحت أبيه "زبان بن سيار".

ومن ذلك "حصن بن أبي قيس" تزوج امرأة أبيه "كبيشة بنت معن"، و"الأسود بن خلف" تزوج امرأة أبيه<sup>4</sup>...

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ج 6، ص 155، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن، ج 3، ص 397-398 بتصرف.

<sup>2</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 6، ص 171.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، (باب ولكم نصف ماترك أزواجكم)، ج 3، ص 216 [رقم 4579].

<sup>4</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 5، ص 171.

\*نكاح الأختين: أي الجمع بينهما أو الجمع بين المرأة وعمتها أو بين المرأة وخالتها، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان أهل الجاهلية يجرمون ما حرّم الله إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين فأنزل الله<sup>1</sup> ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ النساء 22، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ النساء 23 .

\*نكاح الشّعار أو البذل: عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «نهى عن الشّعار والشّعار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته ليس بينهما صداق»<sup>2</sup>.

\*نكاح الأيتام: عن مجاهد<sup>3</sup> قال: كان الرجل يكون في حجره اليتيمة هو يلي أمرها، فيحبسها رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها أو يزوجه ابنه، قال ابن كثير: فالآية تعم ما كان يفعله أهل الجاهلية<sup>4</sup>.

2- الطبقة: يتألف المجتمع العربي من طبقتين: طبقة السادة وطبقة العبيد، وما بينهما طبقة وسطى من الموالي والمستلحقين والحلفاء.

### 1- السادة: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ الأحزاب 67.

يطلق عليهم أيضاً الملاء والأشراف والكبراء<sup>5</sup> وهم الذين يسُدون مسدّد الجميع في الآراء ونحوه،<sup>6</sup> من الرجال دون النساء<sup>7</sup> منهم أبو جهل، وشيبة وعتبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، وأمّية بن

<sup>1</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 365.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الشغار، ج 3 ص 366، [رقم 5112].

<sup>3</sup> مجاهد: هو أبو الحجاج المكي، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، شيخ القراء والمفسرين قرأ على ابن عباس، وصحب ابن عمر مدة كثيرة، أخذ عنه قتادة وقال فيه: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد، توفي سنة ثلاث ومائة، أحمد بن محمد الأندلسي،

ص 11، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 4، ص 449-456

<sup>4</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 398.

<sup>5</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 18، ص 134 و ج 17، ص 239، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 2،

ص 455، محمد الطاهر بن عاشور، المصدر السابق، ج 23، ص 211.

<sup>6</sup> ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج 4، ص 493.

<sup>7</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 5، ص 243.

خلف، العاص بن وائل، أبو مُعيط.<sup>1</sup>

وهناك من فرّق بينهما فقال: السّادة عظماء القوم والقبائل مثل الملوك، والكُبراء ج كبير وهو عظيم العشيرة، وهم دون السادة فإن كبيرا يطلق على رأس العائلة فيقول المرء لأبيه كبير<sup>2</sup>، ويطلق على السادة أيضا العظماء، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ

عَظِيمٍ﴾ الزخرف 31.

والمقصود بالقرتين مكة والطائف، وبالعظيمين "الوليد بن المغيرة المخزومي" من أهل مكة وكان يسمى رجحانة قريش، و"حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي" من أهل الطائف<sup>3</sup>.

والمال من مقومات السؤدد عند الناس.

قال ابن عاشور: جعلوا عماد التأهيل لسيادة الأقسام أمرين عظمة المسؤد وعظمة قريته، فهم لا يدينون إلا لمن هو من أشهر القبائل في أشهر القرى، والعظيم: مستعار لصاحب السؤود في قومه فكأنه عظيم الذات.<sup>4</sup>

ويطلقون على السيد "الرّب"، روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يُقَلُّ أحدُكم: أُطعم ربك، وضيء ربك وليقل: سيدي مولاي، ولا يقل أحدُكم: عبدي أمّتي، وليقل: فتأي وفتاتي وغلامي».<sup>5</sup>

ومن لوازم السيادة والشرف كثرة المال والولدومعها رجاحة العقل التي تدرك مع التقدم في السن، لهذا اشترطوا في دار الندوة التي أنشئوها مكانا للاجتماع والتشاور ألا يدخلها من الأسياد إلا من جاوز عمره الأربعين، واشترطوا في السيد أيضا أن يفوق غيره بالعقل والمال والدفع والنفع، لئسؤدوه عليهم بأن يعصبوه، وعصابة سادة العرب العمامة الحمراء وقيل المهراة وهي

<sup>1</sup> ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج 4، ص 493.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 22، ص 117.

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 19، ص 36.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 25، ص 200.

<sup>5</sup> صحيح البخاري، كتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق وقوله عبدي أو أمّتي، ج 2، ص 221، [رقم 2552].

الصفرة وهي تيجانهم.<sup>1</sup>

وأول ملوك العرب في مكة "قُصَي" وما تَمَلَّكها حتى قاتل دونها خُزاعة وأخرجهم منها، وإليه صارت الحجابة والسَّقاية والرَّفادة والنَّدوة واللِّواء، وَسَمَّته قريش مُجَمَّعاً لما جمع من أمرها وتيمنوا به فلا تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش، ولا يعقد لواء حرب قوم من غيرهم إلا في داره، وما تُدْرَعُ الجواربي، أي يلبسون الدروع - الأقمصة - إعلاناً على البلوغ إلا في بيته.<sup>2</sup>

ثم اتخذ "قُصَي" داراً حول المسجد الحرام وسَمَّها دار النَّدوة، والنَّادي والنَّديُّ المجلس الذي يجتمع فيه النَّاسُ نهاراً ويطلق النادي على العشيرة أيضاً<sup>3</sup>، قال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي عشيرته وجلساءه، وكان السَّادة والأشراف يجتمعون فيها للتشاور.<sup>4</sup>

إن كان لكل قبيلة عربية سيد وله مستشارون يُفْضِي إليهم ثم يقطع في الأمر الموكل إليه، فإن النظام السياسي في مكة قائم على المشاركة الجماعية لكل سيد يرأس بطن من بطون قريش، غير أن لا رئيس لهم يقطع بينهم بأمر منفرد، بل يتداولون الآراء إلى أن يرضوا بحكم بينهم ثم يبلغه سيد كل قبيلة وينظر في تطبيقه، قال تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ وهو خلق جاهلي أثنى الله عليه وأمر به رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ آل عمران 159.

ذلك لأن التشاور مفتق للأذهان ومقرب للصواب ومُسْكِنٌ للأحقاد والضغائن، فالرجل الذي يستبد بالرأي وإن كان صلح رأيه وصدق حكمه، فلا بد وأن يقع في الخطأ والجماعة تعصمه وبهذا عملت ملكة سبأ، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ النمل 32.

والغلط الذي يقع من الجماعة بعد المشاورة يُلتَمَسُ له العُذر، بعكس الخطأ الذي يقع من الفرد

<sup>1</sup> محمودشكري الألوسي، بلوغ الأرب، ج3، ص408.

<sup>2</sup> عبد الرحمن السهيلي، المصدر السابق، ج1، ص233.

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج22، ص385.

<sup>4</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج32، ص25، أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج8، ص487، أبو بكر القرطبي، المصدر

السابق، ج22، ص38، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج30، ص451، عبد الرحمن السهيلي، المصدر السابق،

ج1، ص235.

المستبد فالناس تعدُّ له الزَّلَّات، وتنصرف إلى تتبع الهنَّات وتصغر في عينها المحاسن.

٢- العبيد قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ النحل 75.

- لغة: المملوك مؤنثه أمة خلاف الحر وهو في الأصل صفة ولكنه استعمل استعمال الاسم وهو الخضوع والتدلل.<sup>1</sup>

- اصطلاحاً: العبد الإنسان الذي يملكه إنسان آخر بالأسر أو بالشراء أو بالإرث،<sup>2</sup> ويقع الاسترقاق للرجال والنساء وللأغنياء والفقراء بسبب الحروب أو عند الاعتداء على القوافل أو عند العجز عن سداد الديون، وقد يشترك في العبد الواحد أكثر من سيد<sup>3</sup> قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ الزمر 29.

وتنتقل العبودية إلى أولاد الرقيق فيصبحون رقيقاً بمجرد ولادتهم<sup>4</sup> ويسمونهم القن<sup>5</sup> ويعرف تاجر الرقيق بالثخاس، وكانوا يشترون الرقيق ويزوجونهم ليحتموا نسله فيبيعونه في الأسواق وبذلك يكثر ماله، وينسب المولود إلى الأرض التي ولد بها والتي يكون سيده مقيماً فيها أو إلى قبيلة سيده.<sup>6</sup>

ومن أجل الكسب يرسلون الجوارى للزنى مقابل ضريبة يأخذها منها سيدها كل وقت<sup>7</sup> ويجبرهن وقت<sup>7</sup> ويجبرهن على ذلك، ويعجبهم أن يكون الرجل من الأشراف ليفتدي ولده منها، قال تعالى:

تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ حَصْنًا لِنَبْنُوْهُنَّ عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ النور 33.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 4، ج 32، ص 2776.

<sup>2</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 14، ص 224.

<sup>3</sup> وقال النبي ﷺ: "من أعتق شركاً له في مملوك وجب عليه أن يعتق كله إن كان له مالٌ قدرَ ثمنه يُقامَ قيمةَ عدلٍ ويُعطى شركاؤه حصتهم ويُحلى سبيل المعتق"، صحيح البخاري، كتاب الشركة، باب الشركة في الرقيق، ج 2، ص 208، رقم [2503].

<sup>4</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 52.

<sup>5</sup> القن عبْدٌ مُلْكٌ هو وأبواه أو هو الخالصُ العبودة الذي وُلدَ عندك ولا تستطيع أخراهُ، قال الأصمعي القن الذي كان أبوه مملوكاً لمواليه فإذا لم يكن كذلك فهو عبد مملكة، محمد مرتضى الزبيدي، المرجع السابق، ج 36، ص 20-21.

<sup>6</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 7، ص 458.

<sup>7</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 55، محمد بن حبيب، المحرر، ص 430.

ومن كان يفعل هذا عبد الله بن أبي وكانت له ست جواري يكرههن على الزنا ويأخذ أجورهنّ منهنّ "معاذة" جارية له راودها رجل من قريش -أسر يوم بدر- فتمنعت و"أبي يضربها ويكرهها على ذلك".<sup>1</sup>

كما كان في مكة والمدينة كثير من النساء البغايا يحترفن الزنا يُجاهرن بذلك منهنّ تسع صواحب ولهنّ رايات كرايات البيطار يعرفن بها وهن: "أم مهزول" جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، "أم عليط" جارية صفوان بن أمية، و"حنّة القبطية" جارية العاص بن وائل، و"مزنة" جارية مالك بن عميلة بن السباق، و"جلالة" جارية سهيل بن عمرو، و"أم سويد" جارية عمرو بن عثمان المخزومي، و"شريفة" جارية زمعة بن الأسود، و"فرسة" جارية هشام بن ربيعة، و"فرتنا" جارية هلال بن أنس، وكانت بيوتهن تسمى في الجاهلية المواخير ولا يأتيهن ويدخل عليهنّ إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان<sup>2</sup>، أو يتعرض لهن الزناة ليلاً إذا خرجن لقضاء حوائجهن في النخيل والغيطان<sup>3</sup>.

ومن النساء من كانت تلتزم بخليل واحد، قال تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مَتَّخِدَاتٍ أَخْدَانٍ﴾ المائدة 25، والمسافحات الزواني مع غير معين، ومتخذات الأخدان هن متخذات أخلاء تتخذ الواحدة خليلاً تختص به لا تألف غيره<sup>4</sup>، وكانوا في الجاهلية يحتقرون العبيد العبيد ولا يرضون بنكاح الأمة وجعلها حليلاً ولكن يقضون منهنّ شهواتهم بالبعاء.<sup>5</sup>

وقد يتغير حال العبد-الذي لا يملك من نفسه وكسبه شيئاً سوى خدمة أسياده- ويرتقي إلى مرتبة أعلى ويسمى "المولى" عندما يُعتقه سيده<sup>6</sup>، أو إلى مرتبة الوكْد وهو ما يُعرَف بالاستلحاق-التبني

<sup>1</sup> علي بن أحمد الواحدي أسباب النزول، ص 326-327، جلال الدين السيوطي، لباب النقول 455 محمد بن جرير الطبري، ج 17، ص 292، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (دار الكلم الطيب، بيروت، ط 1، 1419هـ - 1998م)، ج 2، ص 504.

<sup>2</sup> علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ص 315-316.

<sup>3</sup> أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج 7، ص 240.

<sup>4</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 8، ص 149.

<sup>5</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 5، ص 14-15.

<sup>6</sup> ابن منظور، لسان العرب، مج 6، ج 55، ص 4921.

التبني حاضراً- سواء كان هذا العبد غريباً عن سيده ابتاعه ثم رأى أن يتخذه ولداً، أو كان ابن السيد من مُلك يمينه فله أن يلحقه به، ويُسمى الدَّعيّ أو المستلحق أو الزَّئيم، قال تعالى {عتل بعد ذلك زئيم}.

وله نفس حقوق الابن الصريح فيرثه وينصره<sup>1</sup>، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ النساء33 ويحرم على السيد التزوج بزوجة ولده الدَّعي.

قال القرطبي: كان الرجل في الجاهلية إذا أعجبه جلدُ الرجل وظرفُه ضمَّه إلى نفسه، وجعل له نصيب الذَّكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب إليه فيقال فلان ابن فلان<sup>2</sup>، كما فعل والد عنترة عندما وعده بالعتق إن هو أحسن الحرب، وكالمقداد بن عمرو<sup>3</sup> الحَقَّه "الأسود بن عبد يغوث" في الجاهلية وعرف باسم المقداد بن الأسود<sup>4</sup>.

وكما فعل النبي ﷺ مع زيد بن ثابت وكان زيدُسي من الشام من خيل تامة، فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد بأبعمائة درهم ثم وهبه لخديجة-رضي الله عنها- التي وهبته للنبي ﷺ فأقام عنده مدة حتى جاء عمُّه وأبوه يرغبان في فدائه فخيرهُ النبي ﷺ بين الرجوع أو المكوث عنده فاختار البقاء مع محمد ﷺ عند ذلك أعتقه النبي ﷺ وألحقه به ونادى في الناس: «يا معشر قريش اشهدوا أنه ابني يرثني وأرثه»<sup>5</sup> فكانوا لا يدعون له إلا زيد بن محمد<sup>6</sup> حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ

<sup>1</sup> نزلت هذه الآية في الذين كانوا يتبنون رجالاً غير أبنائهم ويورثوهم، علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ص 151.

<sup>2</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 15، ص 57، محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج 5، ص 46.

<sup>3</sup> المقداد بن الأسود: المقداد بن عمرو بن ثعلبة من قُضاعة ويكنى أبا معبد [37ق هـ-33هـ]، حالف الأسود بن عبد يغوث الزَّهري في الجاهلية فتبناه، فكان يقال المقداد بن الأسود، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، وهو الفارس الوحيد يوم بدر، شهد أيضاً أُحُدًا والخندق والمشاهد كلها، مات سنة ثلاثٍ وثلاثين وهو ابن سبعين سنة وصلّى عليها عثمان بن عفان، ابن سعد، ج3، ص 148-149-150، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص 385-386، منير البعلبكي، المرجع السابق، ص 429.

<sup>4</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 15، ص 58.

<sup>5</sup> ابن سعد، المصدر السابق، ج 1، ص 428.

<sup>6</sup> صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب (ادعوه لهم لأبائهم هو أقسط عند الله)، ج 3، ص 276، [رقم 4782]، علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ص 352، جلال الدين السيوطي، لباب النقول، ص 205-206، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 19، ص 10.

أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴿الْأَحْزَابُ 4﴾.

وإن كان العبد من الأسرى الشرفاء وأرادوا أن يُنعموا عليه جزوا ناصيته وأطلقوه، والناصية مقدمة شعر الرأس فوق الجبهة والقصد منه حقيقة الإذلال والامتهان للأسير، ثم المن والفخر للمعتق،<sup>1</sup> لأن من أعرافهم أن الملوك ورؤساء القبائل لا تُجز نواصيهم.<sup>2</sup>

### 3- الفرع الثالث: أحكام عربية جاهلية:

نقصد بالأحكام بعض الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي سنّها المجتمع العربي، والتي زكّي بعضها الإسلام وأقصى بعضها الآخر، وسنذكر هنا بعض الأحكام الأسرية وبعض الأحكام العقابية التي كانت تسلط على المذنبين، كنت سأتبعها بفرع ثالث يتحدث عن الأحكام السياسية والعلاقات الداخلية والخارجية كنظام النسيء والأحلاف بين القبائل والعهود بين الإمارات والممالك والعصبية والحمية، إلا أنني تراجعت عن ذلك تفادياً للتكرار لأنني قد ذكرتها في غير موضع من البحث فمنها ما ذكرته في التجارة ومنها من ذكرته في الطقوس الدينية والسبب في ذلك كما أسلفنا أن البعد الاقتصادي والسياسي يتداخل ويتشابك.

#### ١- أحكام أسرية :

\*الطلاق: هو حلّ العصمة المنعقدة بين الأزواج بألفاظ مخصوصة<sup>3</sup> والمفسرون مختلفون في طلاق الجاهلية أكان بعدد معلوم يتوافق مع الشريعة أم كان بغير تحديد؟

ذهبت طائفة منهم إلى القول أن الطلاق في الجاهلية كان ثلاثاً والدليل عليه سؤال نافع بن الأزرق لابن عباس رضي الله عنه هل كانت العرب تعرف الطلاق ثلاثاً في الجاهلية؟ قال نعم كانت تعرف ثلاثاً بآثاً، أما سمعت الأعشى وهو يقول وقد أخذته أختائهُ فقالوا: لا والله لا نرفع عنك العصا أو تُطلق أهلك فقد أضرت بها، فقال:

أيا جارتني بيبي فإنك طالق  
كذاك أمور الناس غاذٍ وطارق

<sup>1</sup> محمود شكري الألويسي، بلوغ الأرب، ج 3، ص 15، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 22، ص 3858، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 30، ص 450.

<sup>2</sup> جواد علي، المرجع السابق، ج 5، ص 325.

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 4، ص 55.



فقالوا: والله لا نرفعُ عنك العصا أو نُثَلِّثَ لها الطلاق، فقال:

بيبي فإنَّ البينَ خيرٌ من العصا وإلاَّ تزال فوق رأسي بارِقَه

فقالوا: والله لا نرفعُ عنك العصا أو نُثَلِّثَ لها الطلاق، فقال:

بيبي حَصَانَ الفرج غير ذميمةٍ ومومُوقَةٌ فينا كذاك ووامقَةٌ<sup>1</sup>

وذهب آخرون إلى أن الرجل كان يطلق زوجته ما شاء الثلاث والعشر والمائة لا يكون عليه عدد<sup>2</sup>،

قال القرطبي: ثبت أن أهل الجاهلية لم يكن عندهم للطلاق عدد وكانت عندهم العدة معلومة مقدرة<sup>3</sup> برهة، يطلق الرجل امرأته ما شاء من الطلاق، فإذا كانت تحلُّ من طلاقه راجعها ما شاء، فقال رجل لامرأته على عهد النبي ﷺ لا أويك ولا أدعك تحلين، قالت وكيف؟ قال: أطلقك، فإذا دني مُضيُّ عِدتك راجعتك، فشكت المرأة إلى عائشة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فأَنْزَلَ اللهُ تعالى هذه الآية بيانا لعدد الطلاق<sup>4</sup> قال تعالى: ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ البقرة 229.

وذهب الإمام "ابن كثير" إلى أن هذه الآية رافعة لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام من أن الرجل كان أحق برجعة امرأته وإن طلقها مائة مرة ما دامت في العدة، فلما كان هذا فيه ضرر على الزوجات قصرهم الله إلى ثلاث تطليقات.<sup>5</sup>

قال قتادة: كانت عادتُهنَّ في الجاهلية أن يكتمنَ الحملَ لئُلحِقنَ الولدَ بالزوج الجديد خوف

مُراجعتهم إياهنَّ، فنهيَنَّ عن كتمان ذلك<sup>6</sup> قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 4، ص 126، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 2، ص 663-664.

<sup>2</sup> المصدر نفسه، الدر المنثور، ج 2، ص 662.

<sup>3</sup> ومنهم من قال أن لا عدة في الجاهلية وذكر ابن حبيب عددا من النساء تزوجن بعد وفاة أزواجهن ووضعن في فراش زوجها الجديد فألحقن نسب الولد به، قال وهو كثير، محمد بن حبيب بن حبيب، المحبر، ص 338-340، جلال الدين

السيوطي، الدر المنثور، ج 2، ص 648.

<sup>4</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 4، ص 54-55، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 4، ص 126.

<sup>5</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 339-340.

<sup>6</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 4، ص 111، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 4، ص 45، ابن عطية الأندلسي،

المصدر السابق، ج 1، ص 305.

﴿البقرة 228﴾.

\*عدة المتوفى عنها زوجها في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ البقرة 240.

كانت عدة المتوفى عنها زوجها في الجاهلية حولاً تمكث المرأة معتزلة الطيب والماء فجاء الإسلام وقصرها على أربعة أشهر وعشرا، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ البقرة 234.

عن أم سلمة-رضي الله عنها- قالت: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن ابنتي تُوفِّيَ عنها زوجها وقد اشتكت عينها، أفنكحها؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا مرتين أو ثلاثا، ثم قال إنما هي أربعة أشهرٍ وعشْرٌ وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة على رأس الحول». <sup>1</sup>  
قال حميد قلت لزَيْنب: وما ترمي بالبعرة على رأس الحول؟ فقالت زينب: كانت المرأة إذا توفى عنها زوجها، دخلت حفشاً وليست شرّ ثيابها، ولم تمس طيباً ولا شيئاً حتى تمر سنة ثم تُؤتى بدابة حمار أو شاة أو طير فتفتض، فقلما تفتض بشيء إلا مات ثم تخرج فتعطى بعرّة فترمي بها، ثم تُراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره. <sup>2</sup>

وهذا إخبار منه ﷺ عن حالة المتوفى عنهن أزواجهن قبل ورود الشرع فلما جاء الإسلام أمرهن الله تعالى بملازمة البيوت حولاً ثم نسخ بالأربعة أشهر وعشرا. <sup>3</sup>

ولما أراد نسخ عدة الجاهلية راعى لطفه بالناس في قطعهم عن معتادهم أقرّ الاعتداد بالحول، وأقر مامعه من المكث في البيت مدة العدة، لكنه أوقفه على وصية الزوج عند وفاته لزوجته بالسكنى وعلى قبول الزوجة ذلك، فإن لم يوص لها أو لم تقبل فليس عليها السكنى ولها الخروج وتعتد حيث شاءت. <sup>4</sup>

<sup>1</sup> صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، مج 2، ص 692، [رقم 1488].

<sup>2</sup> صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة وتحريمه في غير ذلك إلا ثلاثة أيام، مج 2، ص 692، [رقم 1489].

<sup>3</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 4، ص 405.

<sup>4</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 2، ص 270.

\* ومن الطلاق الجاهلي الظهار قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَلْسِنِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾<sup>1</sup> الأحزاب 4، وهو يمين اختص به العرب دون سواهم من الأمم<sup>1</sup>، وأصل الظهار مشتق من الظَّهْر<sup>2</sup>، تظاهر منها: تباعد منها وظهر منها خالص منها<sup>3</sup>.

وصورته أن يقول الرجل لزوجته: "أنت علي كظهر أمي"<sup>4</sup> أي: أنت حرام علي حرام كبطن أمي، فَكُنُوا عن البطن بالظهر لثلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج، وإنما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لأنه عمود البطن<sup>5</sup> أو إشارة إلى الركوب إذ عرفه في ظهور الحيوان، والمعنى أنه لا يعلوها كما لا يعلو أمه ولذلك تقول العرب في مقابلة ذلك نزلت عن امرأتي أي: طلقته<sup>6</sup>.

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان ظهاراً الجاهلية طلاقاً فأول من ظاهر في الإسلام "أوس بن الصّامت" أخو عبادة من الصّامت من امرأته الخزرجية وهي حولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها حسبت أن يكون ذلك طلاقاً فأنت به نبي الله صلى الله عليه وسلم<sup>7</sup>.

واعتبره الشرع يمينا وأوجب فيه الكفارة، قال القرطبي<sup>8</sup>: الظهار يوجب تحريماً لا يرفعه إلا الكفارة وهي تحرير الرقبة لمن كان مؤسراً، فإن لم يكن مؤسراً فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا لكل مسكين مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم كل ذلك قبل الجماع<sup>9</sup> قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعُظُوتُ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ\* فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ

<sup>1</sup> أبو حيان الأندلسي، ج8، ص231.

<sup>2</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج13، ص445.

<sup>3</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج5 ص45، أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج7، ص207.

<sup>4</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج22، ص449-450، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج13، ص445-446.

<sup>5</sup> محمود بن عمر الزمخشري، المصدر السابق، ج5، ص45.

<sup>6</sup> أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج8، ص231.

<sup>7</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج22، ص455.

<sup>8</sup> أبو بكر القرطبي: هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي، عابد عالم مالكي زاهد، توفي بمغنية ابن حسب سنة 671، محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص336.

<sup>9</sup> المصدر نفسه، ج22، ص450-451، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج20، ص301 و ج20، ص294.

مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿المجادلة 3-4﴾

\* الإيلاء: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ البقرة 226  
الألوية: الحلفُ والقسم<sup>1</sup> وكان من عادة العرب أن يحلف الرجل أن لا يطأ امرأته يقصد بذلك الأذى عند المشاركة ونحوها.<sup>2</sup>

قال ابن عباس رضي الله عنه: "كل يمين منعت جماعاً فهي إيلاء"<sup>3</sup> وكان إيلاء الجاهلية السنة والستين وأكثر وأكثر من ذلك يقصدون بذلك إيذاء المرأة عند المساءة.<sup>4</sup>

روي أن الإيلاء في الجاهلية كان طلاقاً، قال سعيد بن المسيب: كان الرجل لا يريد المرأة ولا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها، فكان يتركها بذلك لا أيماً ولا ذات بعل، والغرض منه مُضَارَةُ المرأة<sup>5</sup> ولا يَنْحَلُ اليمين إلا بعد انقضاء المدة ولا رأي للمرأة فيه.<sup>6</sup>

وبقي في الإسلام شريعة الإيلاء على أنه يمين اعتزال وجعل له حدُّ أقصاه أربعة أشهر، وقد يقع بأقل من هذه المدة فقد آلى النبي صلى الله عليه وسلم من زوجاته شهراً<sup>7</sup>، ثم هو مخير بين أن يمسكها أو يطلقها يطلقها فإن انقضت الأشهر الأربعة فقد بانت منه بتطبيقه.<sup>8</sup>

\* اعتزال المرأة الحائض: كانوا لا يقربون المرأة الحائض يعتزلونها فلا يؤاكلوها ولا يُشَارِبونها ولا يُساكنوها، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ البقرة 222.

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 4، ص 42، الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 6، ص 86، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 4، ص 21، ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج 1، ص 302، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 2، ص 330، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 2، ص 630.

<sup>2</sup> ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج 1، ص 302.

<sup>3</sup> جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 2، ص 631، أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 4، ص 23، محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 4، ص 49.

<sup>4</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 4، ص 22، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج 2، ص 631، ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 12، ص 136.

<sup>5</sup> الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج 6، ص 86.

<sup>6</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 2، ص 382.

<sup>7</sup> الحديث في صحيح البخاري، ج 3، ص 400-401، [رقم 5289] ج 3، ص 410، صحيح مسلم، كتاب الطلاق، مج 2، ص 658 [رقم 1475].

<sup>8</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 2، ص 640.

\* حِرْمَانُ النِّسَاءِ وَالذَّكَورِ الصِّغَارِ مِنَ الْمِيرَاثِ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ النساء، 7، ذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في أهل الجاهلية الذين كانوا يُورثون الذكور دون الإناث، وكان الكبير يرث دون الصغير وإن كان ذكراً لأن من يستحق الميراث في شريعتهم يجب أن يكون من أهل الكسب والقتال.<sup>1</sup>

وراعى بعضهم هذا الفرق بين المرأة والرجل واختصاصه بزيادة تكليف دونها فورثت من الجاهلية رجل يدعى "ذو المجاسد وهو عامر بن جشم بن غنم" أولاده الذكور مثل حظ الأنثيين ووافقت الشريعة الإسلامية هذا الحكم<sup>2</sup>، قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ النساء 11.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «والله إن كنا في الجاهلية ما نعدُّ للنساء أمراً حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم»<sup>3</sup>.

## ٢- أحكام عقابية:

\* قطع يد السارق: قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ المائدة 38

السرقه: أخذ الشيء في خفية من الأعين<sup>4</sup>، والسارق عند العرب هو من جاء مستتراً إلى حرز، فأخذ منه ما ليس له، فإن أخذ من ظاهر فهو مُختلسٌ ومُستلبٌ، ومنهَبٌ ومُختَرِسٌ، فإن منع مما في يده فهو غاصب.<sup>5</sup>

وعقوبة السارق في الجاهلية كانت قطع اليد وأول من حكمت به قريش، برأي "الوليد بن

<sup>1</sup> محمد بن جرير الطبري، المصدر نفسه، ج6، ص430-431

<sup>2</sup> محمد بن حبيب، المحبر، ص 236.

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب في اعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: (وإن تظاهرا عليه) مع1، ص682.

<sup>4</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج6، ص133، محمد بن عبد الله بن العربي، المصدر السابق، ج2، ص103.

<sup>5</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج7، ص461.

المغيرة<sup>1</sup>، قطعوا رجلا يقال له "دويك" مولى لبني مليح بن عمرو من خزاعة كان قد سرق كثر الكعبة<sup>2</sup>.

إلا أنهم كانوا يقيمون الحدَّ على الضعفاء دون الشرفاء، فعن عائشة-رضي الله عنها-أن قريشا أهتمهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حبُّ رسول الله ﷺ فكلم رسول الله ﷺ فقال: «أتشفع في حدٍّ من حدودِ الله؟» ثم قام فخطبَ فقال: «يا أيها الناس إنما ضلَّ من كان قبلكم أنهم إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحدَّ وإني لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطع محمدٌ يدها.»<sup>3</sup>

وإن كنا لا نعلم هل يقصد النبي ﷺ بقوله "من قبلكم" الأمم السابقة من غير العرب أم يقصد العرب مع العلم أن شرع من قبلنا كان استرقاق السارق لا قطع يده، قال تعالى: ﴿قَالُوا جَزَاءُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاءُ مَا كَفَرَ لِكُلِّ سَاقِطٍ مِمَّا كَفَرَ مِنْ قَبْلِكَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ يوسف 75.

قال الطبري: معنى جزاؤه استعبادٌ من وُجد في رحله أو أخذه واسترقاقه.<sup>4</sup>

ويذهب الإمام ابن عاشور إلى أن الحادثة لا تشير فقط إلى التفرقة الطبقيّة بين الشرفاء والضعفاء، بل إلى التفرقة الجنسية بين الرجل والمرأة، فالعرب لم تكن لتقيم الحدود على النساء مع أن السرقة كثيرة فيهنّ وهو ما أهمّ قريشا في شأن المخزومية.

لهذا لم يكتف في الآية بمجرد ذكر السارق، فذكر معها السارقة ليدفع توهم أن تكون صيغة التذكير قيّدا لا يجري حد السرقة إلا على الرجال، وهو الداعي أيضا إلى ذكر الأنثى<sup>5</sup> في قوله

<sup>1</sup> أبو بكر القرظي، المصدر السابق، ج7 ص449، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج6، ص19، علي بن حبيب بن محمد الماوردي، الحاوي الكبير، ج13، ص266.

<sup>2</sup> وقالوا بل سرقاها مليح ومقيس فأقيم عليهم الحد، وقطعت قريش أيضا رجلا منهم (وابصة، عوف، عبيد الله، مدرك،) محمد بن حبيب، المخبر، ص328.

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع، ج، ص248، [رقم 6787]، وباب كراهية الشفاعة في الحدِّ إذا رفع للسلطان، [رقم 6788]، صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود، مج1، ص805، [رقم 1688].

<sup>4</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج13، ص257، محمد بن عبد الله بن العربي، المصدر السابق، ج2، ص120 و3، ص67.

<sup>5</sup> محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج6، ص190-191 و28، ص166.

تعالى: ﴿الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى﴾ البقرة 178.

وقد وُجِدَ من النساء من تستعير المتاع ثم تجرده، ومن تسرق الحلبي من البيوت وتسرق الراكب،<sup>1</sup> ومنهم من تسرق من مال زوجها كما كانت تفعل هند زوج أبي سفيان<sup>2</sup>، لهذا كان مما أخذ عليهن النبي ﷺ في البيعة التعهد بعدم السرقة، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقَنَّ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِبَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ المتحنة 12.

ووافق حكم الإسلام الحكم الجاهلي في قطع يد السارق اليماني<sup>3</sup>، فكان أول سارق قطعته رسول الله ﷺ في الإسلام من الرجال "الحيار بن عدي" ومن النساء "مروة بنت سفيان من بني مخزوم"<sup>4</sup> وقيل بل اسمها "فاطمة بنت الأسود" من بني مخزوم<sup>5</sup>.

\* وألحق بعضهم الحرابة بالسرقة وسماهم السرقة الكبرى، فما الحرب في الأصل إلا السلب والأخذ، يقال حربته إذا سلبه وهي مجاهرة باللصوصية مع اشهار السلاح.<sup>6</sup> ومنها الصعلكة والصعلوك هو الفقير الذي لا مال له لغة، وهو اللص السارق قاطع الطرق عرفاً وكل سلوك عدواني يهدف إلى المغنم.<sup>7</sup>

وحقيقة الصعلكة الاجتماعية تعني الانسلاخ عن نظام القبيلة والتحلل من شخصيتها المتعسفة التي تحتقر الفقراء وتجل الأغنياء وتتجاوز عن أخطائهم ما أدى إلى ثروة ضده، قال عروة بن

<sup>1</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 15، ص 556-557-558، صحيح مسلم، ص 806.

<sup>2</sup> إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 13، ص 530.

<sup>3</sup> محمد بن جرير الطبري، جامع البيان، ج 8، ص 408.

<sup>4</sup> أبو بكر القرطبي، المصدر السابق، ج 7، ص 449، محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 6، ص 19، علي بن محمد بن

حبيب الماوردي، الحاوي الكبير، ج 13، ص 266.

<sup>5</sup> ابن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ج 15، ص 557.

<sup>6</sup> محمود الألوسي، روح المعاني، ج 6، ص 119، ابن عطية الأندلسي، المصدر السابق، ج 2، ص 184، محمد بن عبد الله بن

العربي، المصدر السابق، ج 2، ص 94.

<sup>7</sup> أحمد سلمان مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، رسالة ماجستير، (الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب،

قسم اللغة العربية، 1428هـ-2007م)، ص 1-2-3.

الورد<sup>1</sup>:

دعيني للغنى أسعى فيني  
وأبعدهم وأهونهم عليهم وإن  
ويقصيه ذو الندى، وتزدريه  
ويلقى ذو الغنى، وله جلالٌ  
قليلٌ ذنبه، والذنب جمٌ  
ومن أبرز أسباب الصعلكة أيضاً:

رأيت الناس شرهم الفقيرُ  
أمسى له حسبٌ وخيرُ  
حليلته، وينهره الصغيرُ  
يكاد فؤاد صاحبه يطير  
ولكن للغنى ربٌ غفور<sup>2</sup>

١- عدم وجود دولة جامعة.

٢- ظهور زعامات غير متزنة.

٣- عدم التوازن بين الفقر والغنى.

٤- طبيعة الأرض والحياة<sup>3</sup>.

وكان حكم الحراية في الجاهلية الصلب<sup>4</sup>، وحكمها في الإسلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ المائدة:33.

<sup>1</sup> فارس من فرسان الجاهلية، وصعلوك من صعاليكها المقدمين الأجواد من بني عيس، كان يلقب بعروة الصعاليك، لأنه يجمع صعاليك العرب ويقوم بأموارهم ويرعى أحوالهم، ابن قتيبة، ص675، عروة بن الورد، ديوان، (دار الكتب العلمية، بيروت،

1418هـ-1998م)، ص9

<sup>2</sup> عروة بن الورد، المصدر نفسه، ص79.

<sup>3</sup> أحلام عبد العالي الصاعدي، شعر الصعاليك من منظور أبي تمام، إشراف حسن محمد باجودة، رسالة ماجستير (جامعة أم القرى، السعودية، كلية اللغة العربية وآدابها، 1433هـ-2011م)، ص19-124، أحمد سلمان مهنا، المرجع السابق، ص5.

<sup>4</sup> محمد بن حبيب، المخبر، ص327.



\* ومن الأحكام الجاهلية : القَسَامَة

القَسَامَة مشتقة من القَسَم وهو اليمين، سميت قسامة لتكرار الأيمان فيها وهي مختصة بدعوى الدم دون ما عداها من سائر الدعاوى، وأول من سنّها في الجاهلية قريش والذي قضى بها "الوليد بن المغيرة"<sup>1</sup> عندما اتهمت "عبد مناف" رجلاً يدعى "خداش" بقتل ولدهم "عمرو بن علقمة" وكان ضربه بعصى فشجّ بها رأسه وقيل بل وقعت على كليته فمات منها بعد مدة ولا بينة عندهم سوى خبر وصلهم أنه قاتله، والمتهم ينكر ذلك فرفعوا الأمر إلى "الوليد"، فحكّم أن يحلف خداش في خمسين من بني عامر بن لؤي إنه لبريء من دم عامر ثم يعقلوه بعد<sup>2</sup>، فرضي بنو عبد مناف فلما حلفوا لم يحل الحول على رجل واحد منهم.

فالقَسَامَة يُصَارُ إليها إذ وُجِدَ قتيل يُجْهَلُ قاتله، أو يُتَّهَمُ قاتل بالقتل من غير بينة فَيُنْكَرُ القاتل ولا يعترف، فيلزم القسم أحد الطرفين المدعي أو المدعى عليه خمسين يمينا مع الدية ويسقط القود، وأقرّ القَسَامَة على ما كانت عليه في الجاهلية الرسول ﷺ<sup>3</sup> وفي الصحيحين قصص للقسامة وحكّم النبي ﷺ فيها مطابق للحكم الجاهلي.

<sup>1</sup> علي بن محمد بن حبيب الماوردي، الحاوي الكبير، ج13، ص4-5.

<sup>2</sup> والقصة كاملة عند ابن حبيب، الخبر، ص 335-336-337، محمود شكري الأوسي، بلوغ الأرب، ج2، ص292-293.

<sup>3</sup> صحيح مسلم كتاب القسامة والمخارِبين والقصاص والديات، باب القسامة، مج 2، ص794 رقم [1670]، وانظر صحيح

البخاري كتاب الدّيات، باب القسامة، ج 4، ص 272، [رقم 6898].

# الخطبة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## الفصل الثالث: ..... صورة الحياة الثقافية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام من القرآن الكريم

\*لفظ الجاهلية الذي يطلق على الفترة التي سبقت البعثة الحمديّة يقصد به الجاهلية العقديّة التي أثرت على سلوك الأفراد وصبغت كل حياتهم.

\*الدين الرسمي للعرب في تلك الفترة هو الإيمان بالله مع إشراك غيره معه إضافة إلى طائفتين من الموحدين الخنفاء ومن الدّهرين الملحدّين.

\*سبب الإشراك بالله محاولة المزج بين دين سماوي وديانة وضعية استوردت طقوسها الأساسية وهي عبادة الوثنية، وأضيفت إليها شرائع وضعية مصدرها اجتهاد عقلي ساذج محاولة منهم للربط بين عالم مادي وروحي بالإستسلام إلى التفسيرات الخرافية عند استحالة الرابط المنطقي.

\*انتشار الطبقيّة في المجتمع بشكل واسع حتى شملت المناسك العبديّة كالتحمس في الحج ومنشؤها الكبير.

\*دَعَاوى الجود والكرم المتغنى بها عند عرب الجاهلية دافعهم إليها كان حب الظهور والذكر الموصول، مع ما يُدافعونه من شُحّ وشغف بالمال جبلت عليه النفوس.

\* الرياء العملي كان منتشرًا في مكة ومن صوره الرّياء الأخلاقي فإكرام الأضياف، والوفاء بالأحلاف والعهود كان خوف الهجاء والمسبة والتعير بالغذر.

\*اتصاف العرب بالأمية-الجهل بالكتابة والقراءة والإيمان-لم يمنعهم من اتقان بعض العلوم الكلامية والكونية كالشعر والبيان، وكعلم الفلك والقيافة...

\*وسم الحُكم العربي بالحكم البدائي المبني على العصبية والحمية والطيش، يرُدُّه اعتماد العرب على أسلوب المشاورة والمشاركة الجماعية للأشراف سواء كان نظامًا قبليًا أو ملكيًا.

\*تميز العرب بعدة صفات أهلتهم للرسالة والقيادة منها استعدادهم إلى شمول الدين لمختلف أجزاء حياتهم واستعدادهم للتضحية عند اقتناعهم بالفكرة.

\*الحكم على بعض صور الحياة الجاهلية المظلمة ومحاولة فهمها بطريقة عقلانية ضرب من اللأعقلانية فهناك أشياء لا تفسر بالعقل ولا يمكن تبريرها بالمنطق لأنّها خليط من أوهام وخرافات، ألّبت جلباب الواقعية حين اعتنقها الناس وسلموا بها من غير عقل ولا روية، وجعلوا لها طقوسا

وشعائر بها نالت المصادقية قال تعالى: { أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ }

الأعراف 1.

توصيات البحث:

ينطلق البحث من مجموعة أسئلة يحاول الطالب وضع إجابات إفتراضية يشبها الخبر أو ينفىها، والواقع أن الإجابة عن سؤال ماهو إلا إثارة لتساؤولات جديدة منها:

\*لقد توصلنا من خلال البحث إلى أن أحد أسباب عبادة الأوثان هو حب البيت والتبرك به إلا أن العرب لم يقتصرُوا في تقديسهم على أحجار مكة فقط، بل كلما استحسنوا حجرا اتخذوه لها وألقوا ما كانوا عاكفين عليه، فهل لعبادة الأوثان بُعدٌ فني وجمالي يدفع بالعربي إلى التمرد على المعبود؟.

\*تطالعنا الأخبار التاريخية أن كثيرا من العرب تنصروا خصوصا من كان منهم بجوار المسيحين وهذا يدل على أسلوب المرونة والافتتاح عند العرب، فيما تنفي أخبار أخرى فكرة التنصير محتجين بأن الأحكام النصرانية المبنية على المسامحة والخضوع والذلة لا تتلائم أبداً مع صفات العرب التي تتسم بالكبر والعزة، وتحتاج هذه الإشكالية إلى رسالة حول حقيقة التنصير عند عرب الجاهلية؟.

\*من المواضيع التي مررت عليها في البحث ولم أوفِّها حقها من الدراسة "وضع المرأة العربية" وقد اشتهر عند الناس أنها كانت تعيش حياة مهضومة الحقوق مضطهدة الكيان، ونرى أن هذا الحكم لا يطال طبقة السادة والأشراف مثلاً، فكان لبعض النساء مشاركات في الحياة الإقتصادية والسياسية كتجارة خديجة-رضي الله عنها- وخروج "هند بن عتبة" وبعض النسوة للحرب في غزوة "أحد"، فنوصي برسالة تتحدث عن صورة المرأة الجاهلية عند العرب من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية.

\*أعلن الرسول-صلى الله عليه وسلم- قطع رأس الجاهلية المذمومة وعاداتها، كما أعلن أيضا أن منها ذيولا عجز عن بترها في قوله صلى الله عليه وسلم: «أربعٌ في أمي من أمر الجاهلية لا يتركوهن: الفخر في الأحساب والطعن في الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة»، ومن الفخر تطاول الناس في الأحكام وقد يكون أحد صورها المعاصرة التزعة التناقضية الطبقية في الحكم على الأشياء؛ وهي امتدادٌ لموروث جاهلي عربي جيني رغم محاولة الشرع الحثيث لتغييره، فالشجاعة من المرأة مثلاً وإظهار التجلد

### الفصل الثالث: ..... صورة الحياة الثقافية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام من القرآن الكريم

وعدم الجزع خروج عن فطرتها ومحاكاة للرجولية في أسوأ صفاتها من القسوة والغلظة، والشجاعة وعدم الجزع من الرجل دليل على الحزم والقوة والجلد، المكر من المرأة دليل على الكيد والخبث، والمكر من الرجل دليل على الذكاء والدهاء وحسن التقدير و التدبير، الغيرة من المرأة دليل على نقصان العقل وسوء رأيها في نفسها، والغيرة من الرجل دليل على المروءة، إعراض المرأة الأيم عن الزواج بعد وفاة زوجها دليل على الوفاء والإخلاص، وإعراض الرجل بعد وفاة زوجته تهمة ومنقصة لرجولته... وقس على هذا كثير من الأحكام، فنوصي ببحث موضوعي اجتماعي نستل منه الأفكار الجاهلية وصورها العملية التي تظهر في التناقض الحكمي على المواضيع ذاتها بسبب التفريق الجنسي.

# والحمد لله أمانني على إتمام هنا البحث

# الفهارس

فهرس الآيات الكريمة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الأشعار

فهرس الأماكن والقبائل

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأعلام خير المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية	طرف الآية
البقرة		
77	62	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا
122-57	158	إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ
34-33	135	بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
24	134	تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
239	178	الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ
209	275	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا
234	229	الطَّلَاقِ مَرَّتَانِ
125	200	فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ
47	22	فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
125	197	فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ
209	200	فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا
15	67	قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ
220	216	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ
236	226	لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ
15	273	لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
125	198	لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا
80	102	وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ
121	196	وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ



13	67	وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ
27	170	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ
234	240	وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ
47-46	259	وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ
165	216	وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا
234	228	وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ
126	270	وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ
39	217	وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ
31	132	وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ
237	222	وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ
21	178	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمْ
200	273	يُحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ
176	189	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ
130	219	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
27	217	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ
206	217	يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ
آل عمران		
116	96	إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ
6	25	فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ
141	92	لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا
219	103	وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
84	80	وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ

218	97	وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا
15	154	يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
<b>النساء</b>		
201	29	إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ
141	10	إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى
50	117	إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا
237	7	لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
138	4	وَأَثْوَا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً
138	2	وَأَثْوَا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا
110	78	وَأِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا
219	77	وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ
227-225	23-22	وَلَا تُنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ
93	119	وَلَا مَرْنَهُمْ فَلْيَغْيِرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ
231	33	وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ
138	19	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ
167	108	يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ
238	11	يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ
231	25	مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ
<b>المائدة</b>		
18	50	أَفْحَكُمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ
241	33	إِنَّمَا حِزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ

196، 107	31	فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ
127، 61	103	مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ
238	38	وَالسَّارِقِ وَالسَّارِقَةِ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا
19	45	وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ
55-48	3	وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ
112	91	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
98	87	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ
123	2	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ
166	54	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ
الأنعام		
123	145	أَوْ فَسَقًا أَهْلَ لَعْنِ اللَّهِ
174	96	فَالِقُ الْأُصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ
148	33	فَيَأْتِيهِمْ لَئِيكَ يُكذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
37	79-76	فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا
97	144	قُلْ أَلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ
166	152	وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
14	35	وَإِنْ كَانَ كَبِيرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ
101	119	وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ
213	152	وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ
91	100	وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
59	136	وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ

42	29	وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
94	139	وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ
94, 60	138	وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتٌ حَجَرَ
124	137	وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
144	140-137	وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...
7	35	وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى
195	38	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ
173	97	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ التُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا
192	60	وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ
الأعراف		
167	40	حتى يلج الجمل
110	131	فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا
143	28	وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا
15	199	وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ
14	138	وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ
67	19	وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ
43	180	وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
196	176	وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا
25	31	يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ
الأَنْفَالُ		
218	63	لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

171	75	وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ
143-121	35	وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً
<b>التوبة</b>		
131-221	19	أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
185	36	إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ
187-119	37	إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ
134	6	وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ
<b>يونس</b>		
97	59	قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ
194	27-26	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ
115	64	لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
17	18	وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
<b>هود</b>		
11	49	تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهَا
24	49	تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ
169	80	قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً
21	46	قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ
14	29	وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا
<b>يوسف</b>		
8	2	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
239	75	قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ

167	41	قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ
15	33	وَالَا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ
170	26	وَشَهِدْ شَاهِدًا مِّنْ أَهْلِهَا
الرعد		
39	17	فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً
11	37	وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا
إبراهيم		
167	7	وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ
118	21	وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ
الحجر		
90	42	إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
187	16	وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا
النحل		
141	92	تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ
229	75	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا
44	102	قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ
207	80	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ
149	71	وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ
69	51	وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ
165	92	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا
44	103	وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ

الإسراء		
83	40	أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ
92	88	قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
42	44	وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ
88	64	وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ
166	29	وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ
21	33	وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ
198	36	وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
43	94	وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا
145	33	وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِرِوَالِهِ سُلْطَانًا
الكهف		
200	18	وَنَحْسَبُهُمْ آيَاتًا وَهُمْ رُقُودٌ
مريم		
164	82-81	وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
86	91-88	وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
طه		
68	120	فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ
الأنبياء		
48	52	إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ
156	5	بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا
190	5	بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ

166-72-59	22	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
174	33	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ
<b>الحج</b>		
221	39	أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا
77	17	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ
123	37	لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا
202	27	وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ
38	58	وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
110	11	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ
45	5	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ
<b>المؤمنون</b>		
165	96	ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ
169	101	فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ
<b>النور</b>		
26	60	وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ
230	33	وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ
22	31	وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ
<b>الفرقان</b>		
15	63	وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ
163	23	وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
160	33	وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ



الشعراء		
159	227	إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
154	225	أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
8	195	بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ
37	73-72	قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ
102	223-221	هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلُ الشَّيَاطِينَ
104	192	وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
5	39	وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ
النمل		
72	62	أَلَيْهَ مَعَ اللَّهِ
79	60	أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
14	55	أَفَتُنْكُمُ اللَّاتُوتُونَ الرَّجَالَ شَهْوَةً
229	32	قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أِفْتُونِي
106	47	قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ
119-74	24	وَجَدْنَاهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ
القصص		
32	46	لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ
206	57	يُجِبِّي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ
العنكبوت		
202	67	أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا

162	41	مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
158	48	وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ
<b>الروم</b>		
142	29	بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ
<b>لقمان</b>		
142	13	إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ
78	34	إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ
196	19	وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ
<b>السجدة</b>		
3	7	الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ
<b>الأحزاب</b>		
171	5	ادْعُوهُمْ لِابَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ
99	67	وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا
22	33	وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ
232	4	وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ
235	4	وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ
<b>سبأ</b>		
32	31	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ
83	40	وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا
83	41-40	قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَوَلِيِّنَا
147	35	وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا

<b>فاطر</b>		
171	18	وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِيلِهَا
<b>يس</b>		
178	38	وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا
177	39	وَالْقَمَرَ قَدَرْتَاهُ مَنَازِلَ
166-41	79-78	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ
157	69	وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ
<b>الصفات</b>		
84	150	أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا
91	158	وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا
156	36	وَيَقُولُونَ أَأَنَّا لِنَارِكُوا آلِهَتِنَا
<b>ص</b>		
71-32	5	أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا
<b>الزمر</b>		
33	38	وَلَيِّنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
191	42	اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا
<b>غافر</b>		
27	28	أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ
<b>فصلت</b>		
44	40	إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا
115	16	فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا

73	37	لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
44	39	وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً
<b>الشورى</b>		
99	21	أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ
169	23	قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا
9-8	7	وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
<b>الزخرف</b>		
164	67	الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
8	3	إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
86	15	وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْأً
224	32	وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ
119-84	20	وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
150-43-27	31	وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ
31	87	وَلَقَدْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ
32	84	وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ
<b>الجاثية</b>		
40	25	اٰتُوا بآبَائِنَا
40	24	وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
<b>الاحقاف</b>		
150	11	وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا

محمد		
218	4	فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فَدَاءٌ
219	13	وَكَأَيِّنْ مِن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً
194	30	وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ
220	20	وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ
الفتح		
136-28-26	26	إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ
73	18	لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
188	27	لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا
194	29	سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ
الحجرات		
142	6	أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ
169	13	يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
الذاريات		
129	27-24	هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ
الطور		
102	29	فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ
النجم		
50	20-19	أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى
83	27	إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
24	50	وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى

82	48	وَأَنَّهُ هُوَ أَعْنَى وَأَقْنَى
81	49	وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشُّعْرَى
86	26	وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ
<b>القمر</b>		
115	19	إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
<b>الرحمن</b>		
153	4-3	خَلَقَ الْإِنْسَانَ
184	17	رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ
11	3-2	عَلَّمَ الْقُرْآنَ
89	74	لَمْ يَطْمِئِنُّنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
167	60	هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ
217	9	وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
<b>الواقعة</b>		
12	37	عُرْبًا أَثْرَابًا
181	75	فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ
<b>الحديد</b>		
151	20	اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ
<b>المجادلة</b>		
236	4-3	وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ
<b>الحشر</b>		
221	7	مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ

160	21	وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاصِرٍ لِلنَّاسِ
166-141	9	وَيُؤْذِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
المتحنة		
239-150	12	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ
الجمعة		
207	11	وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا
المنافقون		
200	4	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
التغابن		
140	14	إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا
2	3	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ
6	9	يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ
التحريم		
98	1	يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ
القلم		
137	13-12	مَنَّاغٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ
الحاقة		
138	34	وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ
نوح		
62	23	وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ
الجن		

92	1	قُلْ أَوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ
90	6	كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُودُونَ
92	10	وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ
المزمل		
203	20	وآخرون
المدثر		
27	25-18	إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ
148	16	إِنَّهُ كَانَ لَلْآيَاتِنَا عَنِيدًا
147	13	وَبَنِينَ شُهُودًا
139	44	وَلَمْ نَكُ نَطْعِمُ الْمِسْكِينَ
القيامة		
6	3	أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ
140	15-14	بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ
المرسلات		
6	38	هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ
عبس		
167	17	قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ
التكوير		
178	16-15	فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ
الانفطار		
2	8	فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ



<b>المطففين</b>		
217	3-2-1	وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ
<b>البروج</b>		
182	1	وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ
<b>الفجر</b>		
137	17	كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ
138	19	وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا
137	20	وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا
<b>البلد</b>		
137	6	أَهْلَكْتُمْ مَالًا بُدًّا
137	3	أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ
139	16-11	فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ
<b>الشمس</b>		
140	8-7	وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا
<b>الضحى</b>		
140	10-9	فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ
<b>التكاثر</b>		
146	2-1	أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ
<b>الهمزة</b>		
147	2	الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ
146	1	وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ

قريش		
206-204	2-1	لِإِيْلَافِ قُرَيْشٍ
الماعون		
138	2	فذلِكَ الَّذِي يَدْعُ
139	7	وَيَمْتَعُونَ الْمَاعُونَ

مجموعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	طرف الحديث
239	أتشفع في حد
200	اتقوا فراسة
89	إذا سمعتم صياح
170	أربع في أمي
116	أرواحهم في خوف
114	أسلم سالمها الله
187-78	أصبح من عبادي
25	أفعمياوان أنتما
114	أقروا الطير
237	آلى النبي من زوجاته
116	إن الله يحب العطاس
99-89	إن بالمدينة نفرا
192	إن رؤيا المؤمن
23	إن فيك جاهلية
153	إن من البيان لسحرا
199	إن هذه الأقدام
200	إن يكن في أمي
175	إنا أمة أمية

112	أنا عندظن عبدي
166-136-142	أنصر أخاك
109	إنما الشؤم في ثلاثة
170	إنما الكريم بن الكريم
116	إنما نسمة المؤمن طائر...
38	إني خلقت عبادي
96	إني خير لكم من العزى
150	أي الذنب أعظم
73-72	إيت بطن نخلة
103	بينما نحن جلوس
171	تعلموا من أنسابكم
113	ثلاثة لا يسلم منها أحد...
8	ثيب تعرب عن نفسها
159	جاء عبد الله بن رواحة
69	خرجنا مع رسول الله
125	دخل أبو بكر
113	ذلك شيء
127	رأيت عمرو بن عامر
192	الرؤيا ثلاثة
154-153	سأل النبي
115	الشؤم سوء الخلق...

66	صارت الأوثان
111	الطيرة شرك
85	فأمر بتلك الصور
56	قولوا لله أعلى وأجل
158	كان أبغض الحديث
215	كان أهل الجاهلية يتبايعون
42	كان لي على العاص
123	كانت قريش ومن دان
121-120	كانوا يرون أن العمرة
220	كنت أنبل
112-111	لا عدوى ولا طيرة
228	لا يقل أحدكم أطمع
110	لا شؤم
160	لأن يمتلىء جوف
155	لكلامك أشد عليهم
67	الله أكبر قلتهم
47	اللهم لا تجعل قبري
171	ليس من رجل ادعى
102	ليسوا بشيء
60	ما فعل عمّ أنس
102	ماذا كنتم تقولون

78-72	مفتاح الغيب خمس
52	من حلف فقال
192	من رأى منكم
113	من ردّته الطيرة
52	من كان حالفا
46	نحن أحق بالشك
215	نهانا رسول الله عن بيعتين
215	نهى رسول الله عن المحاقلة
217	نهى رسول الله عن بيع الحصاة
227	نهى عن الشغار
159	هل معك من شعر
238	والله إن كنا في الجاهلية
172	يا أيها الناس
235	يا رسول الله إن ابنتي
232	يا معشر قريش اشهدوا
218	يا معشر يهود أسلموا
41	يؤذيني ابن آدم يسب

فهرس الأشعار

الصفحة	طرف البيت
75	أبيض أبلج وجهه
88	أتوا ناري فقلت منون
99	أحلامكم لسقام الجهل
181	إذا ما البدر ثم مع الثريا
182	إذا ما قارن القمر الثريا
35	أربا واحدا أم ألف ربّ
186	أرجي أن أعيش وأن
61	أضلهم صنمهم عم أنس
48	أطردني حذر الهجاء
20	أكثرت قتلي بني بكر
26	ألا إني منهم وعرضي
132	أماوي إن المال غادٍ
52	إني حلفت يمين صدق
53	عزلت اللات والعزى
115	إني غذوت وكنت لا
108	أهدى له أحبابه أترجة
80	أوردتها وصدور العيس
130	أوقد فإن الليل ليل قر
233	أيا جارتى بيبي
110	بأننا نورد الرايات
147	بكت عيني وحق لها
64	تراهم حول قبلهم
35	تري الأبرار دارهم جنان

42	حياة ثم موت ثم نشور
64	حيّك ودّ فينا لا يحل لنا
183	خليلي إن قالت بثينة ماله
240	دعيني للغنى اسعى فيني
155	سأشكرك الذي دافعت عني
5	عريت وكان بها الجميع فأبكروا
209	علون بأنطاكية فوق عقمة
162	على هطاهم منها بيوت
131	فإذا شربت فيني مستهلك
89	فأصبحت والغول لي جارة
132	فإن متُّ فانعيني بما أنا أهله
179	فعند ذاك يطلع المريخ
90	قد استعدنا بعظيم الوادي
179	قد وكتني طلتي بالسمسرة
137	قوم إذا هتف الصريخ رأيتهم
183	كأن الجددي جددي بنات
180	كان المشتري حسنا ضياءً
34	لاهم إن العبد يمنع
88	لاهم إن جرهما عبادكا
36	لجحت و كنت
109	لقاؤك للمبكر فال سوء
69	لنا المهيمن يكفيننا أعاديننا
184	مستخفيا وبنات نعش
184	هدائي إليك الفرقدان
54	واللات والعزى ومناة



147	وأنت زنيم نيط
124	وإني قد شربت دم
33	وباللآت والعزى
49	وتبدلوا اليعسوب بعد
180	وثور يميني رجله
107	وعجزاء دفت بالجناح
108	وقد أغتذي قبل العطاس
161	ولا يواتيك فيما ناب
145	ومن لم يذذ عن حوضه
73	يا عَزَّ كفرانك لاسبحانك
180	يا قبلة القصاد يا تاج العلا
106	يا معشر بني قحطان
42	يخبرنا الرسول بأن سنحيا
132	يقولون أهلكت مالك

## فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	العلم
33	أبرهة
28	أبي بن كعب
147	أروى بنت عبد المطلب
25	أم سلمة
25	ابن أم مكتوم
33	امرؤ القيس
39	أمية بن أبي الصلت
166	أنس بن مالك
100	بشر بن أبي حازم
236	أبو بكر القرطبي
44	بلوتارك
87	تأبط شر
194	ابن تيمية
20	جساس
183	جميل
58	جواد علي
130-129	حاتم الطائي
134	حارث بن حلزة

89	حرب بن أمية
159	حسان بن ثابت
72	خالد بن الوليد
42	خباب بن الأرت
36	خديجة بنت خويلد
75	خنساء
23	أبو الدرداء
76-16	ذو الشرى
217	رشيد رضا
22	زجاج
23	زخشري
134	زهير بن أبي سلمى
35	زيد بن عمرو بن نفيل
104	سطيح
127	سعيد بن المسيب
56	أبو سفيان
133	سموأل بن عريض
104	شق
40	شهرستاني
107	طرفه بن العبد
16	طفيل بن عمرو

50	طلحة بن عبید الله
25	عائشة
190	عاتكة
136	عاص بن وائل
37	عامر بن الظرب
153	عبد الله بن رواحة
53	عبد الله بن عباس
72	عبد الله بن عمر
116	عبد الله بن مسعود
33	عبد المطلب
49	عبید بن الأبرص
23	ابن العربي
241	عروة بن الورد
80	علقمة بن عبدة
90	عمارة بن الوليد
89	عمرو بن عدي
131	عنبرة
89	غريص
161	فخر الرازي
154	قتادة
173	ابن قتيبة

136	قريط بن أنيف
35	قس بن ساعدة
61	ابن كثير
159	كعب بن مالك
20	كليب
99	كميت بن زيد
5	لبيد بن عمار
152	مالك بن نبي
26	متلمس
227	مجاهد
13	محمد الطاهر بن عاشور
89	مرداس
232	مقداد بن الأسود
20	مهلهل بن ربيعة
25-24	ميمونة
41	أبو هريرة
35	ورقة بن نوفل
27	وليد بن المغيرة

## فهرس الأعلام غير المترجم لهم

-68-67-66-64-38-37-36-35-34-31 -142-85	إبراهيم
47	ابن الأثير
148	أحنس بن شريق
119-88-68-67	آدم
226	أسود
70	أبو الأسود
70	أقرع بن حابس
42	أيرنست نيغل
85	باقوم
220	براض
135	براض بن قيس
218	بسوس
-223-189-186-125	أبو بكر
85	جبريل
88	جرهم
120	جنادة بن أمية
69	حارث بن مالك
228	حبيب بن عمرو
120	حذيفة بن عبد فقم

226	حصن بن ابي قبيس
242	خداش
104	خطر بن مالك
240	خيار بن عدي
207	دحية
168	دغفل بن حنظلة
238	دويك
226	زبان بن سيار
103	سجاح
89	سعد بن عبادة
104	سلمة بن ابي حية
104	صاف بن صياد
52	صرمة بن غنم
226	صفوان بن أمية
-213-136-28	أبو طالب
54	ظالم بن أسعد
230	عبد الله بن ابي
222-220-189-147-127-103-34-33	عبد المطلب
222	عبد مناف
242	عبد مناف
-210-195	عثمان

222	عثمان بن طلحة
220	عروة
135	عروة الرحال
46	عزير
-192	علي
-223-200-197-175-152-117-89-73 -238	عمر بن الخطاب
145	عمرو بن المشمرج
226	عمرو بن أمية
242	عمرو بن علقمة
-127-101-100-81-55	عمرو بن لحي
134	عمرو بن هند
88	عمرو بن يربوع
46	عيسى
104	غيظلة
226	فاحتة
104	فاطمة بنت النعمان
103	فاكهة
228	قصي
145-144	قيس بن عاصم
226	كبيشة



64	ابن الكلبي
14	لوط
86	مالك
240	مرة بنت سفيان
205-204	مطلب
230	معاذة
70	المعري
86	ملك الموت
226	مليكة
226	منظور بن زبان
201_15-14-13	موسى
85	ميكال
155	نابغة الذبياني
168	نجار بن أوس
-144-135	نعمان بن المنذر
-117-67-66-64-63-14	نوح
205-204	نوفل
222-205-204-203	هاشم
57	هالة الناشف
103	هند بنت عتبة
80	هوميروس

241-240-238-228	وليد بن المغيرة
212-201-189-188-17-10-7	يوسف

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس القبائل والأماكن المترجم لهم

الصفحة	القبيلة والمكان
58	أزد
68	باهلة
76	بتراء
54	بطن نخل
19	بعاث
37	بلقاء
96	بنو إياد
55-20	بنو بكر
75-74	بنو تميم
81	بنو طيء
53	تدمر
20	تغلب بن وائل
58	تهامة
88	جرهم
84	جهينة
63	حمير
84	خزاعة
60	حولان

63	خيوان
63	ذو الكلاع
84	سليم بن منصور
51	طائف
58	غسان
68	غطفان بن سعد
63	غطيف
65	غطيف بن حارثة
68	غني بن أعصر
19	قريضة
64	كلب بن وبرة
55	كنانة
65	كهلان
37	لخم
51	مناة
19	نضير
63	هذيل
66	همدان
18	يثرب

## فهرس الأماكن والقبائل غير المترجم لهم

الصفحة	القبيلة والمكان
56-18-15	أحد
198	أصفهان
80	إغريق
8	أكراد
210-52-51-9	أم القرى-مكة
58	أنصار
218-52-51	أوس
80	بابل
71	بن نخلة
74	بنو أد
199	بنو لهب
8	ترك
202	تيماء
66	جدة
205-204	حبشة
36	حبشة

-72-66-65-	حمير
59-51	خزاعة
52-51	خزرج
126	ذو المجاز
202-80-77-8	روم
198	زنج
198	سودان
207-205-204-37	شام
218-71	عبس
122-58	عرفات
126	عكاظ
220	فجار
202-198-71	فرس
80	فينيقيون
59	قريش
126	مجنة
65	مدحج
199	مدلج
66-65	مراد
64	مزين
204-198	مصر

37	موصل
65	نجران
66	نود
65	همدان
205-204	يمن

جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص
- \*أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، ت محمد كاظم صباغ، (دار القلم، الكويت، ط5، 1391هـ-1979م).
- \*أحمد بن شعيب النسائي، تفسير النسائي، ت صبري الشافعي، (دارالكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1410هـ-1990م).
- \*أحمد سعد الخطيب، مفاتيح التفسير، (دار التدمرية، الرياض، دط، 1431هـ-2010م).
- \*أحمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (مكتبة مصطفى الباقي، مصر، ط1، 136هـ-1946م).
- \*إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1420هـ-2000م).
- \* بدر الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآي والسور، (دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت).
- \* بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، دط، دت.
- \*جلال الدين السيوطي، لباب النقول في أسباب النزول، دار الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1422هـ-2002م).
- \*جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت عبد الله عبد المحسن التركي، (دد، ط1، القاهرة، 1424هـ-2003م).
- \*جمال الدين عبدالرحمن بن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (دار المكتب الإسلامي، ط3، 1404هـ-1984م).
- \* حسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت محمد خليل عيتاني، (دار المعرفة، بيروت، ط4، 1426هـ-2005م).
- \* حسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، دار طيبة، ت محمد عبد الله النمر، ط1، 1409هـ-1989م).
- \* سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم، (دار إحياء التراث العربي بيروت، ط5، 1386هـ-1964م).



- \* عبد الحق عطية بن غالب الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ-2001م).
- \* عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دط، 1402هـ-1982م).
- \* عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت علي محمد عوض، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418-1997م).
- \* عبد الشافي أحمد الشيخ، الفراسة في القرآن الكريم، ( جامعة الأزهر كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الملك فيصل بالأحساء، دط، دت).
- \* عبد الله بن أحمد النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ت يوسف علي بدوي، (دارالكلم الطيب، بيروت، ط1، 1419هـ-1998م).
- \* علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ت عصام بن عبد المحسن الحميدان، دارالاصلاح، الدمام، ط2، 1412هـ-1992م).
- \* علي بن أحمد الواحدي، أسباب النزول، ت عصام بن عبد المحسن الحميدان، دارالاصلاح، الدمام، ط2، 1412هـ-1992م).
- \* محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير، ( دار الفكر العربي، دط، دت).
- \* محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، ط1، 1426م.
- \* محمد الرازي فخر الدين، مفاتيح الغيب، ( دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ-1981م).
- \* محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (دط، الدار التونسية، 1984م).
- \* محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه الآي والقرآن، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي دار الرسالة، ط1، 1427هـ-2006م.
- \* محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن الكريم، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ-2001م).
- \* محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، ( دار المنار، القاهرة، ط2، 1366هـ-1947م).
- \* محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي، (دد، دط، دت).

- \* محمود الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دت، (دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت).
- \* محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ت علي محمد عوض، (مكتبة العيكان، الرياض، ط1، 1418هـ-1998م).
- \* أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى البيهقي، ت محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ-2003م).
- \* أحمد بن الحسين البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ت عبد المعطي قلنجي، (دار الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م).
- \* أحمد بن حنبل، المسند، ت أحمد شاكر، (دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ-1995م).
- \* أحمد بن شعيب النسائي، السنن، ش جلال الدين السيوطي، (دار المعرفة، بيروت، دط، دت).
- \* أحمد بن شعيب النسائي، السنن الصغرى، ت عبد الفتاح أبو غدة، (مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، ط2، 1406هـ-1986م).
- \* أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ت عبد الرحمن بن ناصر البراك، (دار طيبة، الرياض، ط1، 1426هـ-2005م).
- \* إسماعيل بن عمر بن كثير، السيرة النبوية، ت مصطفى عبدالواحد، (دد، القاهرة، دط، 1384 هـ-1964م).
- \* جلال الدين السيوطي، تنوير الحوالك في موطأ الامام مالك بن أنس، ت محمد عبد العزيز الخالدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1428هـ-2007م).
- \* شمس الدين بن قيم الجوزية، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ت عبد الرحمن محمد عثمان، (المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط2، 1388هـ-1969م).
- \* شمس الدين بن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ت شعيب الأرنؤوط، (دار الرسالة، بيروت، ط27، 1415هـ-1994م).
- \* عبد الرحمن السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، ت مجدي منصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت)
- \* عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الأدب المفرد، (دار البشائر، بيروت، ط3، 1409هـ-1989م).

- \* عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله وسننه وأيامه، ت محمد فؤاد عبد الباقي، (المطبعة السلفية، القاهرة، ط1، 1400هـ).
- \* عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، ت. عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1410 هـ-1990م).
- \* علي بن خلف بن بطلال، شرح صحيح البخاري، ت ياسر بن إبراهيم، (مكتبة الرشد، الرياض، دط، دت).
- \* علي بن محمد الماوردي، أعلام النبوة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط6، 1140هـ-1986م).
- \* مالك بن أنس، الموطأ، ت بشار عواد معروف، (دار القرب الاسلامي، ط2، 1417هـ-1997م).
- \* مالك بن أنس، موطأ مالك، ت مصطفى الأعظمي، (مؤسسة زايد بن سلطان آل مهيان، أبوظبي، ط1، 1425هـ-2004م).
- \* محمد بن حبان البتي، صحيح ابن حبان، ت شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ-1993).
- \* محمد بن اسحاق، السيرة النبوية، ت أحمد فريد المزيدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ-2004م).
- \* محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، ت شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ-1993م).
- \* محمد بن حبيب، المحبر، (دار الآفاق الجديدة، بيروت، دط، 2009).
- \* محمد بن حبيب، المنق في أخبار قريش (دد، دط، دت).
- \* محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ت ابراهيم عطوة عوض (دد، ط1، 1962م).
- \* محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، ت بشار عواد معروف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996م).
- \* محمد ناصر الدين الألباني، السلسلة الضعيفة، مكتبة المعارف، الرياض، دط، دت).
- \* محمد بن عبد الله الأزرق، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ت رشدي الصالح (المطبعة الماجدية، جدة ط2، 1425هـ-2005م\* مسلم بن الحجاج القشيري، المسند الصحيح

- المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، ت أبو قتيبة الفارياي، (دارطبية، الرياض، ط1، 1427 هـ-2006م).
- \* نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تقريب البغية بترتيب أحاديث الحلية، ت محمد حسن إسماعيل، (دار الكتب العلمية، ط1، 1420 هـ-1999م).
- \* يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين، ت علي محمد عوض، (دارعالم الكتب السعودية، بيروت، ط خ، 1423 هـ-2003 م).
- \* أبو علي القالي، سمط الآلي، ت عبد العزيز الميمني، (دار الكتب العلمية، دب، دط، دت).
- \* إبراهيم شمس الدين، موسوعة قصص العرب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423 هـ-2002م).
- \* أبو تمام يحيى التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ش يحيى بن علي التبريزي، (دارعالم الكتب، بيروت، دط، 2008م).
- \* أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، (دارالكتب المصرية، دط، 1340 هـ-1922م).
- \* أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، ت مفيد محمد قميحة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983م).
- \* امرؤ القيس، ديوان، ت عبدالرحمن المصطاوي، (دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425 هـ -2004م).
- \* أمية بن أبي الصلت، ديوان، ت سميح الجبيلي، (دارصادر، بيروت، ط1، 1998م).
- \* أوس بن حجر، ديوان، ت محمد يوسف نجم، (دارصادر، بيروت، دط، 2009م).
- \* بشر بن أبي حازم، ديوان، ت عزة حسن، (دار احياء التراث، دمشق، دط، 1379 هـ-1960م).

- \* تماضر بنت عمرو بن الحارث، الخنساء، ديوان، ت حمدو طماس، (دار المعرفة، بيروت، ط2- 1425هـ-2004م).
- \* ثابت بن جابر، ديوان تأبط شر، ت.عبد الرحمن المصطاوي، (دارالمعرفة، بيروت، ط3، 1424هـ-2003م).
- \* جميل بن مَعَمَر، ديوان، (دارصادر، بيروت، دط، دت).
- \* حاتم الطائي، ديوان، دت، (دار صادر، بيروت، دط، 1401هـ-1981م).
- \* حاتم الطائي، ديوان، (دار الكتب العلمية، شرحه أحمد رشاد، ط3، 1401هـ-1981م).
- \* الحارث بن حلزة، ديوان، ت.اميل بديع يعقوب، (دار الكتاب العربي، ط1، 1411هـ-1991م).
- \* حسان بن ثابت، ديوان، ت عبد مهنا(دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1414هـ-1994م).
- \* حسن اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ت محمد حجي، (دار الثقافة، المغرب، ط1، 1401-1981م).
- \* حسن بن سهل العسكري، جمهرة الأمثال، أحمد عبد السلام، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1408هـ-1988م).
- \* حسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، ت عمر حافظ، (دار القدس، القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م).
- \* حسين بن محمد الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت محمد خليل عَيْتاني، (دارالمعرفة، بيروت، ط4، 1426هـ-2005م).
- \* زهير بن أبي سلمى، ديوان، ت حمدو طماس، (دار المعرفة، بيروت، ط2، 1426هـ-2005م).
- \* طرفة بن العبد، ديوان، ت عبد الرحمن المصطاوي، (دارالمعرفة، بيروت، ط1، 1424هـ-2003م).
- \* طرفة بن العبد، ديوان، ت الأعلَم الشنتمري(دارالثقافةوالفنون، بيروت، ط2، 2000 م - بيروت).
- \* عبدالقادر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب العرب، ت.عبد السلام محمدهارون، ( مكتبة الخاجي القاهرة، ط4، 1418هـ-1997م).

- \* عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، ت مصطفى أفندي السقا، (ط2، 1350هـ-1932م).
- \* عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، ت أحمد شاكر، (دارالمعارف، القاهرة، ط2، دت).
- \* عبد الله بن منظور، لسان العرب، ت عبدالله علي الكبير، (دارالمعارف، القاهرة، دط، دت).
- \* عبد الله بن منظور، نثر الأزهاري في الليل والنهار، (مطبعة الجوائب، قسنطينة، ط1، 1298هـ).
- \* عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، خاص الخاص، ت مأمون الجنان، (دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1414هـ-1994م).
- \* عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ت محمد إبراهيم، (دارالمعارف، القاهرة، دط، دت).
- \* عبيد بن الأبرص، ديوان، ش أحمد عدرة، (دارالكتاب العربي، بيروت، ط1-1414هـ-1994م).
- \* عروة بن الورد، ديوان، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1998م).
- \* علقمة بن عبدة، ديوان، ت حني نصر حني، (دار الكتاب العربي، دط، 2010).
- \* عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ت عبد السلام موسى هارون، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 1418هـ-1998م).
- \* عمر بن بحر الجاحظ، الحيوان، ت. عبد السلام موسى هارون، (دارمصطفى الباجي، ط2، 1384هـ-1965م).
- \* عمرو بن كلثوم، ديوان، ت اميل يعقوب، (دار الكتاب العربي، ط2، 1416هـ-1996م).
- \* عنتر بن شداد، ديوان، ت. مجيد طراد، ( دارالكتاب العربي، بيروت، ط1، 1412هـ-1992م).
- \* كميت بن زيد الأسدي، ديوان، ت محمد نبيل طريفي، (دارصادر، بيروت، ط1، 2000م).
- \* لبيد بن ربيعة، ديوان، ت إحسان عباس، (دار التراث العربي، الكويت، دط، 1962 م).
- \* متمس الضبعي، ديوان، ت حسن كامل الصيرفي، (دار الشركة المصرية، القاهرة، دط، -1970م).

- \* مجالددين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ت محمدنعيم العرقسوسي، (دارالرسالة، ط8، 1426 هـ-2005م).
- \* محمد بن سلام الجُمحي، طبقات فحول الشعراء، ت محمود محمد شاكر، (دارالمدني، جدة، دت، دت).
- \* محمود شكري الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، (دار الكتب العلمية-لبنان، دط، دت).
- \* يحيى بن زياد الفراء، الأيام والليالي والشهور، ت إبراهيم الأبياري، دار الكتب الإسلامية، 1400 هـ -1980م).
- \* أحمد مغنية، تاريخ العرب القديم، (دارالصفوة، بيروت، ط1، 1414 هـ، 1997م).
- \* إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ت عبد الله بن عبد المحسن التركي، (دار هجر، مصر، ط1، 1417 هـ-1997م).
- \* جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (جامعة بغداد، ط2، 1413 هـ-1993م).
- \* سعيد الأفغاني، أسواق العرب في الجاهلية، (دد، دط، 1413 هـ-1993م).
- \* علي البجاوي، أيام العرب في الجاهلية، (دارالمكتبة العصرية، بيروت، دط، دت).
- \* علي بن أحمد بن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ت محمد بن ابراهيم نصر، (دار الجليل، بيروت، دط، دت).
- \* علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دار الأندلس، بيروت، ط1، 1965م).
- \* عماد الصباغ، الأحناف، (دار الحصاد، دمشق، ط1، 1998م).
- \* مجموعة من المؤلفين، الجزيرة العربية قبل الإسلام، سلسلة أبحاث، إشراف عبدالرحمن الأنصاري، (جامعة الملك سعود، قسم التاريخ والمتاحف، السعودية، ط1، 1404 هـ-1984م).
- \* محمد بن المستنير قطرب، الأزمنة وتلبيةالجاهلية، ت حاتم صالح الضامن(دار الرسالة، بغداد، ط2، 1405-1985).

- \* محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، (دارالمعارف، مصر، ط1، دت).
- \* محمد الشيباني ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت عبد الله القاضي، (دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ-1987م).
- \* محمد صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م).
- \* محمد عزة دروزة، تاريخ الجنس العربي في مختلف الأطوار والأدوار والأقطار، (المكتبة العصرية، بيروت، دط، دت).
- \* محمد نعمان الحازم، أديان العرب في الجاهلية، (دار السعادة، مصر، ط2، 1431هـ - 1923م).
- \* محمدعبدالكريم الشهرستاني، الملل والنحل، ت عبدالعزيز الوكيل، (دط، دت، دار الفكر، بيروت).
- \* هشام بن محمد الكلبي، الأصنام، ت أحمد زكي، (دارالكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1343هـ-1924م).
- \* أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1409هـ-1998م).
- \* أحمد بن عبد الله الأصفهاني، معرفة الصحابة، ت عادل بن يوسف العزازي، (دارالوطن، الرياض، ط1، 1419هـ-1998م).
- \* أحمد بن محمد الأدرؤي، طبقات المفسرين، ت سليمان بن صالح الخزي، (مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دط، دت).
- \* جمال الدين المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ت بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1413هـ-1992م).
- \* خليل أحمد خليل، أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001م).
- \* خير الدين الزركلي، الأعلام، (دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م).



- \* شمس الدين أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأخبار أبناء الزمان، ت إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، دط، دت).
- \* شمس الدين بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1402 هـ-1982).
- \* شمس الدين بن عثمان الذهبي، تهذيب تهذيب الكمال، ت غنيم عباس غنيم، (دار الفاروق، ط1، 1425 هـ-2004 م).
- \* شمس الدين بن عثمان الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، (دار المعرفة، بيروت، دط، دت).
- \* شمس الدين بن عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، (دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت).
- \* شهاب الدين ياقوت الحموي، معجم البلدان، دت (دار صادر، بيروت، دط، 1397 هـ-1977 م).
- \* صفى الدين البغدادي، مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ت علي محمد الجاوي، (دار الجليل، بيروت، ط1، 1412 هـ-1992 م).
- \* صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ت أحمد الأرنؤوط، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420 هـ-2000 م).
- \* عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1418 هـ-1997 م).
- \* غسان عزيز حسين، ورقة بن نوفل، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423 هـ-2002 م).
- \* محمد أمين السويدي، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دت، (دار إحياء العلوم، بيروت، دط، دت).
- \* محمد بن أبي يعقوب - ابن النديم -، الفهرست، ت رضا تجدد، (دط دت).
- \* محمد بن أحمد الدولابي، الكنى والأسماء، ت زكريا عميرات، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420 هـ-1999 م).
- \* محمد بن حسن الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، مصر، ط2، دت).

\* محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، ت علي محمد عمر، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1421هـ-2001م).

\* محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (مكتبة وهبة، القاهرة، ط7، 2000م).

\* منير البعلبكي، موسوعة أعلام المورد، دارالعلم للملادين، بيروت، ط1، 1992م).

\* علي بن محمد الماوردي، الحاوي الكبير، ت علي محمد عوض، (دارالكتب العلمية، ط1، 1414هـ-1994م).

\* محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، ت محمد عبد الله القادر، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424هـ-2003م).

\* نظام الدين البلخي، الفتاوى الهندية ديوان عروة بن الورد، ديوان، (دارالكتب العلمية، بيروت، 1418هـ-1998م).

\* أبو الأعلى المودودي، الإسلام والجاهلية، (دار الشهاب، الجزائر، دط، 1988م).

\* أحمد أمين، فجر الإسلام، (دار النهضة المصرية، القاهرة، ط10، 1965م).

\* أحمد بهجت، الله في العقيدة الإسلامية، (دار الأهرام، القاهرة، ط3، 1406هـ-1986م).

\* أحمد عبد الحليم بن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ت ناصر العقل، (دارالرشد، الرياض، دط، دت).

\* جمال الدين القاسمي، مذاهب الأعراب وفلاسفة الإسلام في الجن، (دار المقتبس، دط، 1328هـ).

\* حسن بن عبد الله العسكري، جمهرة الأمثال، ت أحمد عبد السلام، (دارالكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408هـ-1988م).

- \* دون مؤلف، علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، (مكتبة المثني، بغداد، دط، دت).
- \* رؤوف شليبي، منهج القرآن الكريم في إثبات العقيدة الإسلامية، (المكتبة العصرية، بيروت، ط2، دت).
- \* رؤوف شليبي، المجتمع العربي قبل الإسلام، (دارالمكتبة العصرية، بيروت، دط، دت).
- \* سميح دغيم، أديان ومعتقدات العرب قبل الإسلام، (دارالفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م).
- \* طاهر سعود، التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي، (دار الهدى، بيروت، ط1، 1427هـ-1988م).
- \* عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ت خليل شحادة، (دار الفكر، بيروت، دط، 1421هـ-2001م).
- \* عبد الرحمن الرازي، صور الكواكب الثمانية والأربعين (دار الآفاق، بيروت، ط1، 1401هـ-1981م).
- \* عبد الرحمن حبنك الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، (دار القلم، ط5، 1420هـ-1999م).
- \* عبد الفتاح عاشور، منهج القرآن في تربية المجتمع، (دار الجيل، مصر، ط1، 1339هـ-1979م).
- \* عبد الله بن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ت محمد الفقي، (دار البيان الحديثة القاهرة، ط1، 1424هـ-2004م).
- \* عبد الله مسلم بن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، دت، (دار العراق، دط، 1988م).

- \*علي عبدة، الفلك والأنواء في التراث، (دار المكتبة الوطنية، 1998م).
- \*فخر الدين الرازي، الفراسة، ت مصطفى عاشور، (مكتبة القرآن، القاهرة، دط، دت).
- \*فهمي الغزوي، المدخل إلى علم الاجتماع، (دار الشروق، عمان، ط1، 2006م).
- \*محمد بن قيم الجوزية، إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ت محمد عبد القادر عطاء، (دار التقوى للتراث، مصر، ط1، 1508هـ-1999م).
- \*محمد توفيق، الأمثال العربية والعصر الجاهلي، (دد، ط1، 1408هـ-1988م).
- \*محمد عبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن الكريم، ت عبد الصبور شاهين، (دار الرسالة، دب، ط6، 1405هـ-1985م).
- \*محمد إبراهيم الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي، (دار المعارف، القاهرة ط3، 1982م).
- \*محمد إبراهيم الفيومي، في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام، (دار عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1979م).
- \*هومبوس، الأوديسة، (دار العلم للملايين، بيروت، دط، 1983م).
- \*يحيى وزيري، إثبات توسط مكة المكرمة لليابسة، (دار جياذ، ط1، 1433هـ-2012م).
- \*كمال الدين الأنباري، نزهة الألف باء في طبقات الأدباء، ت إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الأردن، ط3، 1405هـ-1985م).
- \*شوقي أبو خليل، أطلس القرآن الكريم، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1423هـ-2003م).

\*شوقي أبو خليل، أطلس السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1423هـ-2003م).

\*أحلام الصاعدي، شعر الصعاليك من منظور أبي تمام، إشراف حسن محمد باجودة، رسالة ماجستير(جامعة أم القرى، السعودية، كلية اللغة العربية وآدابها، 1433هـ-2011م).

\* أحمد مهنا، المرأة في شعر الصعاليك في الجاهلية والإسلام، رسالة ماجستير، (الجامعة الإسلامية، غزة، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1428هـ-2007م).

\*أحمد كامش، الأمثال العربية القديمة قيمتها ودورها في تصوير الحياة الاجتماعية، إشراف الأخضر عيكوس، رسالة ماجستير، (جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، 1425هـ-2004م).

\*حليمة خالد الصالح، الجن في الشعر الجاهلي، إشراف إحسان الديك، رسالة ماجستير، جامع النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2004م).

\*زيدان خلف الموازي، المعتقدات الدينية الوثنية عند العرب قبل الإسلام في القرآن الكريم، إشراف خالد موسى عبد الحسيني، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة، كلية الآداب، قسم التاريخ، 1429هـ-2008م).

\*فؤاد يوسف إشتية، القمر في الشعر الجاهلي، إشراف إحسان الديك، رسالة ماجستير، (جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، نابلس، 2010م).

\*كمال فوّاز، الشمس في الشعر الجاهلي، إشراف إحسان الديك، رسالة ماجستير، (جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2004م).

- \* منال يعقوب، تجليات الثقافة الجاهلية في لغة السور المكية، إشراف، يحيى عبد الرؤوف جبر، (رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012م).
- \* نهمال توفيق العارضة، الدم في الشعر الجاهلي، إشراف إحسان الديك، رسالة ماجستير، (جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، نابلس-فلسطين-) 2012م.
- \* هالة الناشف، أديان العرب ومعتقداتهم في طبقات ابن سعد، إشراف تحسين عباس، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1972م).
- \* أمين محمد الفضاة، مجلة الديار، قسم التفسير والحديث، كلية الشريعة الإسلامية، جامعة الكويت، دعدد ولا تاريخ).
- \* صالح مفقودة، القيم الأخلاقية للعربي من خلال الشعر الجاهلي، كلية الآداب والعلوم الإجتماعية، والعلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، العدد الاول، نوفمبر 2001.

\* [www.hoffaz.org/alforqan/print](http://www.hoffaz.org/alforqan/print)

\* [www.dahsha.com](http://www.dahsha.com)

\* <http://dorar-aliraq.com>

\* <http://forum.sedty.com/t118706.html> 2012

\* عبد الرحمن حللي، مجلة التسامح [htm.D\\_26112012\Nouveau dossier](http://www.htm.D_26112012\Nouveau%20dossier)

Powered by vBulletin® Copyright ©2000 – 2013

\* <http://forum.sedty.com/t118706.html> الموقع/2012

منيرة القحطاني، جريدة الرياض <http://riy.cc/132748> ، 2013م

فهرس الموضوعات

	مقدمة
	الفصل التمهيدي: ضبط مصطلحات البحث من خلال القرآن الكريم
2	المطلب الأول: مفهوم الصورة من خلال القرآن الكريم
5	المطلب الثاني: مفهوم المجتمع العربي من خلال القرآن الكريم
13	المطلب الثالث: مفهوم الجاهلية من خلال القرآن الكريم
	الفصل الأول: صورة الحياة العقديّة والأخلاقية للعرب قبل الإسلام من خلال القرآن الكريم
31	المبحث الأول: صورة الحياة العقديّة للمجتمع العربي قبل الإسلام من القرآن الكريم
33	المطلب الأول: الاتجاهات الدينية للعرب قبل الإسلام
33	الفرع الأول: فرقة الحنفاء الموحدون
39	الفرع الثاني: فرقة الدهريون الملحدون
47	الفرع الثالث: فرقة الموحدون المشركون
50	المطلب الثاني: مظاهر الإشراف العقديّة وطقوسهم التعبديّة
50	الفرع الأول: مظاهر الإشراف في عبادة القوى الكونية
83	الفرع الثاني: مظاهر الإشراف في عبادة القوى الروحية
99	الفرع الثالث: مظاهر الإشراف في عبادة القوى البشريّة
116	الفرع الرابع: مظاهر الإشراف في طقوسهم الدينيّة
129	المبحث الثاني: صورة الحياة الأخلاقية للمجتمع العربي قبل الإسلام من القرآن الكريم
129	المطلب الأول: الصفات الخلقية المحمودة لعرب الجاهلية
129	الفرع الأول: الجود والكرم

132	الفرع الثاني: الوفاء بالعهود
134	الفرع الأول: الجوار والنصرة
142	المطلب الثاني: الصفات الخلقية المذمومة لعرب الجاهلية
142	الفرع الأول: الظلم والجور
145	الفرع الثاني: التفاخر والكبر
148	الفرع الثالث: الجحود والعناد
<b>الفصل الثاني صورة الحياة الثقافية والاجتماعية للعرب قبل الإسلام من خلال القرآن الكريم</b>	
152	المبحث الأول: صورة الحياة الثقافية للعرب قبل الإسلام من القرآن الكريم
153	المطلب الأول: علوم العرب اللسانية
153	الفرع الأول: علم الشعر
160	الفرع الثاني: علم الأمثال
168	الفرع الثالث: علم الأنساب
173	المطلب الثاني: علوم العرب البصرية
174	الفرع الأول: علم الفلك والنجوم
188	الفرع الثاني: علم الرؤيا والتعبير
193	الفرع الثالث: علم الفراسة والقيافة
202	المبحث الثاني: صورة الحياة الاجتماعية للعرب قبل الإسلام من القرآن الكريم
202	المطلب الأول: المعاملات الإقتصادية
202	الفرع الأول: المبادلات التجارية
209	الفرع الثاني: المعاملات الربوية
218	الفرع الثالث: غنائم الحروب
221	المطلب الثاني: الأنظمة الاجتماعية
221	الفرع الأول: الوظائف السياسية
224	الفرع الثاني: البناء الاجتماعي
233	الفرع الثالث: أحكام عربية جاهلية



	الخاتمة
الفهارس	
247	فهرس الآيات القرآنية
266	فهرس الأحاديث النبوية
270	فهرس الأشعار
273	فهرس الأعلام المترجم لهم
277	فهرس الأعلام غير المترجم لهم
282	فهرس القبائل والأماكن المترجم لهم
284	فهرس القبائل والأماكن غير المترجم لهم
287	قائمة المصادر والمراجع
303	فهرس الموضوعات

القادر للعلوم الإسلامية